

تراث الإسلام



مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين
برعاية مؤسسة أم أبيها الخيرية الثقافية

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: تراث الاسلام بين العلم
الحديث ونظريات العباقرة
تأليف: السيد حسن الياسري
الاخراج الفني: السيد عباس الياسري
الناشر: مركز الدليل العقائدي
سنة الطبع: ٢٠٢٣ م - ١٤٤٤ هـ

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمركز الدليل العقائدي

تراث الإسلام

بين العلم الحديث ونظريات العباقرة

دراسة موضوعية في توافق معالم الدين مع الدراسات الحديثة

تقريظ سماحة المرجع الديني آية الله العظمى
السيد علاء الدين الموسوي الغريفي دام ظلته

تقريظ المجمع العلمي للاستنباط والدراسات الاجتماعية والمعرفية
بإشراف سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد محمداهر الخاقاني دام ظلته

تأليف

السيد حسن الياسري

عَلَّامٌ خَفِيٍّ
الْمُحِيطُ
الْمُحِيطُ
الْمُحِيطُ
الْمُحِيطُ

تقريظُ أستاذنا المعظم سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد علاء الدين الموسوي الغريفي دامت ظلته

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، ومتحفهم بشرعه
المتين، ومنور دروبهم بمنهاج أتباعه الذي أقرّه ونشره لتصحيح طاعة
المطيعين، النبي الصادق الأمين، وضعاً أو تشبيداً من مضامين روح أي
القرآن المبين، من كل ما تحتاجه الأمة حتى من مبتكرات خير العناوين،
لصالح صميم أهداف البشريّة وعلى مستوى خير مفازي الخلق الثمين،
حتّى ولو كعناوين كشكول منثورة دررها ما بين هنا وهناك بصفاءها
كشفافية بياض اللّجين، مما أنجزه طلابنا الماهرون خطابةً وتدويناً
بالأسلوب الرصين.

والصلاة وأتم السلام على محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين،
واللعن الدائم على أعدائهم ومبغضيههم أجمعين من الآن الى يوم
الاقتصاص من الظالمين، وبعد:

فإنّ من أفضل من رأيناه في طموحاته المستمرة، وانجازاته التدوينيّة
المتواصلة من بين طلابنا الأفاضل الأعزّاء وذوي الطموحات
والانجازات المشابهة في الحوزة النجفيّة الشريفة هي رغبات فضيلة
ولدنا ومعتمدنا المحصلّ البار العلامة الخطيب (السيد حسن الياسري
"أيده الله تعالى") في مجالات الترويج للدين الحنيف المتعددة - مع دوامه

المتواصل على حضور بحوثنا الفقهية العلمية الخارجية الصباحية - في مشروعه المقترح الجديد الذي قدمه إلينا لتأييده وتوثيقه والتبريك له وهو المسمى بعنوان (تراث الإسلام بين العلم الحديث ونظريات العباقرة)، لينتفع منه المؤمنون شباباً وشيباً ومن يرجع إلينا في الأحكام، والقابل لأن يكون في نفعه خزانة للتنوّع والتخصص في آن واحد، ليكون في دقائقه الواقعية بعيداً كل البعد كما عهدته شديداً في ذات الله تعالى عن التطرّفات الحديثة والخارجة عن أطوار محدودات القرآن والسنة جهد الإمكان.

أسأل الله تعالى أن يبارك له في هذا وأمثاله وبدوام المعطاء منه، وأوصيه ونفسي بالاحتياط فإنّه سبيل النجاة، وبالورع والتقوى في السر والعلن، فإنّهما خير زاد ليوم المعاد، وإلى مزيد من التدقيق والتعمق لصالح الموالاة والبراءة من الأعداء، وعساني أن لا أكون مأیوساً في أن تعطي حوزتنا المعطاء - كجناب السيد الجليل وأمثاله المثابرين معه - مزيداً من أمثال هذا الديّن، لأنّ الأمل بالله كبير لإكمال مسيرة الدين ودحر اعتراض الأبالسة والشياطين بهذه المساعي، وأن لا ينسانا من صالح دعواته، كما لا ننساه.

والسلام عليه وعلى من حوله من المؤمنين أولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
 الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق اجمعين ومتقهم شرعه المبين ومنور دهرهم
 بمنهج انبأه الذي اقره وشره لتصح طاعه المطيعين النبي الصادق الامين وصفا
 او تشييد من مضامين روح ابي القرآن المبين من كل ما يحتاجه الامه حتى من مبكرات
 خير النمازين لصالح صميم اهداف البشرية وعلى مستوى خير مفازي الخلق النمين حتى ولو
 كمنابرين كشكود منشورة دبر رهاما بين هنا وهناك بصفتها شفا فيه بياض البين
 ما اجزئه طلابنا الماهرون خطابه وتذويتا بالاسلوب الرصين . والصلاة والسلام على
 محمد المصطفى وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على عداوتهم وبغضهم اجمعين من الان الى يوم
 الاقصاص من الظالمين ولعمرك فان من افضل من رايهاه في طوخاته المسمرة واجازاته السريه
 المتواصله من بين طلابنا الافاضل الاغراء وذوي الطوجات واللائحات المشابهة في الخواص الجففيه
 الشريفه هي رغبات فضيلة ولدنا ومعتقدنا المحصل البار للعلامة الخطيب (السيد حسن الياسري)
 ايده الله تعالى في مجالات الترويج للدين الخفيف المتعدده مع دوامه المتواصل على حضور جوسا
 انقصه العلميه الخارجيه الصباحيه . في عتده المقترح الذي يدل الذي قدمه السالسا بيده وتوثيقه
 والبريك له وهو المسمى بعباده (تراث الاسلام بين العلم الحديث والظريات المعاصرة) لتسقي
 المؤمنين شيئا وشيئا ومن يرجع اليها في الاحكام والقبائل لا يكون في نفعه خزائنه للسوق المتخصص
 في آه واحد لكونه في دقائق الواقعيه نعمد كل البعد كما عهدته شديدا في ذات الله تعالى عن
 للمخترقيات الحديثيه والخارجيه عن احوار محدثات القرآن والسنة جهد الامكان ، اسأل الله
 تعالى ان يبارك له في هذا وامثاله وبدوام المصطاء منه واوضحه ونفسي بالاحتياط فانه سبيل
 النجاه وبأنورع والتقوى في المسار والعلل فانها خير دار ليوم المعاد والى عزدي عن التدقيق والتحقق
 لصالح الموالاه والبرائه من الاعداء . وعاشي انه لا اكون مأثورا في انه تغطي خزانة المعطاء
 كجباب السيد الخليل وامثاله المشايخين معه - سرديا منه امثال هذا المديونه ، لانه الاعمال بالله
 كثير لا كمال مسرة الدين ودراجته من الايامه والسياتين بهذه المساعي وان لا
 نيتا فامره صالح دعواته كما لا تشاه .

والسلام عليه وعلى من حوله من المؤمنين اولاد وآخرا ورحمة الله وبركاته ،
 الجليل الاسرف ٢٢ رجب المرجب ١٤٤٣ هـ

علاء الدين الياسري
 القري

صورة التقريظ الخطي

تفريظ المجمع العلمي للاستنباط والدراسات الاجتماعية والمعرفية بإشراف

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد محمدطاهر الخاقاني دام ظلته

بسمه تعالى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.
فقد التمس منا الابن النبيل والاستاذ الجليل، السيد حسن الياسري
(دام عزه)، وهو الحائز على المكارم، والفائز بالجوائز، أن ننظر في
كتابه (تراث الإسلام بين العلم الحديث ونظريات العباقرة)، فوجدناه
بحمد الله قد أجاد وفاد، وأتى على المقصود والمراد، بما وفق إليه من
حسن العبارة، وبراعة الإشارة، فقد أجهد نفسه في جمع شتات العبارات،
وألّف بينها بأسلوب علمي منهجي، يسهل على القارئ فهم المطالب بدون
تعقيد ولا ملل، فبارك الله في عمله، وجعله نافعا شافعا له يوم القيامة، إنّه
سميع مجيب.

مؤسسة المجمع العلمي
للاستنباط والدراسات الاجتماعية والمعرفية
النجف الأشرف
٥ شعبان المعظم ١٤٤٣ هـ

مكتب سماعة آية الله العظمى
الشيخ محمد محمدطاهر شبير الخاقاني
النجف الأشرف
٥ شعبان المعظم ١٤٤٣ هـ

بسمه تعالى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

فقد التمس منا الابن النبيل والاستاذ الجليل، السيد حسن الياسري (دام عزه)، وهو
الحائز على المكارم، والفائز بالجوائز، ان ننظر في كتابه (تراث الاسلام بين العلم الحديث
ونظريات العباقرة)، فوجدناه بحمد الله قد اجاد وفاد، واتي على المقصود والمراد، بما وفق
اليه من حسن العبارة، وبراعة الاشارة، فقد اجهد نفسه في جمع شتات العبارات، وألف
بينها بأسلوب علمي منهجي، يسهل على القارئ فهم المطالب بدون تعقيد ولا ملل،
فبارك الله في عمله، وجعله نافعا شافعا له يوم القيامة، انه سميع عجب.



مؤسسة الجمع العلمي

للاستنباط والدراسات الاجتماعية والعرفية

النجف الاشرف

٥ شعبان المعظم ١٤٤٣ هـ



٥ شعبان المعظم ١٤٤٣ هـ

صورة التقريظ الخطي

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله تعالى
والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله الأخيار الأبرار،
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، وبعد:

قد أنعم الحق جل مجده علينا بنعمته الكبرى إذ هدانا بهدي الإسلام
وعرّفنا تراثه، ومن أبرز إعجازه العلمي هو القرآن الكريم وكلام
الرسول الأعظم ﷺ وأحاديث عترته الكرام رضي الله عنهم، والملفت للنظر أن
آيات الوحي المبين متجددة بذاتها، فكلما مر الزمان كلما تكتشف
معارفها.

وهذا الكتاب كُتِبَ بطريقة الطرح الحضاري إذ حاولتُ فيه الجمع
بين بعض مفاهيم الإسلام العزيز وأفكار رجال الفلسفة وعباقة التاريخ
لتكن المواد المطروحة متنوعة الأفكار وذات فائدة لجميع طبقات
المجتمع.

وقد انتخبتُ بعض المواضيع المتداولة بين أوساط المؤمنين
والمثقفين، وذات السؤال المتكرر عن مضامينها ومداليلها، ومن الغايات
التي أود الإشارة إليها في هذا الكتاب بأن الكثير من المبادئ والقضايا
الحضارية قد سبق طرحها في حضارتنا الإسلامية، وهذا مما يزيد

المسلمين فخراً واعتزازاً بدينهم وقد أبدع في ذلك أحد أساتذة علم الرياضيات فعندما كان يطرح معادلة رياضية في الجامعة يقول: هذه معادلة جديدة كشفت -مثلاً- في القرن السادس عشر، ولكن ليست علينا - كشيعة - بجديدة لأنها موجودة في تراثنا الإسلامي قبل أكثر من ألف عام، وعلى هذا المنهج قام أحد المحامين والقضاة - وكالةً - بتأليف كتاب يتضمن عهد إمام المتقين عليه السلام لمالك الأشتر رضوان الله عليه حيث قارن بين ما ورد في العهد من مبادئ وبين ما توصلت إليه الحضارة الحديثة من نظم إدارية وقوانين وأعراف وأصول اقتصادية ومالية وغيرها.

وهكذا صنع أحد أساتذة جامعة طهران الطبية إذ ربط بين تعاليم الإسلام وبين العلم الحديث وذلك في موسوعته الثقافة الصحية.

وفي الوقت ذاته إن كتابي هذا هو رسالة إلى أولئك المنبهرين والمعجبين في الحضارة الغربية إذ أسرفوا في نقل آرائهم وقوانينهم ظناً منهم أنها تمثل قمة التقدم، حتى بدى عند البعض التخلي عن شريعتنا المقدسة كمنهج في الحياة.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً.

المؤلف

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

مدخل:

حقيقة الإسرائيليات في التراث الإسلامي

يجدر بنا قبل الدخول في مواضيع الكتاب أن نعرف حقيقة الإسرائيليات في تراثنا الإسلامي وأسبابها ونتائجها، وكيفية التمييز بينها وبين ما هو حق وموثوق، لنعلم بعد ذلك أن ما أوردناه في هذا الكتاب كان من الأخير - أي من الموثوق والمعتمد -.

تعريف الإسرائيليات في اللغة والاصطلاح:

تعريفها لغةً: وهي مأخوذة من لفظة إسرائيل، وإسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه السلام، وهو مركب من كلمتين (إسرا) و(ئيل)، وإيل من أسماء الله تعالى عبراني أو سرياني^(١).

أما المعنى المركب من إسرائيل فهو عبدالله، وقيل: صفوة الله^(٢).

تعريفها اصطلاحاً: قد عرفوها بتعاريف عديدة لا تخلو من إيهامات وملاحظات، ونكتفي بذكر تعريف واحد وهو المختار.

(١) تاج العروس ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٥٧.

الإسرائيليات: هي كل ما أدخل في التراث الإسلامي من افتراءات وأساطير أهل الكتاب^(١).

تعريف السُّنة وحجيتها: تحتل السُّنة النبويّة المكانة العالية، عند المسلمين عامة لما تمثله من مصدر تشريعي، ولما لم يكن بإمكان أعداء الدين أن يحرفوا القرآن الكريم والتلاعب فيه، فقد انبروا للتلاعب بالسُّنة النبويّة.

تعريف السُّنة اصطلاحاً عند الامامية: (وهي قول الحجة أو فعله أو تقريره)^(٢)، أي إنّ قول وفعل وتقرير المعصوم الشامل للنبي الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ من بعده.

أما تعريفها عند العامة: وهي عبارة عن كل ما شرعه الرسول ﷺ لهذه الأمة قولاً وفِعلاً^(٣).

دليل حجيتها: بما أنّ السُّنة الشريفة هي القائمة بمهمة بيان أصل التشريع وجميع خصوصياته من قبيل القيود والشرائط والأجزاء، فهي المتممة لما في الكتاب العزيز كي تقيد مطلقاته وتخصص عموماته

(١) حقيقة وجود الإسرائيليات في التراث الإسلامي ص ٤١ للعلامة الكبير استاذنا الشيخ علي الغرباوي (دام عزه) حيث استفدنا منه البحث المطروح، واخترنا تعريفه كونه قد ناقش في كتابه المذكور كل التعاريف فلم تكن وليدة الدليل العلمي، بل إنّها وليدة تراكم المرتكزات الذهنية.

(٢) كفاية الاصول ص ٢٩٣ للمحقق الخراساني رحمه الله.

(٣) قواطع الأدلة في الاصول ص ٥١ للسمعاني.

وتبيّن مجملاته، فهي من ضروريات الدين، وقد أُسْتُدِلَ على حجية السنّة بأدلة كثيرة وأهمها:

١- القرآن الكريم: وأهم الآيات التي بها يتم المطلوب قوله سبحانه:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١)، ودلالة الآية

بأنّه لا بُدَّ من الائتمار بأوامر النبي ﷺ والانتهاز عن نواهيه.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، ودلالة الآية أنّ وظيفة الرسول ﷺ هي شرح

القرآن وبيانه وايضاحه.

٢- العقل: وهو على نحوين:

الأول / العصمة: فإنّه قد يتم الالتزام - عند الامامية - في علم

الكلام بشمول عصمة النبي ﷺ لتمام الأفعال، فعصمته مانعة عن

صدور الذنب والغفلة واللغو.

الآخر / عدم الكذب واللغوية: فإنّه لما لا يمكن صدورها من

الصادق المصدق، كما لا يليق بمن أرسله الله لتعليم الناس الكتاب

والحكمة أن يصدر عنه اللغو.

٣- سنّة أهل البيت ﷺ: كان الكلام فيما سبق بتعريف وحجية سنّة

النبي الأعظم ﷺ، والآن نبين حجية سنّة أهل البيت ﷺ على

(١) سورة الحشر الآية ٧.

(٢) سورة النحل الآية ٤٤.

نحو الإيجاز، فقد استدللّ على عصمة أهل البيت عليهم السلام بعدة أدلة وأهم دليل على حجية سنّة النبي صلى الله عليه وآله هو العصمة هكذا هو الحال في عترته عليهم السلام، فمن الآيات الدالة على عصمتهم آية التطهير والمباهلة والولاية وغيرها، ومن السنّة النبويّة حديث الثقلين المتفق عليه وحديث الخلافة الاثنا عشر وغيرها.

٤- سنّة الصحابة: لم يرد دليل من الكتاب الكريم أو سنّة النبي صلى الله عليه وآله على حجية سنّة الصحابي، وقد استدلل الشاطبي بجملة من الآيات والروايات وهي بذاتها التي استدلل بها الآخرون، وعند التأمل فيما أورده ومناقشته نرى عدم اثبات المدعى، ونشير سريعاً الى ما أورد:

أولاً: ثناء الله عليهم ومدحهم بالعدالة وما يرجع اليها، كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢)، قال: ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم... وفي الثانية إثبات العدالة مطلقاً^(٣).

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٣) الموافقات ج ٤ ص ٤٥ للشاطبي.

ويُرد عليه:

١- إنَّ إثبات أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم لا تعني الاستقامة لكل فرد منهم، بل تكفي الاستقامة النسبية لأفرادها، ثمَّ عندما ننظر الى تعقيب الآية قال تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فتكون الأفضلية من جهة تشريع الأمر بالمعروف لهم والنهي عن المنكر.

٢- إنَّ الآية واردة في مقام تفضيل هذه الأمة على الأمم الأخرى، لا في مقام جعل الحجة لكل ما يصدر عن أفرادها من أقوال وأفعال وتقريرات.

٣- وإذا تم الدليل - تنزلاً - فإنه يكون شاملاً لجميع أفراد الأمة وليس الصحابي فقط، وهذا لم يدَّعه أحد^(١).

ثانياً: ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأنَّ سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي ﷺ كقوله ﷺ: (فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسکوا بها وعضوا علیها بالنواجز...)، وقال ﷺ: (أصحابي مثل الملح، لا یصلح الطعام إلا به)، وقال ﷺ: (إنَّ الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى

(١) ينظر الأصول العامة للفقہ المقارن ص ١٢٩ - ١٣٠.

النبیین والمرسلین، وأختار منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان
وعلياً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير^(١).

ويُرد عليه: بعد غض النظر عن أسانيد هذه الروايات، فهي
لا تسلم من عدة اشكالات:

أما الرواية الأولى فهي أخص من المدعى، فهي لا تدل على
ثبوت حجية السنّة لجميع الصحابة، على أنّنا نشكك في من
المقصود بالخلفاء الراشدين، مضافاً الى أنّ حجية سنّة الصحابة
فيما لو كانت محصورة بالخلفاء الأربعة فإنّه يرد عليها رفض
الإمام علي عليه السلام لسيرة الشيخين عندما عرضت عليه الخلافة
بشرط العمل بسيرتهما^(٢).

وأما الثانية والثالثة فهما لا تدلان على أكثر من التفضيل،
فإذن هما أجنبيتان عن المدعى.

(١) الموافقات ج ٤ ص ٤٦.

(٢) ينظر الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٤٤٤، وتاريخ الطبري ج ٤ ص ١٥٧، وغيرها.

أسباب دخول الإسرائيليات ونتائجها:

١- عزل أهل البيت عليهم السلام الذين أوصى النبي الأعظم ﷺ بالتمسك بهم.

٢- منع تدوين الحديث، فعندما رُفِعَ شعار (حسبنا كتاب الله)^(١)، فقد أقصي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وبعد السباق في إعلان هذا الشعار والذي تممه فيما بعد وهو عمر - كما سيأتي الحديث عنه في النقطة الثالثة - فقد أعلنه الأول صريحاً فقد روى الذهبي: (إنَّ الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنَّكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدَّ اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله...)^(٢).

٣- حرق الأحاديث المُدَوَّنة: روي عن عائشة أنَّها قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت: فغمني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بُنيَّة هلمِّي الأحاديث التي عندك فجثته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت: لمَّ أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد اتئمتته ووثقت، ولم يكن

(١) البخاري ج ١ ص ٣٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩.

كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك^(١)، وبهذا فإنَّ الأول هو أول من استخدم اسلوب حرق أحاديث النبي الأعظم ﷺ، ثمَّ جاء صاحبه عمر وفعل مثله فقد روي: أنَّ عمر بن الخطاب بلغه أنَّه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها وقال: أيها الناس، إنَّه قد بلغني أنَّه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها الى الله أعدَّ لها وأقومها، فلا يبقينَّ أحد منكم كتاب إلاَّ أتاني به، فأرى رأيي، قال: فظنوا أنَّه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار، ثمَّ قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب^(٢).

٤- الرجوع لمسلمي أهل الكتاب عند احتياجهم لأي أمر جهلوه، وتمكينهم من منبر الحبيب المصطفى ﷺ، وأخذ بعض الصحابة كتبهم التي وجدوها عند فتحهم بعض البلدان كبلاد الشام.

٥- التدوين المتأخر: عندما احتاج أبناء مدرسة السقيفة الى تبين القرآن الكريم وأحكامه، وهذا لا يحصل إلاَّ بالسنة النبوية وأحاديثه الشريفة، فقد سعوا الى التدوين وذلك في القرن الثاني.

ولهذه الأسباب وغيرها دخلت الإسرائيليات في التراث الإسلامي وذلك في مدونات مدرسة السقيفة، والتي عليها المعول والموجودة بين أيديهم الآن كالصاح الستة، وقد تعرضنا لتفاصيل الموضوع في كتابنا

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠ - ١١.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٩٦.

(المدارس الفكرية) فراجع، وعند النظر الى سني ولادات مؤلفي الصحاح وسني وفياتهم يتحصل لدينا أنها قد دوّنت كتبهم في القرن الثاني والثالث الهجري، أي بعد النبي الأعظم ﷺ بما لا يقل عن ١٩٠ سنة، وإذا لم تخلو ما تسمى بالصحاح من الآثار الخطيرة والتي منها الإسرائيليات.

التدوين عند الامامية:

لم يمنع أبناء مدرسة أهل البيت ﷺ أوامر المنع والتهديد من تدوين أحاديث النبي ﷺ وعترته الطاهرين ﷺ، فكانوا أول من دَوّن وحفظ التراث من أصحاب وتابعين وعلماء، ومع ذلك فقد أُسس علم الرجال، وذلك للبحث عن أحوال أصحاب المعصومين ﷺ وأحوال الرواة، وذلك من أجل توثيق الروايات والكتب الروائية التي وصلت إلينا، صوناً للأخبار من الدس والتزوير وحفظاً لتراث الأئمة الهداة ﷺ من الضياع، يقول سيدنا الاستاذ: "ومن جميع ذلك يظهر شدة ما لاقى هؤلاء الأعلام رضوان الله عليهم في هذا السبيل، وعظيم ما بذلوه من الجهد والتضحيات الجليلة، فإنهم إنَّما تحملوها من أجل الحفاظ على تراث أهل البيت ﷺ وإيصاله الى الأجيال اللاحقة، وبفعلهم هذا أزالوا الخطر العظيم الذي كان يحيط بأخبار أهل البيت ﷺ كما أرشد إليه الإمام الصادق (ع): (لولا زرارة ونظراؤه لظننت أن أحاديث أبي ﷺ

ستذهب^(١)...، فلا يتصوّر فيهم التقصير في جانب من جوانب هذا الموضوع المهم أهملوا أمراً منه غفلت عنه الأجيال اللاحقة دون أن يحصل لهم الالتفات إليه مع ما نراه من التمهيط والتحقيق فيما خلفه هؤلاء الأعلام، وما ذكروه من النقود العلمية من أولئك الأعلام بعضهم على بعض^(٢).

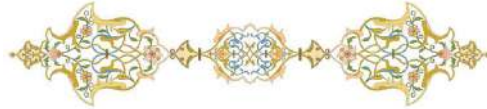
إذن؛ فالتراث الإسلامي الذي نتعبد به هو الخالص من الشوائب الوارد عن أهل العصمة والقداسة عليهم السلام، وعليه الاعتماد في بحوثنا الفقهية والعقائدية والاجتماعية وغيرها، وليعلم أيضاً إننا لسنا كأولئك المتعصبون المتطرفون الذين لم يتخلقوا بالأخلاق الفاضلة والنزاهة العلمية كما نراه في كتبهم، فإننا نأخذ من غير الامامي ما هو مرتبط بالدين بشرط موافقته وحسب الميزان القرآني، يقول سيدنا الاستاذ: (فلا مانع من جعل هذه الروايات الايجابية من السنّة بالمصطلح التسنّني كما في مفاد قاعدة الالتزام^(٣))، أو بالمصطلح اللغوي العام، وأمّا بمصطلحنا الأصولي الخاص والتشديد في ضوابطه فلا يمكن إلاّ بجر المضمون الايجابي لصالح رواياتنا الواردة من طرقنا لا ما جاء بغضاً من طرقهم منسوباً إليهم....

(١) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٤٢ للحر العاملي قده.

(٢) تقرير تهذيب الأصول ج ٧ ص ٥٠٥ لآية الله العلامة سماحة السيد علي السبزواري رحمته الله نجل الفقيه العارف السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري قده.

(٣) قول الإمام عليه السلام: (الزموهم بما ألزموا به أنفسهم) الوسائل ج ٢٦ ص ١٥٨.

لا شك أنَّ علمائنا أخذوا بروايات العامة والتي جاءت من طرقهم خاصة، لكن ليس بأجمعها، وإنَّما بروايات الثقات الذين لا يكذبون، أو ما دلَّت القرائن على صدق بعضهم ولو صدفة، بل ازداد أخذهم من ذلك حتى ولو كانت الروايات مختلفة ونحو ذلك، ... ولكن مضامين هذه الروايات أو بعضها معتقد بها عند العامة وكانت من حيث النتيجة توافق مذهب أهل البيت عليهم السلام لجمع الشمل وإنجاح عملية التقريب بين المذاهب من الأغراض الثانوية^(١).



(١) مساعي الوصول الى المثمرات من الاصول ج ٣ ص ٣١٨ - ٣١٩ للمرجع الديني آية الله العظمى سماحة السيد علاء الدين الموسوي الغريفي دامت ظلته.



حقيقة الروح:

قال الحق جل مجده: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (١).

طرحنا نظريات وعقائد مختلفة عن حقيقة الروح فبلسان ابن سينا: جوهر مجرد، وبلسان الشيخ البهائي: هي المادة البخارية المصفاة من الدم والتي تحصل من البطين الأيسر من القلب، وفي هذا المكان ما يعبر عنه الإنسان بالآنا وما يعبر عن النفس بالناطقة، ورابطة الروح بالجسم على هيئة الحلول فيه أو هي ليست جزءاً من أجزاء الجسم، بل إنّ الروح أصلاً ليست من الصفات الجسمية، وهي منزهة عن العوارض المادية وإنّ ارتباطها بالجسم فيه جنبه إدارية وتديرية (٢).

وللروح على ما يصرح به علماء النفس أربعة حواس:

١- **حاسة المعرفة:** وهي التي ترفع الإنسان وتحثه على طلب العلم، وتثير في نفسه الشوق الى التعلم سواء كان ذلك ذا نفع

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٢) الأموات يتكلمون معنا ص ١٠ للسيد محمد الرضوي.

مادي له أو لم يكن، ولذا يقول ألبيرت انشتاين صاحب النظرية النسبية: يبدأ الإنسان بالحياة عندما يستطيع الحياة خارج نفسه^(١).

٢- **حاسة حب الصلاح:** وهي مصدر الأخلاق الإنسانية الصالحة لدى البشر، ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَارَ أَعْدَاءَهُ أَخْلَاقاً مِنْ أَخْلَاقِ أَوْلِيَائِهِ لِيَعِيشَ أَوْلِيَائُهُ مَعَ أَعْدَائِهِ فِي دَوْلَاتِهِمْ)^(٢)، وفي رواية: (لَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا تَرَكُوا وَلِيّاً لِلَّهِ إِلَّا قَتَلُوهُ)^(٣).

٣- **حاسة حب الجمال:** وهي منشأ ظهور الفن والشعر والأدب، قال تلميذ لأستاذه: لماذا يشعر الجميع بالسعادة إلا أنا؟ قال الاستاذ: لأنهم تعلموا كيف يرون الخير والجمال في كل شيء، قال التلميذ: ولم لا أرى الخير والجمال في كل شيء؟ فأجاب الاستاذ: لأن ما تعجز عن رؤيته بداخل نفسك تعجز عن رؤيته خارجها، وهذه اللفتة النفسية عبر إيليا أبو ماضي عنها بشعره:

(١) حياتنا كيف نفهمها ص ٦٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠١.

(٣) نفس المصدر.

أَيْهَا الشَاكِي وَمَا بَكَ دَاءٌ كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلاً
أَيْهَا الشَاكِي وَمَا بَكَ دَاءٌ كُنْ جَمِيلاً تَرَى الْوُجُودَ جَمِيلاً
وَالَّذِي نَفْسُهُ بَغِيرُ جَمَالٍ لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئاً جَمِيلاً
تَمَتَّعَ بِالصَّبْحِ مَا دَمَتْ فِيهِ لَا تَخَفُ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَ^(١)

٤- **حاسة التوجه الديني:** وهي الحاسة التي تدفع الإنسان الى معرفة الله وهذا ذو جذور أصيلة في الإنسان أي أنه لم يفارقه لحظة، ولذا يؤكد علماء الاجتماع أن البشرية لم يمر بها زمان يخلو من الدين أو الإيمان والاعتقاد بشيء فقد كان الدين موجود في كل عصر وزمان^(٢)، ولذا عندما أوشك فرعون على الغرق في أمواج النيل وقد حكم عليه الماء بالإعدام وهو عاجز حتى رفع أمواج هذا الماء ويده قاصرة أمامه أخذ يصرخ عالياً: لا إله ولا معبود سوى إله موسى العظيم، وهذه الصرخة من فطرته الباطنية.

ولنعود الى الروح فهي حقيقة مجهولة وقد حار فيها عقلاء العالم وأعلن أكثرهم عن عجزهم في سبل غورها، والاطلاع على ماهيتها كما هي، حتى ان أحد العلماء فسر الحديث الوارد: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٣)، قال: مراده كما أن الوصول الى حقيقة الإنسان غير

(١) العيادة النفسية ص ٢٥ لمؤسسة البلاغ.

(٢) دروس في العقائد الاسلامية ص ٢٦ للشيخ مكارم الشيرازي دامته.

(٣) ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٨٧٧.

ممكن فالوصول الى معرفة ذات الله تعالى مستحيل أيضاً^(١)، وبهذا القول نستطيع أن نقول: إنَّ عدم معرفة ذات الإنسان بذاته تجعله يُدرك أنَّ الذات القدسية لله التي أكبر وأعظم فهي من باب أولى لا يستطيع إدراكها ولذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في دعاء صباحه: (يا من دل على ذاته بذاته) فهو يعرف كنه ذاته لا غير، وللشاعر فريد الدين العطار كتاب اسمه (منطق الطير)^(٢)، خلاصته: إنَّ الطيور اجتمعت وقررت أن تقطع رحلة البحث، وتفشل مجاميع كبيرة من الطيور عن مواصلة الرحلة بسبب التعب أو الملل، وانخفاض الهمم، أو الطاقات المرتفعة لدى جموع غفيرة منها وتتجح في الرحلة فقط ثلاثون طيراً، فلما وصلنَّ الى المحطة الأخيرة، هناك في أعلى الذروة ومنتهى الشوق واقصى الذوبان في الحب تتلفت الطيور الثلاثون التي تحمل الشوق أجنتها لرؤية المعشوق فلا ترى إلَّا ذاتها، والذي يريد أن يصل إليه فريد الدين في الثلاثون طيراً؟ إنَّه نفس ما تقوله بعض الدراسات النفسية المعاصرة التي تعتقد أنَّ العلاج الروحي هو أفضل عقار للصحة النفسية وهو إنَّ الوصول الى الله يعني العثور على الذات وهنا يمكن أن نعيد المقولة: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) على ضوء هذه الحقيقة.

(١) الاموات يتكلمون معنا ص ١٠.

(٢) العيادة النفسية ص ١٤.



القرآن الكريم والاكتشافات العلميّة:

قال الحق جل مجده: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

إنَّ القرآن الكريم ليس كتاباً من كتب العلوم الطبيعيّة، بل هو كتاب هداية وبناء لروح الإنسان، وهذا ما عليه الأنبياء والأولياء عليهم السلام ومن سار على نهجهم من العلماء والدعاة إلى الدين الحق، وهذا هو اختصاصهم، وقد أبدعوا فيه أيّما إبداع، ومن الغريب والمؤسف أن يلاموا أو تثار الشبهات في أوساط محبيهم - بتخطيط من وراء الكواليس بأيادي أجنبية - بأنّهم لم يستطيعوا صناعة الأسلحة، أو الطائرات، أو غيرها لكي تنتفع بها البشرية، والحقيقة التي لا تغيب عن كل عاقل منصف أنّ كل ذلك يقع على ذوي الاختصاص في المجالات المذكورة ومن تُصَرَّف لهم المليارات من الأموال من خزانة بلادهم دون تقديم أي مقابل، بل نرى بعض ذوي الاختصاص وممن امتلوا من خزينة البلاد بالأموال الطائلة يوجه البوصلة باتجاه غيره لكي يرمي بالذنب من ليس عليه، ومما يؤسف له أنّ أصحاب الجهل المركب تنطلي عليهم تلك

(١) سورة فصلت الآية ٥٣.

الخدع فيقعون في سب علمائهم وقدوتهم دون ورع ولا رادع، وعلى كل حال، فالقرآن الكريم هو دستور يضم الكثير مما ينفع الإنسان روحياً ومعنوياً، وكما قلنا أنه ليس كتاب متخصص في تأسيس قواعد لعلوم الطبيعة والتجربة، إنَّما أشار بعض الإشارات ليرفع الستار عن بعض أسرار عالم الإمكان ويكشف أموراً لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً في ذلك الزمان، وقد اخترنا بعض النماذج في هذا الكتاب والتي منها ما سندرجه في هذا المبحث:

التصوير وتسجيل الأصوات:

عندما يتحدَّث الكتاب العزيز عن أعمال الإنسان يقول: ﴿يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾^(١)، في تلك الأيام لم يكن قد تمَّ اكتشاف التصوير وآلات التسجيل المرئية والسمعية، كما عليه اليوم والتي هي في تطوير دائم مفاجئ.

قانون الجاذبية:

كان نيوتن يوماً جالساً تحت شجرة تفاح، فسقطت تفاحة من الشجرة على الأرض فاستولى هذا الحدث الصغير على كل تفكيره وأمضى سنوات يفكر في القوة التي جذبت التفاحة إليها، لماذا لم ترتفع إلى السماء؟ وبعد سنوات توصَّل إلى وضع قانون الجذب العام الذي يقول:

(١) سورة الزلزلة الآيات ٤ - ٥.

"تتجاذب الكتلتان بنسبة طردية مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة بين مركزي ثقليهما" على أثر صياغة هذا القانون اتضح وضع المنظومة الشمسية، حيث أثبتت عدة أسئلة لا بُدَّ من الوصول إلى الإجابة الكافية حولها وهي كما يلي:

لماذا تدور هذه الكواكب العظيمة كلٌّ في مدار حول الشمس؟

لماذا لا تهرب من هذا المدار وتنطلق في كل اتجاه؟

لماذا لا تتراكم بعضها فوق بعض؟

ما هذه القوة الكبيرة التي تمسك هذه الأجرام في مدارات دقيقة في هذا الفضاء الشاسع، دون أن تتجاوزها حتى بمقدار رأس الإبرة؟

اكتشف نيوتن أنَّ حركة الجسم الدائرية تجعله يبتعد عن المركز وقانون الجاذبية يجذبه إلى المركز، فإذا ما تعادلت هتان القوتان القوة الدافعة عن المركز، والقوة الجاذبة نحو المركز، أي إذا أوجدت (الكتلة) و(المسافة) من (القوة الجاذبة إلى الداخل) والقوة (الدافعة إلى الخارج) مقادير متعادلة، يبقى الجسم يدور في مداره ولا يتعداه، وعندما تتأمل في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ

الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ^(١).

نرى في البيان القرآني كما في هذا النص المبارك إِنَّ القوانين التي
ذكرناها سابقاً قد ذكرها القرآن الكريم قبل أكثر من ألف سنة، كما وفسّر
مولانا الإمام الرضا عليه السلام الآية عندما سأله الحسين بن خالد عن قوله
تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾^(٢) قال عليه السلام: هي محبوكة إلى الأرض
وشبك بين أصابعه، فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول:
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا؟﴾! فقال عليه السلام: سبحان الله! أليس
الله يقول: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا؟﴾ فقلت: بلى، فقال عليه السلام: ثمَّ عمد ولكن لا
ترونه^(٣)، فلأجل تقريب الفكرة للمتلقي فقد عبّر عن قوة الجاذبيّة
بالأعمدة غير المرئيّة ليفهمه عامة الناس.

دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس:

سيطرت نظريّة بطليموس المصري نحو ألف وخمسمائة سنة على
عقول العلماء، والتي يقول فيها: "إِنَّ الأرض هي مركز الكون وإنَّ
جميع الأجرام الأخرى تدور حولها"، وعند ظهور القرآن الكريم لم يكن
أحد يجرو على القول بخلاف ذلك، ونجد ذلك جلياً في قوله سبحانه:

(١) سورة الرعد الآية ٢.

(٢) سورة الذاريات الآية ٧.

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ٧٧٤.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

فالبيان القرآني كما في الآية يصرِّح لنا بوضوح حركة الجبال مع أننا نراها ساكنة جامدة، وإنَّ تشبيه حركتها بحركة السحاب يفيد السرعة مع الهدوء، والتعبير بحركة الأرض بحركة الجبال إذ لا حركة للجبال بغير حركة الأرض من تحتها، أي أنَّ حركتها هي حركة الأرض نفسها، سواء كان المقصود دورانها حول نفسها أم حول الشمس أم كليهما، وينقل لنا التاريخ أنَّ غاليلو الإيطالي - أو جاليلو - هو أول من اكتشف دوران الأرض حول نفسها قبل نحو أربعة قرون، وبعد اكتشافه تابع العلماء نظريته وأكَّدوها، وثبت بعد التحقيقات الفضائية الأخيرة وبالتجارب الملموسة أنَّ الأرض تدور حول نفسها، وعليه فقد فقدت الأرض مركزيتها بالنسبة للكون بعد أن تبين أننا كنا من قبل ضحية خطأ حواسنا.





علم الكيمياء بإشارات قرآنية:

قال الحق جل مجده: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

القرآن المجيد دائماً يدعو الناس الى العلم والعمل ففي هذه الآية الكريم بعدان - بغض النظر عن الأبعاد الأخرى - :

البعد الأول: إِنَّ الإنسان إذا قام بالأعمال سواء صالحة أو طالحة فهي في محضر الله سبحانه وسواء كانت سرّاً أو علناً فالله لا يعزب عنه ذلك أي لا يغيب ولا يبعد فهو محفوظ عنده في كتاب جلي أحاط به علمه وجرى به قلمه وهذه رسالة الى الإنسان أنّه لا بُدَّ أن يعمل العمل الصالح الذي ينفعه ويترك له الأثر الطيب في حياته ويحمل في طياته الثواب الجزيل في آخرته.

أيُّها الكاتب ما تكتب مكتوبٌ عليك
فاجعل المكتوب خيراً فهو مردودٌ إليك^(٢)

(١) سورة يونس الآية ٦١.

(٢) ديوان الإمام علي عليه السلام.

البعد الآخر: وهو البعد العلمي الذي يدل على معجزته القرآنية ببلاغته وبإخباره عن أمور - على قصر لفظها - لكنها إشارة الى قواعد أساسية في مجالات متعددة كعلم الكيمياء - مثلاً - .

علم الكيمياء: وهو تحويل المواد الطبيعية الخام الى مواد أخرى يسهل على الإنسان استخدامها في حياته اليومية فاستطاع أن يكتشف علم الكيمياء من البترول ومشتقاته بعض المواد مثل: البنزين والسولار والقار والزفت والاسفلت وغيرها من المواد^(١).

وينقسم الى عدة فروع:

١- **الكيمياء التحليلية:** وهي تحليل عينات من المادة لمعرفة التركيب الكيميائي لها وكيفية بنائها.

٢- **الكيمياء الحيوية:** هي دراسة المواد الكيميائية والتفاعلات الكيميائية التي تحدث في الكائنات الحية.

٣- **الكيمياء غير العضوية:** وهي دراسة خواص وتفاعلات المركبات غير العضوية، ولا يوجد هناك حد واضح للتفريق بين الكيمياء العضوية وغير العضوية، كما أنَّ هناك تداخل كبير بينهما.

٤- **الكيمياء العضوية:** هي دراسة تركيب وخواص وتفاعلات المركبات العضوية.

(١) استقصدنا التعريف والفروع المذكورة من الكتب التخصصية في هذا المجال.

٥- **الكيمياء الفيزيائية:** هي دراسة الأصل الفيزيائي للتفاعلات والأنظمة الكيميائية ولمزيد من التحديد فإنها تدرس تغييرات حالات الطاقة في التفاعلات الكيميائية ومن الفروع التي تهتم الكيميائيين المتخصصين الحرارية والحركية والكم والميكانيكا الإحصائية، علم الأطياف.

وفي القرآن المجيد نجد هذه الإشارات في قوله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾^(١)، وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٢)، وفي ضوء الحقائق العلمية إنَّ هناك فرع مستقل في علم الكيمياء سميت بالكيمياء الذرية، وتعتبر الذرة أصغر جزء من أجزاء العنصر ويستمد منها صفاته، بل القرآن المجيد قد جذب النظر الى حقيقة وجود ما هو أصغر من ذلك الجزء ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) وكأنَّه يريد أن يصل الى رسالة تنبيه، ذرة تحتوي على الكترونات وبروتونات ونيوترونات، ومن الناحية الكيميائية فإنَّ العنصر يمتلك ذرات متشابهة، ولا غرابة فإنَّ القرآن الكريم هو كلام الله خالق كل شيء ومعلم الإنسان وواهبه العقل فإنَّه يشير الى هذه الحقائق العملية، ولا ننسى جابر بن حيان المولود في خراسان الذي درس عند مولانا الصادق عليه السلام فأعطاه الإمام قواعد وأساسيات علم

(١) سورة الحديد الآية ٢٥.

(٢) سورة الزلزلة الآية ٧.

(٣) سورة سبأ الآية ٣.

الكيمياء مما جعل ابن حيان أن يطور العلم الكيميائي ويضيف عليه الكثير من المعارف النظرية والعملية وقد كتب أكثر من ٣٠٦ رسالة في الكيمياء والتي تأثر بها الغرب ونقل عنها، يقول بيرت يلو: (إنَّ لجابر في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق)^(١).

ويقول البروفيسور الإنجليزي هولميارد: (إنَّ جابراً هو تلميذ جعفر الصادق عليه السلام وصديقه، وقد وجد في إمامه الفذ سنداً ومعيناً وموجهاً وراشداً أميناً لا يستغنى عنه، وقد سعى جابر على أن يحرر الكيمياء بإرشاد أستاذه من أساطير الأولين، وقد نجح في ذلك الى حد بعيد)^(٢).



(١) لماذا ايران؟ ص ١٢٢ للدكتورة زهراء العبودي.

(٢) الإعجاز العلمي عند الإمام الصادق عليه السلام ص ٥٠.



علم الفيزياء بإشارات قرآنية:

قال الحق جل مجده: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

الآية الكريمة من الآيات التي تبين للعالم بأنها من آيات البرهان والدلالة على توحيد الله سبحانه وربوبيته، وفيها إشارات علمية تدخل ضمن المجال الفيزيائي في العلم الحديث، ستأتي الإشارة الى ذلك خلال البحث.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: المراد بالرؤيا العلم الفكري في أمر محسوس، و﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ والرتق: بمعنى الضم والالتحام بين السماء والأرض، والفتق: الفصل بين المتصلين^(٢).

فالكون بناءً على تفسير هذه الآية الكريمة منضماً ومتماسكاً ثم بدأ يتمدد بالفضاء وهذه النظرية العلمية الحديثة عن الكون فقد توصل العلماء خلال أبحاثهم ومشاهداتهم لمظهر الكون الى أن المادة كانت

(١) سورة الانبياء الآية ٣٠.

(٢) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ٢ ص ٢٧٧.

جامدة وساكنة في أول الأمر وكانت في صورة غاز ساخن كثيف متماسك وقد حدث انفجاراً شديداً في هذه المادة قبل (٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) سنة على الأقل فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها ونتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً لا بُدَّ من استمراره طبقاً لقوانين (الفيزياء) التي تقول: إِنَّ قوة الجاذبية من هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجياً بسبب تباعدها ومن ثَمَّ تتسع المسافة بينها بصورة ملحوظة، ويُعَلَّق على النظرية الفيزيائية والباحث الرئيسي في بقاء قياس التدخل المكاني بالأشعة تحت الحمراء تشارلز تاونز: " لا أفهم كيف للنظرة العلمية لوحدها منفصلة عن النظرة الدينية شرح أصل جميع الأشياء، فصحيح أن الفيزيائيين يأملون معرفة ما كان قبل (الانفجار العظيم) وأن يشرحوا أيضاً أصل كوننا - كأن يكون نوعاً من التذبذب - لكن عندها سيعرض سؤال عن ماهية هذا التذبذب وكيف وجد أساساً؟ بنظري يبدو أنه لا يمكن الإجابة عن سؤال الأصل إذا ما استكشفنا ذلك من منظور علمي فقط، وهكذا أؤمن بالحاجة لتفسير ميتافيزيقي أو ديني نوعاً ما، وذلك في حال وجود تفسير^(١).

وعلم الفيزياء: هو علم الطبيعة في العربية، وبالإغريقية فيزيقا، ويعني الطبيعيا.

(١) اوبن كورث ص ١٢٣ إيلنوي بيرو.

وهو العلم الذي يدرس المفاهيم الأساسية لبنية المادة والتفاعلات بين عناصرها وكذلك يدرس الطاقة والحركة وقوة الجاذبية والقوى النووية، فهو التحليل العام للطبيعة الذي يهدف الى فهم كيف يعمل الكون والتقدم الحاصل اليوم بجميع الأجهزة التي تملأ حياتنا من التلفاز والراديو واللاسلكي والهاتف والحاسوب والرادار والكهرباء والميكرفون وغيرها، وكذلك ما يدخل في المجال الطبي كأجهزة التشخيص مثل: أشعة أكس والتصوير بالرنين المغناطيسي والعلاج بالأشعة والنظارات، وما يدخل بالخصائص الكونية مثل القوة والطاقة والكتلة والشحنة، ولأستاذ علم الفلك جيوفاني فازيو كلام رائع حول مفاهيم الفيزياء نقتبس بعضه: (أومن بأن الكون تطوّر بقوانين الفيزياء، لكن أومن أيضاً بأن الله هو من أنشأ هذه القوانين)^(١)، وما في الآية الكريمة كقضية الرتق والفتق بالنسبة للسموات فهي محل بحث في الفيزياء كما مر، والمقطع الثاني من الآية هو قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ فهو كذلك محل بحث لدى العلماء في الدراسة الفيزيائية وقد عرّفوا الماء: بأنه مركب كيميائي سائل عديم الرائحة والطعم واللون والأكثر توافراً على الكرة الأرضية وانتشاراً حيث يغطي ما نسبته ٧١٪ من مساحة الأرض ويرمز له علمياً بالرمز (H_2O) أ.ج، تو، أو، حيث يتكون من جزئي ذرة أوكسجين وذرتين هيدروجين ترتبط برابطة تساهمية، وحالات الماء في الطبيعة في ثلاث حالات:

(١) الإيمان بالخالق والعلم ص ٨١ للكاتب الأمريكي جوردن ليندز.

١ - الحالة الصلبة: يكون الماء فيها على هيئة ثلج أو جليد حيث

تكون درجة حرارته أقل من صفر مئوية.

٢ - الحالة الغازية: يكون الماء فيها على هيئة بخار ودرجات

حرارته تختلف باختلاف الضغط الجوي، والحق سبحانه يؤكد على أنَّ كل شيء في الوجود من الكائنات الحية لا بُدَّ لها من الماء، وهذا ما ثبت أنَّه لا غنى للإنسان والزراعة والحيوان عن ذلك، والملفت للنظر أنَّ علماء الحيوان اكتشفوا أنَّ هناك حيواناً لا يشرب الماء وإذا شرب الماء مات وهذا الحيوان يعيش في صحراء استراليا ويزن ما بين ٦٠ - ٧٠ كيلو يسمى بـ (الكنغر البري أو الفأر الكنغري) فقاموا بوضعه في المزارع وحاولوا أن يُشربوه الماء فكانت النتيجة أنَّه مات، فدرسوا حول هذا الحيوان فحصلوا على نتيجة: أنَّه بالإضافة لجهازه الهضمي والتنفسي يوجد لديه مصنع لتركيب الماء إذ يأكل هذا الحيوان نوع من الحبوب الموجودة في البيئة جافة جداً، وبعد هضمها في الجهاز الهضمي تنتج غاز الهيدروجين ويحصل على الأكسجين من الهواء فيقوم مصنع المياه الداخلي بتركيب الذرات فيتكون له الماء داخلياً.

ومن فوائد الماء إنارة الحياة فقد ورد أنَّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً على نهر الفرات وبيده قضيب ف ضرب به على صفحة الماء

وقال: (لو شئت لجعلت لكم من الماء نوراً وناراً)^(١) وهذه إشارة من الإمام لأنَّ العقول التي كانت في زمانه لا تتحمل أكثر من ذلك، وجاء اليوم الذي رأينا تلك الحقيقة فالعنصر الأول من تركيب الماء الهيدروجين فهو قابل للاحتراق واعطاء النور (وهي الكهرباء) والعنصر الآخر الاوكسجين يساعد على الاحتراق ويعطي الحرارة (وهي الطاقة الحرارية) وأبعد من ذلك فإنَّ وجود الماء الثقيل في الماء الطبيعي بنسبة (٢-١٠,٠٠٠) يجعله أفضل مصدر طبيعي للهيدروجين الثقيل الذي نسميه الدوتيريوم ونرمز له بالرمز (D) وهذا النظير هو حجر الأساس في تركيب القنبلة الهيدروجينية القائمة على اندماج ذرتين من الدوتيريوم لتشكيل الهيليوم علماً أنَّ الطاقة الناتجة عن القنبلة الذرية التي تقوم على انشطار اليورانيوم ولأخذ فكرة فإنَّ اصطناع غرام من الهيليوم نتيجة اندماج الدوتيريوم يعطي طاقة تساوي ٦٧٥ مليون بليون أرعة تساوي ٢٠٠ ألف كيلو واط ساعي.





علم الفلك بإشارات الآيات والروايات:

قال الحق جل مجده: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١).

القرآن الكريم يحتوي على مفاهيم متعددة ولكل آية من آياته أثر علمي وعملي وخاصية، ومن خواص هذه الآية وأثرها ما يروى عن معاوية بن وهب قال: كنت عند أبي عبدالله - الصادق عليه السلام - فصدع ابن لرجل من أهل مرو وهو عنده جالس، فشكا ذلك الى أبي عبدالله عليه السلام فقال: إيدنه مني فمسح على رأسه ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٢)، وكذلك من خواص الآية ما ورد عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام قال: (لم يقل أحد قط إذا أراد أن ينام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

(١) سورة فاطر الآية ٤١.

(٢) أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٨٤.

أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١﴾
فيسقط عليه البيت^(١).

ومن الآية نستفيد ثلاثة أبعاد:

البعد الأول / دليل على اثبات الصانع: فالآية من ضمن الآيات التي تدعو الإنسان الى مطالعة الكون وما فيه من النظم والإتقان حتى يهتدي الى وجود الله وعلمه وحكمته والذي يسمى برهان النظم من فروع قانون العلية يعني لكل حادثة فلها علة محدثة لا محالة، وبرهان النظم من أوضح البراهين العقلية ويقوم على مقدمتين:

أما الأولى فهي حسية: فإنَّ هناك نظاماً سائداً على الظواهر الطبيعية التي يعرفها الإنسان أمّا بالمشاهدة الحسية الظاهرية وأمّا بفضل الأدوات والطرق العلمية التجريبية وما زالت العلوم الطبيعية تكشف مظاهر وأبعاد جديدة من النظام السائد في عالم الطبيعة وهناك آلاف من الرسائل والكتب المؤلفة حول هذا الموضوع مليئة بذكر ما للعالم الطبيعي من النظام المعجب.

وأما الثانية العقلية: فهي إنَّ للعقل بعدما لاحظ النظام وما يقوم عليه من المحاسبة والتقدير والتوازن والانسجام يحكم بالبداهة بأنَّ أمراً هكذا شأنه يمتنع صدوره إلّا عن فاعل قادر عليم ذي إرادة

(١) ثواب الأعمال ص ١٥٢.

وقصد ويستحيل تحقق صدقه وتبعاً لحركات فوضوية للمادة
العمياء الصماء^(١).

البعد الثاني / دلالة على إعجاز القرآن الكريم: فإن النص القرآني
أخبر بحقائق كونية لم تكن مدركة للبشر في زمن ثبوت النص القرآني
وأثبتها العلم لاحقاً وهذا يشكل دليلاً قاطعاً على أن مصدره هو الله
سبحانه العليم القادر، وأنه معجزة تحمل في طياتها المعارف المتنوعة
والنظريات المختلفة، وكذلك أنه دليل على نبوة المصطفى ﷺ الذي أتى
به متحدياً العالمين بأن يأتوا بمثله أو بسورة مثله فالقرآن كل ما جاء به
لا يتعارض مع الحقائق العلمية التي اكتشفت بعد نزوله ولذا يؤكد هذا
الإعجاز العلمي والتوافق مع النص القرآني ضمن طريقة منهجية
الطبيب الفرنسي موريس بوكاي حيث ألف في نهاية تجربته كتابه
المشهور (التورات والإنجيل والقرآن الكريم بمقاييس العلم الحديث)
والذي ترجم الى سبعة عشر لغة وأعلن إسلامه.

البعد الثالث / هيمنة أهل البيت ﷺ على القرآن الكريم: قال
سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٢) ، فالقرآن حافظ لجميع الشرائع السماوية السابقة
ويشرف على صيانتها من الانحراف إشرافاً كاملاً ، ومحل الشاهد في

(١) محاضرات في الالهيات ص ٢٢ للشيخ جعفر السبحاني رحمه الله.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨.

الآية ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ وهيمنة الشيء على الشيء في اللغة: كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته، فالخاتم ﷺ مهيمناً على القرآن الذي فيه تبيان كل شيء وأهل بيته منه كما قال ﷺ: (ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك)^(١)، وأهل البيت ﷺ بيّنوا لنا معارف القرآن الكونية منها ما ورد عن مولانا أمير المؤمنين ﷺ قوله حول وصف الأرض: (وأساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم)^(٢)، والمتأمل في استدراج المعرفة التي أطلقها أمير المؤمنين ﷺ يرى أنه يتحدث عن أمور ما ثبتت إلا بعصور متأخرة بعد اكتشافها بالعلم الحديث فقضية الأرض بحركتها وسبحها في هذا الكون اللانهائي الحدود - حسب مفهومنا العقلي - بدون سند أو عمد شيء اعجازي وهذا مما يبحث في علم الفلك.

وعلم الفلك: هو الذي يدرس كل ما هو خارج في الفضاء الواسع كالأجرام السماوية والكواكب والنجوم وظواهر الفضاء الكونية مثل ظاهرة الإشعاع الميكروني الكوني^(٣).

(١) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٧.

(٢) مستدرک نهج البلاغة ج ٢ ص ١٧٠.

(٣) اقتبس التعريف من مصادر ذوي الاختصاص في الموضوع.

ويتفرع علم الفلك الى فرعين:

١- علم الفلك البصري: الذي يختص بدراسة الأجرام السماوية

ضمن النطاق المرئي باستخدام التلسكوبات وغيرها.

٢- وعلم الفلك الغير بصري: الذي يدرس الأجرام السماوية غير

المرئية من خلال الأشعة تحت الحمراء أو موجات أشعة غاما

أو غير ذلك.

وهذا عندما نتأمل بدقة لهذه العلوم حينها سنعرف قيمة العلم للدين والعقل الجبار الذي يمتلكه أهل البيت عليه السلام وكما مر علينا الحديث عن مولانا المرتضى عليه السلام الذي يصف الأرض بقوله: (وأساها على غير قرار) يعني الله سبحانه هو الذي ثبتها على حركتها لأن الأرض في حركة لا قرار فيها ولا وقوف، ويبيّن أن ليس لها قوائم ترفعها أو أوتار تسندها، ثم قال عليه السلام: (وعدل حركتها بالراسيات من جلايدها) وهذا ما أثبتته العلم الحديث أيضاً، ثم يكشف القصد ويطنب في التوضيح حتى لا يبقى من شك لشاك فيقول: (فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها، أو تسبخ بحملها، أو تزول عن مواضعها)، هكذا اتضح القول في زمن لم تكن للمعرفة أسباب آلية أو معارف استقرائية أو رياضية فهذه أوروبا وفي عصر قريب في سنة ١٦٠٩م بدأ (جاليليو أو غاليليو) العالم والفيلسوف الفلكي المعروف) حيث قام بصنع منظاراً بوضع عدستين في طرفي انبوبة من الرصاص وكان أفضل بكثير من الذي صنعه

ليبرشي وأنكب غاليليو على منظاره يحسن من صناعته، وكان كل فرد في ذلك الزمان يعتقد أنَّ الأرض مركز الكون وأنَّ الشمس وغيرها من الكواكب تدور حولها ولكن عندما نظر جاليليو من خلال منظاره لم يجد شيئاً صحيحاً من هذا كله فالأرض كوكب صغير يدور حول الشمس مع غيره من الكواكب وكتب نظرياته وبحثه في كتاب، فشكا بعض أعدائه الى سلطات الكنيسة الكاثوليكية بأنَّ بيانات جاليليو تتعارض مع أفكار الكتاب المقدس عندهم فذهب جاليليو الى روما للدفاع عن نفسه وتمكن بمهارته من الإفلات من العقاب لكنه إنصاع لأوامر السلطة بأن لا يعود لكتابة هذه الأفكار مرة أخرى وضل ملتزماً لمدة ستة عشر سنة فعاد ليكتب كتاباً بنفس الأفكار فحكم عليه بالموت أو أن يقر علانية بأنَّ الأرض لا تتحرك على الإطلاق وأنها ثابتة كما يقول علماء عصره فتنازل مرغماً وبقي سجيناً، لكن بتطور الزمان كشفوا أنَّ ما ذهب إليه كان صواباً، ولكن يبقى الفخر لمن أثبت ذلك في عصر الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، وهكذا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنَّ الشمس لو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدة حرها)^(١)، وهذا القول المعبر عنه اليوم بالغلاف الجوي الوافي من الإشعاعات الشمسية، وأمّا الزرقة في السماء إلا انكسار لأشعة الشمس

.....بقلم السيد حسن الياسري

• في جو الأرض وهذا الانعكاس ما يبعث وجهها عنا وإلا لو كان خلاف ذلك لأحرقت الأرض ومن عليها^(١).



(١) ملامح من عبقرية الإمام ص ٤٩ ، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.



علمي الحساب والرياضيات في الآيات والروايات:

قال الحق جل مجده: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِ وَالْحَسَابِ﴾^(١).

أشارت الآية الى فائدة من فوائد وجود القمر فإذا نظرتم إليه وهو في أول ليلة هلاله رفيع، ثمَّ يكبر حتى يكون بدرًا في ليلة النصف من الشهر، وبعدها يبدأ بالنقصان التدريجي حتى اليوم أو اليومين الأخيرين حيث يغيب في المحاق، ثمَّ يظهر على شكل هلال من جديد ويدور الى تلك المنازل السابقة وهذا الأمر ليس عبثاً بل هو تقويم طبيعي دقيق جداً يستطيع العالم والجاهل قراءته ويقرأ فيه تأريخ أعماله وامور حياته، ونرى في القرآن المجيد كيف استخدم علمي الرياضيات والحساب في آيات متعددة وقبل ادراج تلك الآيات الكريمة نُلقِي نظرة على تعريف العلمين:

(١) سورة يونس الآية ٥.

علم الرياضيات: هو علم تحديد الكم وقياس الأشكال كما يعد لغة العلوم النظرية والأدبية والفلسفية من خلال التحديد والضبط ليتم بناء محتوى العلم، وله أوجه رئيسية (الجبر والهندسة والتحليل) فتركيب مجموعات الأجسام وضم بعضها مع بعض أدى الى مفاهيم العدد والحساب والجبر، بينما أدى الاهتمام بقياس الزمان والمكان الى الهندسة وعلم الفلك ومفهوم التسلسل الزمني^(١).

علم الحساب: يشمل دراسة الأعداد الصحيحة والكسور والأعداد العشرية وعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة وهو بمثابة الأساس لأنواع الرياضيات الأخرى حيث يقدم المهارات الأساسية مثل العد وجمع الأشياء والقياس.

وبالنسبة لكلى العلمين فهما من المفاهيم المهمة التي تدخل في القضايا الدينية زماناً ومكاناً وفي القضايا الفقهية كالإرث والعدة وغيرها من جمع الخراج وفرض الزكاة.

عودة الى الإشارات القرآنية الكريمة: عند مراجعة الكتاب العزيز نرى مجموعة من الآيات التي تدخل ضمن هذا المجال وهي:

(١) استقдна التعريف المذكور من ذوي الاختصاص.

١- قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ) ^(١) هذه الآية الكريمة تدخل ضمن الحساب.

٢- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٢).

٣- وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٣) فهذه الآية الكريمة تدخل ضمن الأعداد.

٤- قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۚ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ^(٤)
٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، هذا ترتيب الأعداد.

٥- قال تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ^(٥) $٣ + ٧ = ١٠$ هذه الآية ضمن موارد الجمع.

٦- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ^(١) هذه الآية من موارد الطرح $١٠٠٠ - ٥٠ = ٩٥٠$.

(١) سورة يونس الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٣.

(٣) سورة الانفال الآية ٦٥.

(٤) سورة الكهف الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة الآية ١٩٦.

ولا بأس أن نبين ما المراد بالآية حول الفرق بين العام والسنة، طبعاً
اختلف المفسرون منهم من قال: إنَّ اختلاف اللفظين فيه حكمة لفظية فقط
حتى لا يتكرر اللفظ مرتين متتاليتين فيصبح ذكره ثقیلاً على اللسان،
وهذا المعنى موجود ضمن التراث البلاغي في كلمات أهل البيت عليه السلام
وأدعيتهم وقد اختصت دراسات بشأن الألفاظ والتراكيب فمثلاً: اللعب
واللهو والغفلة والسهو جميعها كلمات مترادفة، وغير ذلك.

أمّا ما ذهب إليه الآخرون فقد ذكروا: إنَّ السَّنة عند العرب تطلق
على السنوات الصعبة التي مرت بالجذب والشدة على الناس، وهذا
يناسب حال نوح عليه السلام بدعوته الشاقة ولذلك في سورة يوسف يقول: ﴿قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾^(٢) ففيه عمل متواصل وجهد كبير، أمّا العام فهو
الرخاء ولذلك المولى عز وجل قرنهما بلفظ العام وذلك أيام الطوفان
فانتصر المؤمنون وهلك أهل الكفر والعصيان ومرت على الأرض أيام
خصوبة ورخاء وهكذا نرى المعنى عندما قال يوسف عليه السلام: ﴿عَامٌ فِيهِ
يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾^(٣) فهو عام فيه العطاء ونزول الغيث.

(١) سورة العنكبوت الآية ١٤.

(٢) سورة يوسف الآية ٤٧.

(٣) سورة يوسف الآية ٤٩.

٧- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، وهذه موارد الضرب $٧ \times ١٠٠ = ٧٠٠$.

٨- قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ

لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾^(٢)، وهذه موارد القسمة،

المهر ÷ ٢.

٩- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٣) من موارد الضرب والجمع،

$$٤ \times ٣٠ + ١٠ = ١٢٠ + ١٠ = ١٣٠.$$

١٠- قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾^(٤) من

موارد الكسور.

١١- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ

وَتُلُثُهُ﴾^(٥) وهذه من موارد ترتيب الكسور.

١٢- قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٦) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ

(١) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

(٤) سورة النساء الآية ١١.

(٥) سورة المزمل الآية ٢٠.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٣٣.

مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا^(١) فهذه من
موارد الهندسة^(٢).

أما ما ورد عند عدل القرآن وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد دلت
الروايات الكثيرة على معرفتهم الكاملة بدون التأمل والتماس قرطاساً
وقلماً ليأتوا بالنتيجة لأي سؤال يُطرح عليهم اذا انهم يعطون الإجابة
مباشرةً ومنها: - كمثل على ذلك - فقد احتكم رجلان عند المولى امام
المتقين عليهم السلام كان لأحدهما خمسة أرغفة وكان للآخر ثلاثة فجالسهما ثالث
وبعد انتهائهم من أكل الثمانية أرغفة طرح اليهما ثمانية دراهم فما يكون
نصيب كل منهما؟ وما يروى انه لم يرتضى هذه المخاصمة وهي في
سبيل دريهمات معدودة وقال عليه السلام هذا أمر فيه دناءة، والخصومة فيه غير
جميلة والصلح أحسن فأبى صاحب الثلاثة إلا أمر القضاء فأمر عليه السلام:
لصاحب الثلاثة بدرهم واحد، ولصاحب الخمسة سبعة دراهم، لأنّ كلا
من الثلاثة قد أكل رغيفين وثلثي الرغيف فكان ما أكله الثالث ثلث
رغيف من صاحب الثلاثة أرغفة ورغيفين وثلثاً من صاحب الخمسة
أرغفة^(٣).

وهكذا جاءه ثلاثة رجال يختصمون في سبعة عشر بغيراً لأحدهم
نصفها وللآخر ثلثها وثلثهم تسعها، فقال لهم: أترضون أن أضع بغيراً

(١) سورة الاسراء الآية ٣٧.

(٢) إعداد أحد ذوي الاختصاص بتصرف عبدالله سعيد كشكو.

(٣) الاستيعاب ج ٣ ص ٤١.

مني فوقها أقسمها بينكم؟ فرضوا فأصبح المجموع ثمانية عشر بغيراً، أعطى صاحب النصف تسعة، وصاحب الثلث ستة، وصاحب التسع اثنين، وبقي لديه بغير وهو بغيره الذي وضعه^(١).



(١) الحق المبين في قضاء أمير المؤمنين ﷺ ص ١١٥.



علم الطب ضمن الوصايا العلوية:

قال مولانا إمام المتقين رحمته الله لولده المجتبي رحمته الله: (ألا أعلمك أربع خصال تستغني بها عن الطب؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، فقال: لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع، ولا تقم إلا وأنت تشتهي، وجود المضغ، وإذا نمت فأعرض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب)^(١).

علم الطب: علم جليل ومهم جداً ويعتبر من الأساسيات، وقد اختلف المؤرخون في ظهوره فمنهم من قال: إنَّ سحرة اليمن هم الذين وضعوا أساس علمه، وقيل: إنَّهم سحرة فارس، وقيل: المصريون، وقيل: الهنود، وقيل الصقالبة، وقيل: قدماء اليونان، أمّا نحن الشيعة فنرى من ضمن بعدنا الديني والعقلي: أنَّ الطب قد جاء منذ وجود الإنسان على وجه الأرض فمنذ ذلك الحين عانى من الداء فوفق بإلهام من الله تعالى الى كثير من الامور التي يمكن أن تعتبر دواء وإنَّ كثيراً من المعالجات وإنَّ كانت قد جاءت عن طريق إشارات الأنبياء عليهم السلام للناس إليها، إلا أنَّه

(١) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٤٠٧.

يوجد طريق التجربة أيضاً أو الصدفة أو الفكر والملاحظة بعد الاطلاع على طبائع الأشياء كما هو مشاهد وملموس.

وأما في الإسلام فإننا نستطيع القول: إنَّ أول مستشفى خصص لنزول المرضى والجرحى لمعالجتهم كان مسجد الرسول الأعظم ﷺ في المدينة، وقد ذكر المؤرخين أنَّ عدد الأطباء طيلة فترة الحكم الإسلامي كثير جداً لا يمكن حصره ويكفي أنْ نذكر: إنَّ بعض مؤلفوا الموسوعات والتراجم قالوا: إنَّ أطباء بغداد وحدها في سنة ٣٠٩ هـ امتحنوهم فأجيز منهم ٨٦٠ طبيباً فأعطوهم الإذن في التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة السلطان.

ومن أوصى بعلم الطب وأعطى رأيه فيه هو مولانا أمير المؤمنين ﷺ ومنها هذه الوصية الثمينة فقد أوصى بأن لا يجلس على الطعام إلّا وهو جائع لأنَّ إدخال الطعام على المعدة يسبب إرباكها وفساد الوجبتين واختلال العصارات في افرازها، ثمَّ ينجم عن ذلك سوء الهضم وهذا ما ثبت في الطب الحديث.

وأما إعادة المضغ: فلا ينتفع الإنسان من المواد النشوية كغذاء حتى تتحول الى مواد سكرية بفعل اللعاب ولا يتم ذلك إلّا بإعادة المضغ، فزيادة المضغ يثبت التحول وينشطه وكذلك يقوم بسحق الطعام وتهيئته

للهضم وبذلك يساعد المعدة، والمعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء^(١)، وهناك وصية بهذا الشأن للنبي الأعظم ﷺ يقول فيها: (اجتنب الدواء ما احتمل بدنك الداء، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء)^(٢)، وهذه حكمة طبية أثبتتها العلم حيث إن إدخال الدواء لأبسط الأسباب لا يبقى للجسم مقاومته على المرض لأنَّ للإنسان إمكانية الدفاع عن نفسه فيلزمنا تنشيطها فإذا التمسنا الدواء كلياً تقاعس الجسم عن أداء واجبه فلا يستعمل الدواء إلا عند استعصاء الشفاء، ثمَّ إنَّ المواد الصيدلانية غريبة عن الجسم مما قد تسبب ترسبات وردود فعل غير مستحسنة وأخيراً قد يدخل الى الجسم بسبب خطأ الفحص دواء ليس بحاجة إليه، كما يوصي الإمام ﷺ: (لا صحة مع النهم)^(٣) حيث الإكثار من الطعام يمدد عضلات المعدة فيضعفه ويقلل من تأثير الإفراز المعوي وينهك الأجهزة بكثرة العمل ويلقي بكمية من الشحوم في الجسم نظراً لفائض الغذاء مما يجهد القلب ويسبب الضغط العالي وينهك الكبد ويبعث السموم، ومن محاسن وصاياه ﷺ: (ابدؤوا بالملح في أول طعامكم، فلو علم الناس ما في الملح لاختاروه على الترياق المجرب)^(٤)، للملح خاصية في امتصاص ماء الجراثيم والبكتيريا الضارة وقابلية اطلاق الكلور المعقم ولذلك يستعمل لحفظ اللحوم من التعفن السريع.

(١) ملامح من عبقرية الإمام ص ٥٤.

(٢) ميزان الحكمة ج ٢ ص ٩٤٠.

(٣) شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ص ١٤.

(٤) موسوعة الأحاديث الطبية لمحمد الريشهري ج ٢ ص ٤٤٠.

وأما إذا ذهبت الى الخلاء قبل ذهابك الى فراشك فإنَّك تقضي على
الاضطرابات المعويّة وعلى الغازات التي لا تدعك تنام نوماً هادئاً وإنَّ
الامتصاص المتكرر للفضلات المعوية يسمم الجسم ويولّد القبض وهذا
ما يحصل عند الاستغراق في النوم على الامتلاء.





الأصالة التكوينية للإنسان وتحديد جنسه:

قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾^(١).

الحديث يدور حول مباحث ثلاث وهي كما يلي:

المبحث الأول / نشأة الإنسان بالأصالة التكوينية: فقد استعرض القرآن الكريم أربع تعابير في خلقه الإنسان:

١ - قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ﴾^(٢)، فالطين بمعنى تراب أو رمل يجال بالماء ويطلى به.

٢ - قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٣) فالصلصال بمعنى الطين اليابس الذي يصلصل من يسبه أي يصوت.

(١) سورة النجم الآية ٣٢.

(٢) سورة الانعام الآية ٢.

(٣) سورة الحجر الآية ٢٦.

٣- قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾^(١) فالتراب تربان الأرض وما نعم منها.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(٢)، فالسلالة أي الخلاصة وهي الأجزاء الطينية المنتشرة في أعضاء الإنسان، ويحدثنا علماء طبقة الأرض عن حقيقة الطين وهي التي تحتوي على مواد معدنية تمثل الحديد والفسفور والكالسيوم والنحاس وغير ذلك من أنواع المواد، ومواد عضوية أساسها النباتات والحيوانات الدقيقة التي تفتت وتحلت وامتزجت مع المواد المعدنية الموجودة في الطين والتي جلبتها الأمطار من الجبال والصخور والمرتفعات.

المبحث الثاني / تحديد جنس الجنين: قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾^(٣) الإنسان سواء ذكرًا أم أنثى فهو نطفة من مني أي بعض المنى وليس كله وهذا البعض محدد بالنطفة، والنطفة ماء الرجل فجنس الجنين من نطفة الرجل ولا دخل للمرأة في ذلك ولذا يُصرِّح القرآن الكريم بقوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ﴾^(٤).

(١) سورة الحج الآية ٥.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢.

(٣) سورة النجم الآيات ٤٥ - ٤٦.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٣.

فهنّا شَبّه المرأة بالأرض الصّالحة للزراعة، فالأرض تعطيك من المحاصيل محصولاً يتناسب مع البذور التي تبذرّها فيها ومع الشروط المتوفرة للإنبات، وليس للأرض دخل في تحديد أي نوع من أنواع النبات فكذلك المرأة ليس لها دخل في تحديد جنس الجنين بل هي كما وصفها (حرث) فهي وعاء حامل للنطفة، هذه هي نظرية القرآن الكريم والذي لم يكن مثقفاً بثقافته أخذ يحيط بالموضوع مجموعة من الأساطير والخرافات وتتبدل بين قرن وآخر على غير هدى وبدون معرفة تكشف الواقع الموضوعي الى عام ١٦٥١م أُجريت تجارب علمية على يد (هارفي) وأصبحت مرحلة حاسمة تفصل بين الأفكار النظرية وبين العصر العلمي التجريبي وهكذا بدأت تتطور النظريات في الاكتشافات حول تكوين الجنين والذي وصل إليه العلم الحديث هو ما قاله القرآن الكريم عبر قرون، من أن: (بويضة الأنثى التي تحوي ٢٢ صبغياً جسياً + الصبغي الجنسي x - أكس - فقط ، أمّا نطفة الرجل التي تحوي دائماً ٢٢ صبغياً جسياً + الصبغي الجنسي أمّا X أو Y - واي - فالرجل تتفاوت عنده الصبغيات وبهذا يصبح هو المسؤول عن تحديد نوعية الجنس، فعندما يكون اجتماع ماء الرجل مع بويضة المرأة فالمجموع بعد التلقيح ٤٦ صبغياً وتكون المعادلة حسب ما يلي:

$$\text{نطفة Y} + \text{بويضة X} = \text{YX ذكر.}$$

نطفة X + بويضة XX = X أنثى^(١).

ولطيف ما يُنقل من أنَّ إنساناً قال للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:
أني رأيت الليلة في منامي إنِّي سألتك: كم بقي من عمري؟ فرفعت يدك
اليمنى وفتحت أصابعها في وجهي مشيراً إليّ فلم أعلم خمس سنين أم
خمس أشهر أم خمسة أيام؟ فقال: ولا واحدة منهم بل ذلك إشارة إلى
الغيوب الخمسة التي استأثر الله تعالى بها في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(٢)^(٣).

وقد يقال: إذا كان الأمر بأنَّ العلم بحقيقة ما في الأرحام مخصوص
بالله سبحانه فالعلم الحديث قد كشف النقاب عن حقيقة ما في الأرحام من
ناحية الذكورة والانوثة؟ فالجواب ما قاله إمام المتقين عليه السلام: (فيعلم الله
سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسخي أو بخيل
وشقي أو سعيد ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبیین
مرافقاً)^(٤)، فمن حيث الصفات لا يمكن كشفها إلا بالعلم بالغيب.

المبحث الثالث / المراحل التكاملية للجنين: يقول الأطباء: إنَّ مدة
انعقاد النطفة حسب ما ذكروا بما يقارب ثمانية أيام، ثمَّ بعد ذلك تأتي

(١) الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ص ١٨ للدكتور حميد النجدي.

(٢) سورة لقمان الآية ٣٤.

(٣) أصول الدين ص ١١٠ للمرجع السيد الحائري رحمته الله.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٢٨.

مرحلة العلقه، والعلقه: في علم الأجنة إنَّها تتكون من خلايا نشأت بطريق الانقسام عن البويضة الملقحة التي تمثل الخلية الإنسانية الأولى وهي مركبة من نواة المسماء بالسيتوبلازم والدم مكون من سائل أصفر باهت يسمى بالبلازما مركب من تسعة أعشار ماء، وعشر مواد غذائية مهضومة، ويحتوي البلازما على خلايا صغيرة المعبر عنها بالكرات الحمر كما إنَّه يحتوي أيضاً على الكرات البيض نسبة ١/٥٠٠ والدم الجامد يتكون من خيوط صغيرة جداً أصلها مادة بروتينية ذائبة في الدم، ثمَّ تحولت الى هذه الخيوط، وتكون مدة تكون هذه العلقه كما ذكر الأطباء بمقدار اسبوعين وبهذا الدور لم تكف أن تكون مميزة للجسم وبها أربعة براعم صغيرة تمثل الأطراف وتكون محاطة بالحوصلات المشيمية من جميع الجهات وتحاط بأنسجة الرحم يغمرها الدم اللازم لغذائها وتأخذ الأوكسجين بحسب حاجتها وتكون لها الغلاف المسمى (بالغلاف الأكل) ووجه التسمية حيث يأكل ما يصادفه من الأنسجة المبسطة للرحم^(١)، ثمَّ يأتي دور المضغة والمقصود أنَّ المضغة تقع في دور التخطيط والتصوير الفني الإلهي إذ يقول علماء الطب: إنَّ الجنين في نهاية الشهر الأول وهو مضغة تظهر فيه أربعة براعم تمثل الأطراف وفي الشهر الثاني تتميز اليدان والأصابع وتظهر الأذن الخارجية وتتفصل فتحة الفم من الأنف ويظهر مركز التنظيم في الترقوة والفك الأسفل، وفي الشهر الثالث يظهر جفنا العين ملتحمين وتظهر أعضاء التناسلية الخارجية وإن

(١) من أشعة الايمان ج٦ ص ٢٧٣ للمرجع الشيخ محمد محمداهر الخاقاني ةمّله.

كان لا يمكن تمييزها، وفي الشهر الرابع يبدأ ظهور الشعر والأظافر وتتفتح الأعضاء التناسلية، وفي هذا الشهر يطلق على الحمل كلمة جنين، وفي الشهر الخامس يفصل جفنا العينين وتظهر الطبقة الدهنية على سطح الجلد ويظهر مركز التعظيم في أعظم الكعب وفي الشهر السادس تظهر أهذاب الجفنين وشعر الحاجبين مع تقبض الجلد وتلونه بالحمرة، وفي الشهر السابع يبدأ ظهور طبقة تبدأ ظهور طبقة جلدية تحت الجلد، وفي الشهر الثامن يبسط الجلد فيذهب تجمده ويصير لونه وردياً لامعاً وتصل الأظافر الى أطراف أصابع اليدين ويظهر مركز تعظيم في نهاية الطرف السفلي لعظم الفخذ، وفي الشهر التاسع يتم تخليق بقية الأجزاء أنظر الى الترتيب القرآني: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾^(١)، ثم جاء دور اللحم في المرتبة المتأخرة من خلق الإنسان لأجل تجميل الإنسان وتصويره بالشكلية البديعة لرفع التشويه الخلقي الذي يرسمه الإنسان في الهيكل العظمي ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢).



(١) سورة المؤمنون الآية ١٤.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٤.



علاج التوحد عند الأطفال:

قال مولانا الصادق (عليه السلام): (سلونا نعلمكم ونوقفكم على قوارع القرآن لكل داء)^(١).

في زماننا المعاصر الذي شهد به العالم نهضة وتطوراً علمياً كبيراً في جميع الأصعدة ورغم هذا التطور فإنّ هناك أمراضاً جسدية ونفسية تصيب الإنسان فلا شفاء لروحه وبدنه بدون العنصر الإيماني، ولذلك أُجريت الكثير من البحوث والدراسات الحديثة التي تقر بأنّ الواقع العلاجي في المجتمعات يفتقر الى عناصر أساسية أخرى غير الجانب المادي المنتشر وأُمتنا الأطهار (عليهم السلام) يدعونا أن نسألهم لبيّنوا لنا العلاج الروحي الى أمراضنا من القرآن الكريم الذي يقول فيه المولى عز وجل: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) وفي الوقت الحالي تتزايد نسبة المرض النفسي عند الناس ومنه التوحد عند الأطفال وما

(١) طب الأئمة ص ٤٨.

(٢) سورة الاسراء الآية ٨٢.

يؤسف له أنَّ المختصين لعلاجهم قليلون والمراكز المتخصصة للتوحد لا تتعدى الأصابع فالأسرة غير قادرة على مواجهة الصعوبات بمفردها.

والتوحد: هو اضطراب في النمو العصبي يؤثر على التطور في ثلاث مجالات أساسية: التواصل، والمهارات الاجتماعية، والتخيل، ويقسم إلى عدة أقسام:

١- **التوحد التطوري:** بينت الجمعية الأمريكية للتوحد عام ١٩٩٩م بأنَّ التوحد التطوري والإنمائي يظهر خلال الثلاث سنوات الأولى من عمر الطفل حيث ينتج هذا الاضطراب عن خلل في الجهاز العصبي يؤثر بدوره في وظائف المخ وبالتالي يؤثر في مختلف نواحي النمو فيؤدي إلى قصور في التفاعل الاجتماعي وقصور في الاتصال سواء كان لفظياً أم غير لفظي فهؤلاء الأطفال يستجيبون إلى الأشياء أكثر من استجابتهم إلى الأشخاص ويكررون دائماً حركات جسمانية أو مقاطع من الكلمات بطريقة آلية متكررة.

٢- **اضطراب أسبرجر:** قد وصف هذا الاضطراب لأول مرة هو الطبيب النمساوي هانز أسبرجر حيث بين أنَّ المصاب به يعرف بأمور: الإعاقه الاجتماعية، وعدم الرشاقة، وأنشطة واهتمامات محددة، واكتساب الكلام، وغير مهتم بالفكاهة أو لا يقدرها.

٣- اضطراب ريت: وهو اضطراب عصبي تصاعدي يصيب

الاناث بشكل أساسي ويتميز بلوي اليدين المتشابكتين بشكل متواصل والتأخر العقلي واعاقة في المهارات الحركية وتظهر هذه الصعوبات بعد أن يكون الشخص قد تجاوز بداية طبيعية من النمو وقد وصف هذا الاضطراب لأول مرة من قبل اندرياس ريت عام ١٩٦٦م.

٤- الاضطراب التفككي: ويتضمن تراجعاً لغوياً شديداً وسلوكياً بعد

فترة من النمو الطبيعي لفترة تتراوح بين ٢ - ٤ سنوات وهذا الاضطراب نادر جداً حيث يحدث لطفل واحد من بين عشرة آلاف ولادة تقريباً ويحدث في الذكور أكثر من الاناث.

٥- الاضطرابات الإنمائية العامة غير المحدودة: يستعمل هذا

التصنيف في حال وجود إعاقة شديدة عامة في تطور التفاعل الاجتماعي المتبادل أو في مهارات التواصل اللفظية وغير اللفظية^(١).

أعراض التوحد وصفاته:

ونورد باختصار أعراضه وصفاته:

(١) اضطراب طيف التوحد ص ٣٢ للشهيد الاستاذ حيدر رسول / اصدار الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة.

أعراض التوحد:

- ١- التكرار في اللعب وحيداً.
- ٢- مقاومة التغيير.
- ٣- خمول تام أو حركة مستمرة بدون هدف.
- ٤- انعزال اجتماعي مع عدم شعوره بالخوف أو الخوف من كل ما يحيط به.
- ٥- مشاكل عاطفية في التعامل مع الآخرين وتجاهلهم بشكل تام حتى يُظن أنه مصاب بالصمم.
- ٦- صمت تام أو صراخ دائم بدون سبب، وضحك مستمر حتى لو لم يستوجب الأمر ذلك.
- ٧- عدم التركيز البصري لما حوله.
- ٨- صعوبة في فهم الإشارات.

صفات التوحد:

- ١- الصعوبة في الاختلاط مع الآخرين.
- ٢- الاصرار على الأشياء ومقاومة التغيير.
- ٣- انعدام الخوف الحقيقي من الأخطار.
- ٤- تفضيل الوحدة والعزلة.

أسباب التوحد:

لم يحدد الى الآن سبب مباشر لهذا الاضطراب الغامض ما إذا كان للوراثة دور أساسي فيه، فالعلم لم يتوصل الى تحديد الجينات التي تسبب حدوثه، وكان الاعتقاد السائد سابقاً أنَّ التوحد رد فعل نفسي من الطفل على تصرفات والديه المنعزلين.

علاج التوحد:

يمكن لنا أن نورد أمرين لعلاج:

الأمر الأول: هو العلاج بالقرآن الكريم لأنه كما قال الإمام الكاظم (عليه السلام): (في القرآن شفاء من كل داء)^(١)، والحديث يفيد العموم بقوله: (كل داء) أي لا يستثنى داء منها أبداً وهذا المرض منه فالذي يعاني - أطفال التوحد - من الصمت فالقرآن يعلمه النطق الصحيح والبعض يعاني من الخوف فالقرآن يعطيه الأمن والاطمئنان، والبعض يعاني من تسلط بعض الأرواح الشريرة فالقرآن يطرد الشياطين، والبعض يعاني سلوكاً عصابياً فالقرآن يهدئ الأعصاب، والبعض يعاني من التمرد فالقرآن يعلمه الطاعة وهكذا، والبرنامج القرآني لعلاج التوحد يتكون من الخطوات التالية:

(١) مكارم الأخلاق ص ٤٢٠ (باب الاستشفاء بالقرآن).

١- برنامج الاستماع الهادئ للقرآن: أي يوضع في المبنى أجهزة

صوتية لكل الغرف بصوت منخفض مع جو مريح من حيث الطقس والنظافة والعطر الزاكي.

٢- برنامج قراءة جزء عم: فإنَّه يعزز النظام اللغوي والنطق الصحيحين لدى الأطفال.

٣- برنامج القرآن المصور: حيث تعرض القصص التي تعرض لها القرآن الكريم بصورة جامدة ملونة أو صورة حية متحركة فإنَّه يعزز مهارة الانتباه والفهم.

٤- العلاج بالسور القرآنية: فإنَّ لكل سورة وآية خصوصية وأثر إيجابي فمثلاً ما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام عن سورة الفاتحة: (من قرأها في جيبة سبع مرات برئ من مرضه)^(١)، وما ورد عن سورة الأنبياء: (من كتبها وجعلها في جيبه أمن من المرض وهي أمان من الخوف والسهر والأرق)^(٢).

الأمر الآخر: هو اتباع الخطوات التالية:

١- اجعل طفلك أيَّها الأب وأيَّتها الام في مكان يشعر فيه بالأمان والرفقة.

(١) فقه الإمام الرضا عليه السلام ص ٣٤٢.

(٢) مصباح الكفعمي ص ٦٠٧.

٢- قدموا المعلومات عن طريق الصور والرسوم إضافة لشرح الكلام.

٣- أظهروا له الحب والحنان إن أمكن رغم رفضه لها أحياناً.

٤- حاولوا أن ينظم الى مجموعة من الأطفال المصابين بمرضه للعلاج الجماعي.

٥- عدم تركه يلعب بمفرده وإشراكه في اللعب والاستعانة بأخصائي.





النظام الاقتصادي في المنظور الديني:

قال الحق جل مجده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(١).

إنَّ الله سبحانه عندما خلق الإنسان في هذه الدنيا أعطاه كل ما يحتاج إليه مثل الملبس ليستر عورته، والمأكل ليسد جوعه، والماء ليروي عطشه، وهكذا الرزق من الأمور المهمة للعباد ولكن الرزق يأتي بأسباب ومن أسبابه الرئيسية التجارة والقيام بالعمل ولذا أتى أحد الموالين للإمام الصادق (عليه السلام) في المدينة المنورة وشكا له فقره واحتياجه فقال له الإمام (عليه السلام): إذا عدت الى الكوفة فاستأجر دكاناً واجلس فيه، فقال الكوفي: ليس لدي مال أدير به الدكان الذي استأجره؟ أجاب الإمام (عليه السلام): لا عليك استأجر دكاناً وأطمئن الى رحمة الله فإنَّ الله الذي خلقك ولم تكن من قبل شيئاً لن ينساك والله أرأف بعبد من أن ينساه، عاد الرجل الى الكوفة واستأجر دكاناً وجلس فيه وليس فيه من بضاعة ومرت مدة من الزمن فجاءه شخص وقال: لدي بضاعة جيدة فهل تشتريها؟ أجاب: لو

(١) سورة النساء الآية ٢٩.

كان لدي مالاً لاشتريتها فقال له ذلك الرجل: خذ البضاعة واعرضها في دكانك فمتى بعتهأ خذ ربحاً لك وسلمني ثمنها فوافق الشيعي وأخذ البضاعة ووضعها في دكانه ولم تمضي سوى فترة قصيرة حتى جاء عدد من الأشخاص الراغبين في شراء تلك البضاعة فاشتروها كلها وبعد مدة جاء شخص آخر وجلب بضاعة عرضها على الموالي فأخذها منه وباعها وهكذا - وفي فترة قصيرة - حصل الرجل على المال الذي يحتاجه وأصبحت أموره على ما يرام، ويعتبر الاقتصاد دعامة رئيسية من دعائم بناء الأمة ونفوذها ويعتمد الاقتصاد على النظام المتقن لعملية الإنتاج والتوزيع فإذا ما أختل جانب من هذه العملية وخرج عن الضوابط والحدود والقواعد المرسومة فسوف يقع الخلل والتصدع في بنية المجتمع وعلاقاته وأخلاقه، فقد أكدت الرسالة الحقّة في الإسلام في جزء كبير من نصوصها التشريعية على المعاملات التي ترتبط بالنظام الاقتصادي العام الشامل للبيع والشراء والإيجارات والزراعات والرهن والقروض والعمل وحقوق العامل، وهناك الكثير مما حفلت به الموسوعات الفقهية بأروع العروض، وأدق الحلول، وأمتن الأسس والقواعد لهيكل البناء الاقتصادي الذي لا يتعدى أوجه العدالة الاجتماعية بحال من الأحوال وهناك الكثير من الروايات التي تشكل بمجموعها دعامة البناء المتماسك للاقتصاد على أساس نظرية العدل وترمي الى تهذيب السلوك الاقتصادي وتنزيهاً من الشوائب كالربا والغش والغصب والاحتكار والخيانة بكل أشكالها، ورد عن مولانا الباقر عليه السلام قوله:

(كان أمير المؤمنين علي عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان وكانت تسمى السبية، فيقف على سوق سوق فينادي: يا معشر التجار قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهاوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الرباء ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يطوف في جميع أسواق الكوفة فيقول هذا،... ثم يرجع فيقعد للناس، فكانوا إذا نظروا إليه قد أقبل إليهم قال: "يا معشر الناس" أمسكوا أيديهم وأصغوا إليه بأذانهم ورمقوه بأعينهم حتى يفرغ من كلامه، فإذا فرغ قالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين^(١)، هكذا يحرص القرآن الكريم ضمن توجيهه، وكذلك أئمة أهل البيت عليه السلام ضمن عرض القانون الاقتصادي والسلوك العملي وترسيخ جذوره في نفس الإنسان المسلم، بل إنَّ ذلك أثر حتى بغير المسلمين عندما يأتي الى هذه المفاهيم والقوانين الإلهية الحقّة، وإليك ما جاء في شهادة (ماسينيسون) أحد الغربيين المعتقد للإسلام حيث يقول: "يمتاز الإسلام بأنّه يمتلك فكرة مساواة صحيحة بمساهمة كل فرد من أفراد الشعب بالعشر من موارد الجماعة، والإسلام ينبذ التبادل غير المفيد كما يناوئ الأموال المصرفية في حين أنّه شديد التمسك بحقوق الولد والزوجة

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٠٤.

..... بقلم السيد حسن الياسري

والملكية ورؤوس الأموال التجارية فهو بذلك يقف موقفاً وسطاً بين
البرجوازية والرأسمالية والشيوعية البلشفية، وللإسلام ماضٍ بديع من
تعاون الشعوب وتفاهمها وليس من مجتمع آخر له مثل ما للإسلام ماضٍ
كله التوفيق في جمع كلمة مثل هذه الشعوب الكثيرة المتباينة على بساط
المساواة في الحقوق وفي الواجبات".





الحق الإنساني بين نظرية الإسلام والقانون الوضعي:

قال الحق جل مجده: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

ابتدع الإنسان قوانين وأنظمة وصاغ لها أحكام كثيرة تركز على وتر حساس جداً وهو توفير الحق الإنساني، وقررت هذه الأنظمة نوع المادة التي توفر الحق في الحركة الفكرية والمعتقد الديني والشأن الاقتصادي والسياسي وغيرها من العناوين، وقد اختلفت المذاهب القانونية في تحديد صيغة معينة لتعريف الحق فظهرت نظريات أبرزها ما يلي:

النظرية الأولى: نظرية العالم الألماني سافيني والتي يعرف الحق بأنه قدرة أو سلطة ارادية تثبت لشخص مستمدة من القانون، فالقانون يمنح الشخص القدرة على التصرف بملكه واستغلاله بالشكل الذي يوفر له المنفعة الخاصة.

(١) سورة الروم الآية ٣٠.

والرد عليها: إنَّ ذلك يتعارض على من ثبت لهم الحق كالصبي والمجنون والسفيه والغائب والقاصر من التصرف المباشر والذي ينبغي الاحتفاظ بحقه الى حيث زوال المانع.

النظرية الثانية: نظرية العالم الألماني إيهرنج فهو يرى أنَّ الحق ناظر من خلال موضعه وهو المصلحة التي تعود على الشخص تحت حماية القانون.

والرد عليها:

- ١- إنَّ الحق لا يعرف بغايته إنَّما بذاته وأساسه، ولذا يكون حماية القانون بعد ثبوت الحق الشخصي.
- ٢- إنَّ المصلحة أمر يرتبط بذات الشخص فهو يختلف من فرد الى آخر.

النظرية الثالثة: نظرية العالم البلجيكي دايان إنَّ الشخص يأخذ الحق من خلال التسلط فإذا تسلط على شيء حق له التصرف به لأنَّه نتيجة التسلط.

والرد عليها: بأنَّ هذه النظرية مردودة بالبديهية إذ كيف يتسلط الإنسان على شيء بدون ضوابط وقيود؟ فيكون ما تسلط عليه حق له.

النظرية الرابعة: نظرية لا ضرر ولا ضرار في الإسلام التي ثبتتها الشريعة المحمدية بالإسلام يرى أنَّ الحق يثبت للشخص بشرط عدم ضرب مصالح الآخرين، فالإسلام أعطى الضمانات لحماية الحق الإنساني من خلال منطلقين وهما:

الأول: منطلق العقوبات بما يحتوي على بنود وحدود في الشريعة وحق الدفاع والرد وعدم الاعتداء على الآخر ولذا قال سبحانه: ﴿فَمَنْ اِغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اِغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

الثاني: منطلق أنَّ الحق كونه عقيدة قولاً وسلوكاً، وقد ربَّى الإسلام أبناءه بأنهم جزء من البنية الاجتماعية العامة فعلم الإنسان المؤمن بأنَّ من واجباته حفظ الحقوق، يقال أنَّ غاندي الهندي دُعي الى مؤتمر حول حقوق الإنسان فأجابهم بقوله: إذا دعوتكم لمؤتمر يبحث عن واجبات الإنسان أدعوني فسأحضر.

وقال: إذا تعلَّم الناس على أداء واجباتهم فستصل الحقوق إليهم.

انظر ماذا قال مولانا صادق الحقائق رحمته الله: (للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة له من الله عز وجل والله سائله عما صنع فيها: الإجلال له في عينه، والود له في صدره، والمواساة له في ماله، وأن

(١) سورة البقرة الآية ١٩٤.

يحب له ما يحب لنفسه، وأن يُحرّم غيبته، وأن يعود في مرضه، ويشيّع جنازته، ولا يقول فيه بعد موته إلاّ خيراً^(١).

ومن خلال هذا النص وأمثاله تبين أساس الشعور الإنساني بالثوابت المشتركة وهي كما يلي:

١- الشعور بوحدة المنشأ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢) فلا يدع هذا الشعور مجالاً للفرح والاستعلاء واستغلال حقوق الآخرين.

٢- الشعور بوحدة التكليف والاستحقاق بمعنى أن يشعر الجميع بأنهم مكلفون تجاه الخالق والمخلوق على حد سواء، قال المصطفى الأكرم ﷺ: (إنّ الله تعالى يحب المداومة على الإخاء القديم فداوموا عليه)^(٣).

هموم رجال في أمورٍ كثيرة وهمي من الدنيا صديق مساعدُ
يكون كروح بين جسمين فُسِّمَتْ فجسمها جسمان والروح واحد^(٤)

٣- الشعور بوحدة الآلام والآمال، ويرجع هذا الأساس الإيماني بوحدة الغاية التي خلق من أجلها الإنسان قال تعالى:

(١) ميزان الحكمة ج ١ ص ٦٦٣.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ٤٤.

(٤) نهج السعادة ج ٧ ص ٢٥٤، تُنسب الأبيات لمولانا المرتضى رحمه الله.

﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١) وعلى هذا الأساس ألفت الأشلاء المبعثرة للبشرية هنا وهناك برابط الأخوة الإسلامية كما قال النبي الأعظم ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٢).



(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٨٣٧.



تنظيم العلاقات الاجتماعية:

من وصايا المرتضى عليه السلام لولده المجتبى عليه السلام: (يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك)^(١).

تحكّم أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في المعرفة فارتادوا بها الحياة من أوسع أبوابها وأوضحوا السبيل السوي وسوّوا للإنسانية سنناً تحصنت بالحق والخير، فقد التمسوا المجتمع بشتى طبقاته ومراتبه مرشدين وناصحين ليجعلوه متكاملًا متكافلاً قائماً بواجبه متظافراً في عمله.

والحكمة المفتتح بها البحث تعتبر من أسس الحياة حيث المجتمع الكامل في أوفى معنى وأقصر تعبير، ولذا يروي لنا المؤرخون كما أثر عن الفلاسفة القدماء من تأملات وآراء مفاضها حيث يقبع الفيلسوف في

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٣.

عزله يتأمل الطبيعة ويتطلع الى الكون بعالم بصيرته من غير أن يجهد نفسه بالنظر بعالم بصره ومباشرة حواسه، ثم يفيض على الناس بما يفكر فيه ويستنتق الوحي ويستلهم الطبيعة دون أن يلتمسها بحاسة أو مباشرة وإتّما يخلق في عالم أخيلته وأجواء أفكاره، لكن الأئمة عليهم السلام عندما نظروا الى الحياة والمجتمع نظروا لها بدون هذه الوجهة بل بالبصيرة والبصر ولذلك وعوا الحياة وانطلقوا ليحثوا الناس على أن يكونوا على وعي اجتماعي هام، فما هو الوعي الاجتماعي؟ إنّه إدراك الإنسان بأنّه لم يُخلق لذاته فحسب، بل إنّهُ فرد من مجتمع ولبنة من بناء مترابط يشد بعضه بعضاً في تفكيره وهمومه وآماله، فإذا كان الإنسان اجتماعياً بطبعه لأنّه يعيش ضمن الجماعة أينما يحل وفي أي مجال من مجالات الحياة يتحرك فيه إذ ينبغي عليه أن ينظم علاقاته وارتباطه وكيفية تعامله مع الغير على أساس مادتين:

الأولى / المادة القانونية: وهي مجموعة من الضوابط والحدود التي بلغها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله عن ربه سبحانه هذه المادة تحمل له ما يجب عليه فعله أو تركه في نفسه وفي ماله وفي أسرته وفي مجتمعه وفي اطار مصلحة المجموعة الإنسانية العامة.

وقد قال (بيكون) الفيلسوف المشهور ما معناه: "إنّ من الرجال من يطمع أن يبسط سلطانه على أمتة وهو أخسُ الرجال، ومنهم من يريد

المجموعة البشرية حيث يحيطها بمعناها الإنساني فهو من الناس وإلى الناس جميعاً وهذا خير الرجال»^(١).

الثانية / المادة الأخلاقية: وهي مجموعة هامة من الآداب ومن المحاسن الخلقية التي تعتبر عامل الربط والألفة الاجتماعية والتي تضيف على بنية المجتمع مسحة من الجمال والنضارة، ولناخذ بعض البيانات المعصومية نستفيد منها شروط العلاقة وكيفية التواصل، قال مولانا صادق الحقائق عليه السلام: (الصدقة محدودة، ومن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصداقة ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود، فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة أولها أن تكون سريره وعلانيته لك واحدة، والثانية أن يرى زينك زينه، وشينك شينه، والثالثة لا يغيره عليك مال ولا ولاية، والرابعة أن لا يمنعك شيئاً مما تصل إليه مقدرته، والخامسة أن لا يسلمك عند النكبات)^(٢)، وأمثال هذه النظرية الإسلامية تؤيدها نظريات علم الاجتماع وكمثال على ذلك نأخذ تقسيم عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر حيث قسّم السلوك الاجتماعي إلى نوعين:

الأول: عاطفي يعبر عن مشاعر وأحاسيس الفرد.

(١) ملامح من عبقرية الإمام ص ٨١ للدكتور مهدي محبوبية، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

(٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٧٣.

..... بقلم السيد حسن الياسري

الثاني: منطقي يعبر عن التفكير العقلي والالتزام بالتقاليد الاجتماعية
ويحافظ على وجودها.





حكمة الحركات في بعض الأدعية:

قال الحق جل مجده: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(١).

امتدح المولى عز وجل من يبرز حالة الخشوع في صلاته وعبادته فهو نوع من التفاعل التام في طاعة الله، وهذا ما نراه في أمير المؤمنين عليه السلام فإنه إذا وقف للصلاة بين يدي ربه سكنت كل جوارحه، واستسلم للملك العلام، ولذا نرى وصف ضرار بن ضمرة وهو من أصحاب الإمام عليه السلام عندما دخل على معاوية لعنه الله وطلب منه أن يصف علياً عليه السلام قال: (فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني أبي تعرضت؟ أم إلي تشوقت؟ لا حان حينك هيهات غري غيري)^(٢)، مولانا علي عليه السلام الأواه الحزين، المعظم لمقام ربه الكريم، يتقلب بين يديه لا يقر له قرار كما يتقلب الملسوع الذي لدغته حية فلا استقرار له من الألم.

(١) سورة المؤمنون الآية ٢.

(٢) السبيل الى المعنويات ص ٤١٦، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

هناك علاقة بين الجسد والقلب، ولذلك نرى في أدعية المعصومين عليه السلام وأذكارهم بعض الحركات فالهدف منها هو تفاعل واشتراك كل مكونات الإنسان في العبادة والطاعة وتحقيق حالة الانسجام بين عوالم الإنسان: القلب والجسد والنفس والروح، ومن تلك الأدعية التي تصاحبها حركات الأعضاء مع الدعاء ما ورد في دعاء شهر رجب المعروف (يا من أرجوه لكل خير...) وفي نهايته مد اليد اليسرى للقبض على اللحية وتحريك السبابة اليمنى والدعاء بعد ذلك: (يا ذا الجلال والاکرام يا ذا النعماء والجود يا ذا المن والطول حرم شيبتي على النار)، وهذا معناه الاعتراف بالذنب والتقصير واستحقاق الغضب الإلهي ولذا اقترن بطلب النجاة من النار، ومن المعروف أنَّ من غضب على أحد وله مقام الاستعلاء عليه أخذ بلحيته كالذي حكاه القرآن الكريم عن فعل النبي موسى عليه السلام مع أخيه هارون عليه السلام: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾^(١)، وهناك إشارة الى هذا المعنى بقوله سبحانه: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا﴾^(٢)، أي أنَّها في قبضته وتحت قدرته يفعل بها ما يشاء، أمَّا التلويح بالسبابة فكأنَّه طلب للهداية والرشاد لأنَّها علامة المنذهل الحيران الطالب للدلالة على الطريق الصحيح ويكون مجموع الحركتين

(١) سورة طه الآية ٩٤.

(٢) سورة هود الآية ٥٦.

هو طلب النجاة من النار والفوز بالجنة وعدم الاكتفاء بالأول وهو معنى قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ رُخِّعَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١).

ومن تلك الحركات ما نراه في أدعية الفرج أو عند ذكر الإمام القائم عليه السلام في وضع اليد على الرأس، فقد ورد لما كان ينشد دعبل الخزاعي قصيدته المعروفة على الإمام الرضا عليه السلام ووصل الى هذا البيت:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات
وضع الإمام يده على رأسه وتواضع قائماً ودعا الى الإمام بالفرج،
وهذا الأمر موجود عند أبناء العامة أيضاً فعندما يذكر الحبيب المصطفى عليه السلام يظهرون التعظيم والتواضع لمقامه، يقول أحمد المفتي الشافعي المعاصر: (جرت العادة أنه إذا سمع الناس ذكر وصفه عليه السلام يقومون تعظيماً له، وهذا الأمر مستحسن لأن فيه تعظيم للنبي عليه السلام، وقد عمل به كثير من علماء الأمة ممن يلزم الاقتداء بهم)^(٢).

قيل لمدح المصطفى الخط بالذهب
على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه
قياماً صفوفاً جثياً على الركب^(٣)

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥.

(٢) منتخب الأثر ج ٣ ص ٢٢٦.

(٣) عن السكبي في نفس المصدر السابق.

وقد التفت العلم الحديث مؤخراً الى دلالة حركات الأعضاء على المشاعر الباطنية وما يدور في ذهن وقلب الإنسان، وبدأ يعد بعض الدراسات والتحليلات في ما يعرف بعلم (لغة الجسد) ولا زالت نتائجهم ظنية مبنية على الاستقراء الناقص فيفهمون من تقاسيم الجبين شيئاً وإذا حك أنفه اثناء حديثه أو اذنه فلها مدلولها، وإذا نظر الى آخر من فوق النظارات فلها معنى وهكذا، وقد رصد ماكس إيجرت مؤلف كتاب لغة الجسد العبقريّة خمس وسبعون إشارة يعطيها الأشخاص بأجسادهم والتي تساعدك كثيراً في فهم الأشخاص الذين تتحدث إليهم، ومنها مثلاً ما قلنا حول الإشارة بإصبع السبابة فإنّها تدل على الأشياء غير المقبولة وعلى حصول خطأ، أو وضع اليد على الرأس فإنّها تدل على التقييم.

ثمّ لا بدّ أن لا يكون الخلط بين بعض الاختلاجات وبعض الحالات الصحية فمثلاً قضية رفة العين المعروفة ففي بعض الأحيان تكون ذات مدلول معنوي تنبيهي، والبعض الآخر ذات مدلول طبي، وفي بعض الأحيان على ما يذكره أحد الأطباء في طب وجراحة العيون يقول: لرفة العين هي حالة من انقباض في عضلة احدى العينين بشكل لا إرادي وهي من المشاكل الشائعة عند الناس، ثمّ يبيّن أسبابها فهناك ثلاث أسباب رئيسية:

الأول: عدم ارتداء النظارات الطبية وقت الحاجة لاستخدامها فذلك يسبب حدوث الرفة بشكل قوي.

الثاني: يتمثل في قلة أو عدم النوم بشكل كافٍ وتعريض العين لإرهاق كالقراءة لوقت طويل أو التعرض لشاشة التلفاز والهواتف دون أخذ قسط من الراحة للعيون كما أنّ شرب المنبهات كالشاي والقهوة كثيراً من أهم أسباب حدوث الرفة.

الثالث: يأتي نتيجة خلل الهرمونات لجسم الإنسان كخلل الغدة الدرقية مثلاً.





نظرية الهرمنيوطيقا والإسلام:

قال الحق جل مجده: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

عندما جاءت مفاهيم الإسلام نسخت مفاهيم الأديان والمناهج السابقة
فهو الدين المرضي عند الله والذي لا بُدَّ من التمسك به، ونفهم من هذه
القاعدة القرآنية أنَّ الإسلام هو الحق وما عداه هو الضلال المبين،
وتبطل هذه الآية الكريمة نظرية الهرمنيوطيقا التي يعتمد عليها العلمانيون
والليبراليون وتأثر بعض الكتاب المسلمين بهذه الفكرة التي طرحت في
أروقة الفكر الغربي ومن المهم جداً الوقوف عند هذه النظرية لنرى
الصواب والخطأ فيما طُرح.

تعريف النظرية:

الهرمنيوطيقا: هو مصطلح يوناني، وقد عُرفت بعدة تعاريف في
الحقل العلمي نذكر بعض التعاريف:

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥.

قال أنطوني كرباج: هي نظرية التأويل.

وقال أندرو: هي فن التأويل.

وقال ريتشارد: هي دراسة الفهم، بل وظيفة فهم النصوص الخاصة.

وقال بول ريكور: هي عملية الفهم في مسار علاقتها مع تفسير النصوص.

والذي نفهمه من ذلك بأن ترجمة الهرمنيوطيقا هي تعددية الحق يعني لا يوجد حق واحد وإثماً (أ) حق و(ب) حق و(ج) حق، كما سيتضح ذلك خلال البحث.

تاريخ نشوء الهرمنيوطيقا:

يرى صاحب كتاب الهرمنيوطيقا ومنطق فهم الدين أنه لا بُدَّ من الفرز بين مسائل ثلاث بالبحث في تاريخها:

المسألة الأولى: طرح الهرمنيوطيقا في تاريخ الفكر البشري بوجه عام وفي تاريخ الفكر الديني بوجه خاص دون أن تعرف بهذه التسمية.

ونضرب مثلاً على ذلك من تاريخنا الإسلامي حيث وضعوا على لسان الخاتم عليه السلام حديثاً يقول: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)^(١).

(١) في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة ج ٣ ص ١٤٤.

هناك أزمة في تفسير التاريخ بعد النبي الأعظم ﷺ فالزهراء عليها السلام ابنة المصطفى ﷺ وقد غُصب حقها من أهل السقيفة فمع من تكون وأيهما الحق وأيهما الباطل.

في نظرهم أنَّ عثمان خليفة وعائشة زوج النبي ﷺ وهي من قالت: (اقتلوا نعتلاً، قتل الله نعتلاً)^(١).

وهناك أمثلة كثيرة ولذلك وضعوا هذه النظرية.

المسألة الثانية: طرح مصطلح الهرمنيوطيقا في منهج تفسير وتأويل النصوص الدينية.

يرجع هذا المصطلح الى تفسير الكتاب المقدس إذ وضع قوانين وقواعد في التأويل الصحيح للتوراة، ويعود هذا الدور الى الحركات الإصلاحية من قبل علماء البروتستانت يقول انتوني كيربي: الهرمنيوطيقا بوصفه منهجاً غرضه تأويل النصوص المقدسة وله صلة وثيقة بفقهاء اللغة، إنَّ الجدل الذي ساد حركة الإصلاح الديني حول دعوى حكم الكنيسة الكاثوليكية واقتصار تأويل الكتاب المقدس عليها، وثقة البروتستانتين بأنفسهم أمام النص المقدس، وعزمهم على تقديم رؤية واضحة وأساسية عن الكتاب المقدس، هذه الجهود كلها تكللت بالنجاح

(١) النهاية ج ٥ ص ٨٠.

لقد أسهم الإطار العام لهذا الاتجاه والنتائج المنبثقة من تلك الجدالات في رسم معالم الهرمنيوطيقا^(١).

المسألة الثالثة: ظهور الهرمنيوطيقا كواحد من الفنون والعلوم البشرية مطلقاً إلا أن الهرمنيوطيقا باب من أبواب المنطق، فكما أن قواعد المنطق الصوري عامة ومشتمة على اصول موضوعية لكل أشكال الفكر في المجالات كافة فكذلك قواعد الهرمنيوطيقا، فأخرجوها من سياقها التقليدي في تفسير الكتب المقدسة وعلى هذا الأساس كتب المفكرون في هذا الشأن ومنهم:

كرستيان فولف: يعد هذا الرجل من أشهر فلاسفة عصر التنوير، حيث أفرد فصولاً من كتابه في المنطق لأبحاث الهرمنيوطيقا.

كلادنيوس: أصدر رسالة تحت عنوان (مقدمة في التفسير الصحيح للنصوص وكتب المعقول).

شلاير ماخر: جاء هذا الرجل ليؤسس لهرمنيوطيقا جديدة ولينقح قواعدها وأصولها، معتقداً أن تطبيق تلك القواعد كفيل بالوصول الى مقصود مؤلف النص، ولا فرق لديه من هذه الجهة بين النصوص الدينية وغير الدينية كالقانونية والفنية والأخلاقية والتاريخية.

(١) المدخل الى الهرمنيوطيقا ص ٩.



نظرية الفوضى وآثار مخالفة النظام الإلهي:

قال الحق جل مجده: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

مفهوم الآية الكريمة أنَّ الاستقرار والهدوء والحركة الهادفة في العلاقة وبين أفراد المجتمع والعمل والإنتاج والرخاء ووفرة السلع وسيادة الأمن في كل صورته، كل هذه الأمور وغيرها تشكل ظواهر سليمة جاءت بسبب كون أهل القرية قد التزموا الشكر بمفرداته العملية كالعدالة والمحبة والمساواة، ولمّا تخلت القرية عن هذه القيم ولم تجعل الله محوراً لنشاطها وحياتها، وكفرت بماضيها التوحيدي المشرق واستبدلته بالآلهة المتعددة، كالتبعية للإنسان القوي، أو طاعة النفس والشيطان وحب المال والسلطة، هذه الارتباطات تؤول الى سوء التوزيع وسيادة الظلم وعدم الاطمئنان وشيوع الخوف والفقر والطبقية فلم يعد العيش في هذه القرية بعد ذلك سعيداً أبداً.

(١) سورة النحل الآية ١١٢.

الكفر والفسق والنفاق وأي موقف فكري أو سلوكي صادر من الإنسان، بالنتيجة له امتداد وتأثير بما حوله، وليس بصحيح حصر المسألة بالجانب المادي من فعل الإنسان وإنما تدخل المواقف القلبية والاعتقادية في هذا الإطار أيضاً، لأنَّ الاعتقاد فعل، فالكفر الذي هو عمل باطني له مؤثرات خارجية على من حوله من المخلوقات الأخرى، ومسيرة الإنسان نفسه خاضعة لقراراته الاعتقادية الباطنية، ولذا تسأل الملائكة عن هذا المخلوق الجديد آدم عليه السلام - من خلال ربطها بين الفسق وفعل سفك الدماء الناتج عن الإرادة - وعن مصيره وحياته وحركته في الأرض وكيفية تعامله مع المجموعة الكونية، لأنَّهم ضمن معلوماتهم أنَّ الكون خاضع لنظام كوني واحد حسبما يعمل به الجميع، ولا بُدَّ لهذا المخلوق الطارئ على الكون أن يكون منسجماً مع نظامه، ولما كان قد صمم بطريقة تجعله قادراً على أن يخالف النظام الكوني، لذا سوف ينتج سفك الدماء والخراب والدمار في هذا الكون، لأنَّ الفوضى تحدث بوجود الإرادة التي تؤدي الى الكفر أحياناً وإمكانية اختراق النظام والالتفاف عليه، فهذا المخلوق الجديد طروه خطر لا على نفسه فحسب، بل على الكون كله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١) لكن الحق سبحانه تلافى الإشكال والتساؤل الذي صرحت به الملائكة لاعتراضهم على تولي هذا المخلوق مقاليد الخلافة فقال: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ❖

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا^(١) صنع هذا المخلوق وأودع فيه من العلم بما يتلاءم مع مهامه الإلهية والتي تعينه على تحقيق الغايات، فعلم الإنسان بالأسماء كلها هبة منه سبحانه، لقد أطلعه على حقائق الأشياء وأطلعه على الكون كله وعلى الأنظمة الحاكمة فيه، ثم ما هو موقعه من هذا الوجود، وكيف يؤثر فيه لغرض استخدامه لصالح أهدافه وغاياته؟ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) وإيداع هذا العلم ممن بعده الى سلسلة الأنبياء حتى خاتمهم المصطفى ﷺ وبعد السلسلة الطاهرة من آله الكرام عليه السلام^(٣).

دراسة معاصرة:

قام الباحثون بوضع نظرية جاءت بعد دراسة بعض معالم الكون أسموها (نظرية الفوضى) وتدرس هذه النظرية العواقب المستقبلية الهائلة التي يمكن أن تصنعها تغيرات بسيطة في الحاضر، ويضرب لذلك الباحث ليونارد سميث الاستاذ في علم الإحصاء في كلية لندن للاقتصاد في كتابه بعض الأمثلة ومنها ما قاله: تفضي دراسة الفوضى الى استبصار جديد حول سبب استمرار كون توقعات الطقس لا يعول عليها حتى بعد مرور ما يقرب من قرنين من الزمان، هل يرجع الأمر الى غياب التفاصيل الصغيرة عنا في طقس اليوم وما تترتب عليه آثار

(١) سورة البقرة الآيات ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة يس الآية ١٢.

(٣) علم الائمة بالغيب ص ٢٨.

هائلة في طقس الغد؟ أم إنَّ الأساليب التي نتبعها - رغم كونها أفضل من أسلوب فيتزروي - تظل غير كاملة؟.

ثمَّ يأتي بمقاله العالم الفيزيائي جيمس كلارك ماكسويل الذي أشار إليها في عام ١٨٧٤م حيث قال: "ينطبق هذا الأمر فقط عندما ينشأ عن التغيرات الصغيرة في الظروف الأولية تغيرات صغيرة فقط في الحالة النهائية للنظام ويتحقق هذا الشرط في كثير من الظواهر الطبيعية الكبرى، لكن في حالات أخرى قد ينشأ عن تغير أولي صغير تغير هائل في الحالة النهائية للنظام كما يحدث عندما تتسبب عملية اراحة النفط في اصطدام قطار سكة حديد بقطار آخر بدلاً من الالتزام بمساره الصحيح"^(١).

كما أنَّه يذكر مقالة رأي براد بري التي قالها عام ١٩٥٢م حيث قال: "منغرس في الطين ومتألئة بالألوان الأخضر والذهبي والأسود كانت هذه فراشة غاية في البهاء وغاية في السكون سقطت على الأرض شيء بالغ الروعة شيء صغير يمكن أن يقلب موازين" أي إنَّ خفقة جناح الفراشة ستحدث اعصاراً على الجانب الآخر والذي يستنتج من ذلك فكرة تقود نحو فهم جديد وعميق للعلوم الطبيعية.

(١) مقدمة قصيرة جداً نظرية الفوضى ص ٢٤.

ثمَّ يقول ليونارد سميث: (صار تعبير - تأثير الفراشة - شعاراً ذائع الصيت في الفوضى)^(١).

وهذه الإشارة القرآنية: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٢) فالموجودات في المجموعة الكونية يؤثر بعضها في البعض الآخر، والإنسان لا يستثنى من هذا القانون، فقانون الجاذبية كأحد القوانين في هذا الكون له علاقة مع الإنسان، وعلى الإنسان أن يعمل بموجبه ويحذر مخالفته، وكما أستفاد ليونارد من طيران الفراشة أمراً، كذلك نستفيد في هذا المجال بأنَّ الفراشة لها حق اختراق هذا القانون - أي الجاذبية - وذلك لأجل المصلحة، فالآثار المترتبة على الفراشة غير الآثار المترتبة على الإنسان.



(١) نفس المصدر ص ١٥.

(٢) سورة يس الآية ٤٠.



نظريات الحكماء والمفكرين في العشق:

قال الحق جل مجده: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١).

الغاية من خلق الإنسان أن يعرف الله سبحانه ويعبده، والعبادة لا بُدَّ أن تكون بإخلاص ومن مراتب الإخلاص الحب ومن العبادة العشق وهذا بحث تناوله العرفاء والفلاسفة - إلهيون وماديون - بصورة مفصلة، هناك حالة عند الإنسان تسمى الحب، فالحب في مراتبه العادية موجود في كل إنسان وله أنواع مختلفة كالحب أو المحبة بين صديقين أو بين المرید والمراد والحب المألوف بين الزوجين وكذلك الحب المتبادل بين الوالدين والأبناء، أمّا العشق فهي حالة أرفع من الحب قد تصل بالإنسان الى إخراجة عن حالته الطبيعية بخلاف الحب العادي فيحرمه النوم والطعام ويحصر اهتمامه بتلك النقطة التي هي بؤرة عواطفه وهي المعشوق فلا يرى إلا شيئاً واحداً بحيث أنه يتحد به، بل إنّ هناك حكايات بهذا الخصوص تنتقل: إنّ العشق يصل حداً يصبح معه خيال المعشوق أعلى عند العاشق من المعشوق نفسه وذلك لأنّ المعشوق ليس سوى

(١) سورة البقرة الآية ١٦٥.

المحرك والدافع، وإنَّ العاشق إنَّما يبحث في باطنه عن حقيقة أخرى فهو يسعد بصورة المعشوق الذي يراها في روحه حتى أنَّ الفلاسفة يذكرون في كتبهم حكاية مجنون ليلى، فمجنون ليلى أخذ يقول بحقها الشعر متغزلاً ونائحاً على فراقها وراح يهيم في البراري، فوقفت ليلى على رأسه يوماً وهو نائم بالصحراء ونادته عدة مرات فرفع المجنون رأسه وسألها من تكون؟ فقالت: أنا ليلى جئت لأراك، وقد حسبت في نفسها أنَّ مجنوناً سوف يطير بها فرحاً ويحب للقائها واحتضانها بعد أن ذاب واجداً فيها وفي البعد عنها وإذا به يقول لها: اذهبي لي غنى عنك بعشقتك ومثل هذا ما كان في حال السيدة زليخا مع نبي الله يوسف عليه السلام يقال: إنَّها طلبت من جلاد يوسف عليه السلام أن يجلدَه بشدة لتسمع صوته، كان الجلاد كاذباً ويوسف عليه السلام يتوجع وهماً، جاءت زليخا وعاقبت الجلاد لعدم تنفيذه الأمر قال لها: سيدتي أنا أجلده في اليوم خمسون جلدة قالت له: أنت تكذب، قال: وكيف علمتي أنَّي أكذب؟ قالت: لأنِّي لم أشعر بوجع يوسف في قلبي حيث كنت تجلده، هكذا ينقل الشهيد مطهري رحمته الله عن حال شاعر معروف في زماننا وهو الشاعر شهريار فقد كان هذا طالباً في كلية الطب ويسكن في دار بطهران فيقع في غرام بنت صاحب الدار الى حد الهيام ولكن صاحب الدار يجد لابنته زوجاً أجمل وأغنى ويحرمه منها فيجن هذا جنون مجنون وينفض يده من كل شيء من العمل ومن الدراسة ولا يعود يشغله غير هذا الشاغل وتمضي السنون وتشاء المصادفات أن يلتقي بها مع زوجها يوماً من الأيام فيقول لها: إنني لم

تعد لي بك حاجة فحتى لو تطلقت من زوجك فلن اريدك، وأخذ ينظم الشعر وله بعد ذلك اللقاء شعر يقول فيه:

لست أدري كيف تعودت على عشقها
مع إني لم أعد أهتم بالمعشوقة ذاتها^(١)
والعشق على نظريتين:

- ١- النظرية الأولى: ما ذهب إليها فرويد - عالم النفس المعروف - بأن كل شيء كالعلم والصدقة والخير والفضيلة والعبادة وغيرها، فإنه ينبعث من الجنس، والعشق منها فهو له أصلاً عضوياً فلسجياً ولا شيء غير ذلك وقد فُندت هذه النظرية من قبل ذوي الاختصاص ففي كتاب لاذن الفلسفة للمؤرخ المعروف ويل دورانت حيث يؤيد نظرية: "إن بداية العشق حالة شهوانية ولكنه يتبدل به الحال ويتغير في نهاية الأمر الى حالة روحانية"، ثم يفند نظرية فرويد ويغير مسارها وخصائصها واتجاهها، كما ويقول وليام جيمز في كتاب الدين والنفس: "فكما إن فينا مجموعة من الميول التي ترتبط بالطبيعة فإن فينا ميولاً أخرى لا تتفق والحسابات المادية بل تربطنا بما وراء الطبيعة".
- ٢- أما النظرية الأخرى: فهي ترى إن العشق بين الإنسان والإنسان على نوعين فابن سينا والخواجه نصير الدين الطوسي

(١) رؤى جديدة ج ٥ ص ١٢٠ للشهيد مطهرى رحمته الله.

والملا صدرا الشيرازي يرون العشق عشقين: فبعضه عشق جنسي ويعتبرونه مجازياً وليس حقيقياً بما أنه غريزي فإنه ينتهي بإشباع تلك الغريزة لأنَّ تلك هي غايته، وبعضه عشق روحي أو نفساني وفي روح الإنسان بذرة منه وهي التي تحركه وإنَّ معشوق الإنسان الحقيقي هي حقيقة ما وراء الطبيعة.

وهناك موروث ديني إسلامي عن مولانا إمام المتقين (رحمه الله): (إنَّ الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما)^(١)، إنَّ هذا التركيب الملائكي الحيواني يخلق في الإنسان اتجاهين: اتجاه نحو الأعلى نزعة سماوية، واتجاه نحو الأسفل نزعة أرضية، وهو على مفترق طريقين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢).

وثمة قصة طريفة أنَّه امتطى مجنون يوماً ناقه - أم ولد - قاصداً دار معشوقته وعندما بعدَّ قليلاً عن المدينة استغرقتة أخيلة محبوبته وغفل عن الناقة ومسيرها واسترخت يده بالزمام فتركه على غاربها وإذ أحست الناقة إنَّ صاحبها غافل عنها عادت أدراجها الى حيث وليدها الذي اشتاقت إليه وأنتبه المجنون فجأة فوجد نفسه على باب داره بدلاً من أن يكون على باب دار حبيبته فلوى على الناقة مرة أخرى في طريق

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٩٩.

(٢) سورة الإنسان الآية ٣.

حبيبته ولكنه ما إن سار قليلاً حتى حصل له ما حصل من قبل وتكرر مرات.

هوى نأقتي خلفي وقدامي الهوى
وإنني وإياهما لمختلفان

فإذا كان المقصود أمراً معنوياً روحياً فذاك العشق ملكوتي، وإذا كان شهوانياً فهو مادي، ومن جسد لنا هذا المعنى مولانا رمز الشباب علي الأكبر عليه السلام حيث جاء يوم العاشر لأبيه قائلاً: (لا طاقة لي يا أبتاه على فراق الأحبة فأذن لي حتى ألحق بهم وأفديك بنفسي)، فلما سمع الحسين عليه السلام كلامه بكى، فلما ألح عليه أذن له وقال للنساء: (دعوه فإنه ممسوس بالله)، أي إنه ترك الأنا ولا يعرف بعد سوى الشوق للقاء الله واشتملت روحه بمحبة الله، وهكذا خرج لقتال الأعداء فجعل الجثث متناثرة فرجع الى أبيه منادياً: (يا أبتاه العطش قتلني، يعني العطش الى لقاء الله - وثقل الحديد أجهدني - أي الموانع من الجسد العنصري وعلائقه)^(١).



(١) تذكرة الشهداء ص ٢٥٩ نقلاً عن الجديد في مصرع الشهيد ص ٨١ للشيخ منتظر الاسدي.



النظريات المختلفة حول دوافع العمل ونتائجه:

قال الحق جل مجده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى﴾^(١).

يحتاج الإنسان مجموعة من الأهداف في حياته الإنسانية ويتطلب منه في تحقيق أهدافه سواء المادية وغيرها الى كيفية التعاون مع محيطه الاجتماعي فهو بحاجة الى التعاون مع الآخر لكي تكون الحياة منظمة، ولذا كل الأديان والفلاسفة والحكماء يبحثون هذه النقطة أنه كيف تكون دوافع الإنسان وهدفية أعماله؟ ولذلك فرضت في ذلك نظريات نشير الى بعضها:

النظرية الأولى:

الأخلاق الاجتماعية المبنية على أساس المنافع: وهذه النظرية من فلسفة راسل، يقول: "إن أخلاق المجتمع في الواقع نوع من أنواع التعاقد يقوم به الأفراد ذلك لأن الأفراد جميعاً يدركون أن الحفاظ الأفضل على

(١) سورة سبأ الآية ٤٦.

منافعهم يقتضي أن يراعي كل منهم حقوق الآخرين ووجودهم ويضرب لذلك مثلاً فيقول: أنا - بحسب الطبع - أميل لأن أمتلك بقرة جاري ولكني ملتفت الى أن هذا العمل إذا تحقق فإن جاري سوف يرد عليّ ويأخذ بقرتي، وهكذا يقوم الجار الآخر بنفس العمل وحينئذ فبدلاً من الانتفاع الأكبر سوف اصاب بضرر أكبر وحينئذ أقول إن المصلحة تقتضي أن أحترم حقك وأعتبر بقرتك ملكاً لك لتكون بقرتي ملكاً لي^(١).

فراسل يرى أن أساس الاحترام للحقوق الفردية هو أن يحترم عدة من الشركاء حقوق كل فرد منهم لأنهم يرون إن مصلحة الفرد تكمن في التعاون، ونحن نقول: إن العلاقة بين اللصوص تقوم على هذا الأساس فإن عدداً من اللصوص عندما يتفقون على السرقة ويقطعون الطريق نراهم يقسمون النتائج بالسوية والعدالة بينهم ويراعي بعضهم البعض لأنهم يعلمون إن كل فرد لوحده لا يستطيع القيام بهذا العمل ولأن كل فرد يحتاج للآخرين فإنه يحترم حقوقهم، ولذلك فإن فلسفته على اقتلاع جذور الإنسانية لأن العلاقة بينهم قائمة على أساس المنافع ويمكن لهذه الأخلاق أن تشمل الفرد الذي يلاحظ منفعته في التعاون مع الآخرين ويخاف ردود أفعالهم يعني الاعتراض على أمريكا في حربها ضد فيتنام مثلاً إنه عمل غير إنساني فعلى هذا المنطق لا يمكن أن تعترض لأنه يجيز للقوي أن يستغل الضعيف غاية الأمر أنه يقول للضعيف كن قوياً

(١) الهدف السامي للحياة الانسانية ص ٢٦٣ من رؤى جديدة ج ٥.

لكي لا يستطيع أن يظلمك فهذا لا يبقى للأخلاق موضعاً لأنه لا يستطيع أن يأمر القوي قائلاً له: مع إنك تعلم إنَّ الضعيف لا يستطيع أن يرد عليك ولكن لا تظلم! إذن لا بُدَّ من التخلُّص من المفاصد أي نبني المجتمع على النحو الذي لا يتضمن وجود قوي وضعيف وعلى هذا الأساس استطعنا القضاء عليه جذرياً وجعلنا أفراد المجتمع على حد سواء وحينئذ نجدهم - بالطبع - يمتلكون الاحترام المتبادل لحقوق الأفراد لأنَّهم متساوون.

النظرية الثانية:

القضاء على الملكية الفردية: إنَّ الناس بمستوى واحد وبقدرة واحدة وتكون للجميع أهداف مشتركة والماركسية تقريباً تقول بمثل هذا الرأي فهي ترى أنَّ التعدي والشرور، وأنماط الظلم المختلفة هي الملكية الفردية فلا بُدَّ أن يحل مكانها الملكية الاجتماعية الاشتراكية.

وهذه النظرية كذلك فاشلة لماذا؟ لأنه لو كان انعدام الظلم والفساد بالحياة الاشتراكية فإننا نجد بين الحين والآخر أنَّ المجتمعات الشيوعية مبتلاة بأساليب التصفية وغير ذلك مثلاً: جوزيف استالين كان القائد الثاني للاتحاد السوفيتي والسكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٩٢٢م وبعد وفاة لينين عام ١٩٢٤م أخذ يعزل قيادات حزبه وبعضهم رحلهم الى اوربا، ثمَّ أخذ يقتل الناس ليلاً ونهاراً واستولى هو وحزبه على الأرض الزراعية من الفلاحين وأبدل نظامها

بالنظام التعاوني مما أدى الى إرجاع الفلاحين الى العبودية وقتل الملايين بسبب سياسته وحروبه، كما تعرّض المسلمون الى حرب إبادة وحملات تهجير في دول أوروبا لأنّ من ضمن مبادراتهم ما يقوله لينين: "إنّ من أهم الأهداف لحزب العمل الاشتراكي في روسيا هو أن يحارب بلا هوادة كل نزعة دينية في أفئدة العمال، إنّ مهمتنا الدعوة الى الإلحاد على أوسع نطاق ممكن".

ثمّ إنّ هناك أمور لا تقبل الاشتراك، فالمساواة تكون من الغبن فمثلاً: التلاميذ في صف واحد ليس من الحق منحهم جميعاً درجات متساوية، وهكذا العمال في مختلف صنائعهم فليس لهم أجور متساوية، فالطالب يأخذ حسب معلوماته ومكانته العلمية، والعامل حسب أهمية عمله الذي قام به وأتعبه فيه.

النظرية الثالثة:

مبدأ المسؤولية وهي التي ذهب اليها سارتر: إنّ كل فرد في هذا العالم مسؤول عن نفسه وعن الآخرين، فكل عمل جزئي يحمل في مضمونه طابعاً كلياً بمعنى: أنّ كل عمل يؤديه الإنسان بشكل فردي فإنّه يريد أن يقول للمجتمع: هكذا يجب أن يكون العمل، وعندئذ يجبر المجتمع على هذا السلوك بمعنى أنّ كل إنسان يعتبر عمله نموذجاً يحتذى به فهو مسؤول عن الآخرين، ذلك لأنّه يعطي عمله قيمة ويراه حسناً فيدعو الناس إليه، والوجدان هو الذي يحاسبه إذا فعل قبيحاً.

والرد واضح:

- ١ - الأذواق مختلفة والعقول متفاوتة فربما هناك من يُحسن عملاً وهناك من يقبحه في آن واحد.
- ٢ - هناك من البشر معدوم الوجدان أصلاً فمن يحاسبه؟!

النظرية الرابعة:

اللذة بالعمل اتجاه الصالح العام: وهذا الرأي ذهب إليه أبيقور - وهو من قدماء الفلاسفة - فمذهبه يرى أنَّ اللذائذ المعنوية أكثر دواماً وأقل تألماً من اللذائذ المادية فالإنسان عندما يؤدي عملاً صالحاً يؤديه للذة التي يحس بها، يلتذ في عمق وجدانه بالأعمال العامة والحسنة.

وهذا الكلام باطل كما قال أحدهم مثلاً: إِنَّ الإمام الحسين عليه السلام انطلق الى كربلاء وضحى بنفسه وشبابه وقدم نساءه وأطفاله للأسر لأنَّ وجدانه كان يلتذ بالخدمة التي يقدمها للناس فهذا ليس بصحيح ما هي اللذة عندما أُقتل، فهذا أمر لا معنى له.

النظرية الخامسة:

الإيمان بالقيم المعنوية: إِنَّ هناك مسؤولية وغاية اتجاه كل عمل وله جزاءه عند خالقي فليست القضية بدون أن تكون هناك مثلٌ عليا لا بُدَّ أن تقوم بها ولذا يقول الكاتب الروسي المعروف يوفسكي: "إن لم يكن هناك

واجب الوجود فكل شيء جائز بمعنى إننا إذ نقسم الأعمال الى حسن وسيء فنقول: هذا فعل حسن يجب فعله، وهذا قبيح يجب تركه، وإذا تفرض الجوانب المعنوية طبيعة أن نصدق، وأن لا نكذب، وأن لا نخون المجتمع، بل نخدمه فهذا كله تابع للاعتقاد بالله واجب الوجود فإذا لم يكن هناك واجب الوجود فكل شيء جائز، أي إنَّ كل شيء مباح لنا ولا معنى للمنع والردع.

هكذا لا بُدَّ أن يكون العمل لله سبحانه والانتهاج بمنهج الحق.





بالمعرفة تدرك الحقيقة:

قال المرتضى رحمته الله: (عرفت الله بفسخ العزائم، وحل العقود، ونقض الهمم)^(١).

هناك فرق بين العلم والمعرفة، فالمعرفة تقال لما سبق العلم به ولذا قال سبحانه في قصة نبيه يوسف عليه السلام: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٢)، حيث كانت معرفته بهم سابقة للعلم^(٣)، وهنا المعرفة من سيد الموحدين عليه السلام أنت بجهدك العلمي والإيماني وسعيه الجاد، والإنسان عندما يبحث عن الحقيقة التي يمكن أن يطلق عليها أسم (المعرفة) أو مقولة (إدراك العالم الخارجي)، إنَّ هذا النزوع موجود في الإنسان وهو النزوع الى اكتشاف الحقائق كما هي، أي إنَّ الإنسان يريد أن يتسلَّم المعلومات عن العالم وعن وجود الأشياء كما هي وهكذا ورد في دعاء المصطفى عليه السلام: (اللَّهُمَّ أرنا الحقائق كما هي)^(٤) والحقيقة إنَّ هذا ما يسمى

(١) موسوعة العقائد الإسلامية ج ٣ ص ٩٨ للشيخ محمد الريشهري.

(٢) سورة يوسف الآية ٥٨.

(٣) فلسفة التاريخ ص ١٠ للسيد محمد الشيرازي رحمته الله.

(٤) عوالي اللئالي ج ٤ ص ١٣٢.

بالحكمة والفلسفة وما انصراف الإنسان الى الفلسفة إلا استجابة لهذا الميل والنزوع الى معرفة الحقيقة حتى إننا نستطيع أن نطلق عليه اسم (الحس الفلسفي)^(١) أو البحث عن الحقيقة، وهناك كلمة لابن سينا يبين فيها هدف الفلسفة وغايتها يقول: "صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني"، أي أن يتلقى العالم العيني كما هو ليصبح عالماً بذاته، إن قضية البحث عن الحقيقة عند الفلاسفة هي الكمال النظري ذاته والإنسان يبحث بفطرته عن كماله النظري، أي أن يدرك حقائق العالم ويسمى في علم النفس: حس البحث عن الحقيقة أو حب الاستطلاع ويبحثونه على صعيد واسع، ويقولون: "إنه ملحوظ في الأطفال ابتداء من الثانية والنصف أو الثالثة من أعمارهم فتكثر أسئلتهم عن كل شيء إلا أن الأبوبن الجاهلين عندما يرون إلحاح أطفالهم في السؤال وهم بهذه السن يعتبران ذلك فضولاً وتطفلاً هذا خطأ، إنَّ الطفل يسأل وله الحق في أن يسأل وحتى ولو سأل سؤالاً لم يستطيعا الإجابة عليه فينبغي ألا ينهرانه بل يجب عليهما أن يجيباه على قدر الإمكان، كما أنَّ الطفل قد يقوم بكثير من الأعمال التي يعنفونه عليها كأن يلمس كل شيء تصل إليه يده فيقولون: إنه مؤذي، الأمر ليس كذلك بل هو حب الاستطلاع، إنه يريد أن يحرك هذا الشيء ليعرف لأنه لم يجرب بعد، ثمَّ حكاية طريفة تحكى عن أبي ریحان البيروني بهذا الخصوص: كان للبيروني جار فقيه جاء يوماً لعيادة البيروني في مرض ألم به فرآه مسجى في فراشه وقد استقبل

(١) رؤى جديدة ص ١١٢ للشهيد مطهرى رحمه الله.

القبلة وهو في حالة احتضار ولكن البيروني - وهو في هذه الحالة - سأل الفقيه سؤالاً في الفقه، فعجب الرجل وقال له: ما هذا وقت سؤال، قال البيروني: أعلم أنني موشك على الموت وأسألك أيهما أفضل أن أموت وأنا عارف لجواب سؤالي أو أن أموت وأنا لا أعرفه؟ فقال الفقيه: أن تموت وأنت عارف أفضل، فقال: إذن أجبني على سؤالي فأجابه، ويقول الفقيه: إنه لم يكد يصل بيته حتى تعالى العويل والصراخ من بيت البيروني، هذا إذن احساس كامن في البشر والذين أبقوا هذا الإحساس حياً في أنفسهم من العلماء وتعهدوه بلغوا مرحلة أصبح فيها طعم اكتشاف حقيقة ألد عندهم من أي شيء آخر، وهنالك حكاية عن السيد محمد باقر الأصفهاني أنه في ليلة زفافه عندما رأى النسوة مازلن يملأن غرفة العروس دخل غرفة مجاورة خالية وقال في نفسه: هذه فرصة طيبة للمطالعة وتناول كتاباً وراح يقرأ فيه وبعد خروج النسوة ظلت العروس تنتظر قدوم السيد فلم يأت وفجأة تنبّه الى أنّ الصبح قد انبلج، لقد استغرق السيد في المطالعة استغراقاً نسي معه عروسة ليلة زفافه، وهكذا يُنقل عن باستور قصة مماثلة ليلة زفافه حيث انتهز فرصة نصف ساعة من الفراغ ودخل الى المختبر ولم ينتبه للوقت حتى أصبح عليه الصبح، هذا الشيء موجود لدى البشر كما أنّه ينمو بمقدار ما يتعهده المرء ويربّيه، يقول جون ستيوارت مل الفيلسوف الإنجليزي المعروف: "العالم الفقير خير من الجاهل الغني"، أي إنّه يرجح العلم مع الفقر على الغنى مع الجهل.



أطروحة طلب العلم بالصين:

قال الرسول الأعظم ﷺ: (اطلبوا العلم ولو بالصين)^(١).

لا شك إنَّ حديث المعصوم ذو أبعاد كثيرة، ويمكن لنا استخراج بعض الأبعاد من هذا الحديث الشريف:

البعد الأول / عوامل طلب العلم: من عوامل طلب العلم والمعرفة التغرب والهجرة ولذلك لم يعترف الإسلام بالحدود الجغرافية التي وضعتها القوانين الوضعية لأنها تحد مسيرة التكامل وقد قال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٢)، وأمثالها الكثير من الآيات التي تدعو الى السير في الأرض والنظر في عواقب وسنن الآخرين والاعتبار منهم فهناك حضارات ومواهب وطاقات، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٧.

ذَكَرَ وَأَنْتَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ^(١)،

وبهذا لا تفاضل بعض على بعض ولا حدود بينهما ولا عنصرية في القومية واللغة وما شابه، ولذا نرى في مقام المرجعية الدينية في المدرسة الشيعية أنه من الممكن أن يكون المرجع رجلاً من أي بلد ما دام اتصف بالعلم والإيمان وهذا ما كان في العهد الأول للإسلام فسلطان الفارسي عليه السلام حاكماً في العراق، وابن عباس العربي حاكماً في إيران، وهكذا يحدثنا التاريخ عن غير المسلمين كيف طبقوا هذا المبدأ أمثال: جان جاك روسو - المفكر السويسري - الذي قاد الشعب الفرنسي فكراً إلى الثورة، وماركس - المفكر الألماني - الذي طرح نظريته في روسيا، وأريوس الليبي بطل الثورة الدينية في بيزنطة، ولينين الذي أغترب في سويسرا وفرنسا وأمريكا الشمالية والجنوبية، وكاستر الكوبي الذي هاجر إلى المكسيك، وهكذا العرب أمثال: ميخائيل نعيمة - المفكر والأديب اللبناني - الذي عاش في أمريكا، وجبران خليل - الأديب اللبناني - مات في نيويورك، وطه حسين - الأديب المصري - حصل على شهادة الدكتوراه من باريس، وتوفيق الحكيم - الروائي والكاتب المسرحي - وشبلي شميل - الطبيب اللبناني - وفرج انطوان - الكاتب القصصي والصحفي - وجرحي زيدان - المؤرخ والأديب اللبناني، ويعقوب صروف - أديب ومترجم - مات في مصر، وعلي الوردي الذي كان من

سكنة الكاظمية وقد درس في لندن، فكل هؤلاء هاجروا وطلبوا العلم في الهجرة ونشروه، وهكذا أكابر المفكرين والفلاسفة من غير العرب كأبن سينا والفارابي ومحمد الغزالي وجمال الدين الأفغاني والعالم النحوي سيبويه وابن مالك وناصر خسرو والطوسيين والشرازيين من إليهم من العلماء.

فالتقييد بالقومية واللغة والجنسية ونحوها ذلك مما يحد من نشاط المصلحين ويوجب تقديم المفضول والفاضل على الأفضل، إذن الإنسان المغترب والجانح أكثر اندفاعاً الى طلب الشيء وهو سبب التقدم، ولذا في الحديث القدسي: (إني جعلت العلم في الجوع والغربة والناس يطلبونه في الشبع والوطن فلا يجدوه أبداً)^(١).

البعد الثاني / النظر الى قيمة الجوهر بغض النظر عن الظرف:

قال المرتضى رحمته الله: (الحكمة ضالة المؤمن، فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها)^(٢) فأخذ العلم والحكمة والسلعة العقلانية لا يمنع حال قائلها أو صانعها من خسة نفسه أو ترك العمل بما قال أو سوء الأدب من قول وفعل أو قلة في الدين أو اتباع عقيدة فاسدة، المهم أن تقتبس منه الحكمة الصحيحة التي لا تتعارض مع دينك وعقيدتك ولذا نرى الإسلام أقرّ بعض العادات والتقاليد التي كانت في الجاهلية ونهى عن البعض الآخر، وهناك نماذج قام بها النبي الكريم صلى الله عليه وآله فعن ابن عباس

(١) المواعظ العددية ص ٢٤١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص ٦٢٥.

قال: (كان ناس من الأسرى يوم بدر، لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)^(١) وقبل النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت يرينا سمو الإسلام في نظرته الى العالم، وكذلك عندما بعث النبي ﷺ بعضهم الى جرش وكانت تحت حكم الروم لتعلم صناعة المجانق والعرادات فتعلموا ذلك وصنعها المسلمون واستخدموها في حصار الطائف، وكان المسلمون يستوردون الدروع من بلاد فارس والروم، وعندما سبى المسلمين يوم فتح خيبر ثلاثين فنياً - أي حداداً - قال النبي ﷺ: (اتركوهم بين المسلمين ينتفعون بصناعتهم ويتقوون بها على جهاد عدوهم) فتركوهم، وهذه النماذج وغيرها تطبيق لقوله سبحانه: ﴿فَسَاءَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) فالرجوع لذوي الاختصاص لا إشكال فيه مطلقاً، ومما يُستغرب أنه هناك مغالطة يطلقها البعض أنه: لماذا تحرم علينا بعض الممارسات والأعمال التي يقوم بها الغرب، وها نحن نصعد طائراتهم ونستخدم تقنياتهم الحديثة فلماذا هذا حلال وذلك حرام؟ والجواب: إنَّ الأخذ منهم بما يُعد من اختصاصهم وشيئاً عقلياً ونافعاً لا بأس به كما أسلفنا، أمّا الممارسات التي تعارض الشريعة والمبادئ والقيم فإنَّه مرفوض لما فيه من فساد وترويج للباطل، ولعل هؤلاء يقصدون بمغالطتهم نشر الفساد أمثال عيد الحب المزعوم، نعم؛ الإسلام حبيب الحب في كل لحظة:

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ٥ ص ١٢٩.

(٢) سورة النحل الآية ٤٣.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(١) ولا بُدَّ للمجتمع أن يكون على ود دائم ومحبة متبادلة ولكن ضمن الضوابط، وليس كما أراد أولئك الذين يروجون لعيد الحب الذي أسسه الشاذون حيث بدأت القصة من القس الشاذ فالنتاين الذي يسكن مدينة تورني الرومانية طردته الكنيسة لشذوذه فبنى بيتاً ريفياً وجعله وكرّاً سرياً للشاذين والزناة فأصبح الشذّاذ من جميع البلاد يقصدون بيت فالنتاين، وبعد موته أغلقت الحكومة الرومانية بيته وصادرته لأنّه ما كان له ورثة فأصبح الزناة يجتمعون بالمئات يطلبون الورود الحمراء على قبر فالنتاين كل عام فأصبح يوم وفاته كعيد لهم، ومع الأسف نرى ذلك اليوم يدأب في بلاد المسلمين ولقد صدق المصطفى ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا حجر ضب لتبعتموه)^(٢).

البعد الثالث / إشارة إلى حكماء ومفكري الصين: مما لا يخفى أنّ في حاضرة الصين الكثير من الفلاسفة وأهل الفكر والعلم ومنهم المنظر السياسي والمصلح الاجتماعي الذي سبق المسيح بـ ٥٦٠ عام وهو (كونفوشيوس) المولود في ليو وعدد طلابه ٣٠٠ شخص وأتباعه اليوم نصف مليار وهو من عائلة شريفة ويحتمل أنّه كان نبياً - على ما احتمله أحد الأعلام عليه السلام^(٣) - ومن حكمه أنّه كان يعلم الناس أن كنزهم هو ضمن

(١) سورة البقرة الآية ١٦٥.

(٢) تفسير الميزان ج ١٢ ص ١١٠.

(٣) فلسفة التاريخ ص ٣٧٩ للسيد محمد الشيرازي عليه السلام.

حكمتهم الشخصية، ويقول: "إنَّ جسدنا موروث عن والدينا فكيف نستطيع حمل هذا الإرث دون احترام" ويقول: "كل الناس اخوة فلا تميز عنصري ولا مكانة اجتماعية فكل إنسان هو الإنسان ولا واحد منهم حيوان والآخر إله"، ويقول: "لا يهم أن تمشي ببطء ولكن المهم هو أن لا تتوقف"، ويقول: "أفضل للعلم أن يوقد شمعه من أن يلعن الظلام"، ويقول: "الصمت هو الصديق الوحيد الذي لا يخونك أبداً"، ويقول: "لا تتردد أبداً أن تسأل من هو دونك"، ويقول: "ليست العظمة في أن لا تسقط أبداً، العظمة أن تنهض كلما سقطت"، ويقول: "الإنسان العظيم تتبع عظمته من نفسه ومن علمه وأفعاله، أمّا الدنيء فتراه يبحث عن العظمة والشرف في نسبه ومعارفه" كما إنّه كان ينصح الحكام لكنهم لم يقبلوا منه وعارضوه أشد المعارضة ومن مقولاته للحكام: "لا بُدَّ للحكومة من تحقيق ثلاث أمور: أن يكون لدى الناس كفايتهم من الطعام، وكفايتهم من العتاد الحربي، ومن الثقة بحكامهم، فقل له: لم يكن بُدَّ من الاستغناء عن أحد هذه الشروط فأَيُّ الثلاثة يجب أن تتخلى عنه؟ فقال: العتاد الحربي، ثمَّ سئل مرة ثانية: إذا كان لا بُدَّ من الاستغناء عن أحد الشرطين الباقيين؟ فأجاب: عن الطعام ذلك أنَّ الموت كان منذ الأزل قضاءً محتوماً على البشر أمّا إذا لم يكن للناس ثقة بحكامهم فلا بقاء للدولة"، ومما أوصى به قوله: "كل ما يجوز أن ألقب أو أوصف به هو أنني تلميذ كثير الاشتياق الى العلم، ومعلم لا يكل، وهذا حسبي ولا شيء

..... بقلم السيد حسن الياسري

أكثر من ذلك"، ولما مات أخذ الحكام الصينيون بعد موته يقيمون المعابد باسمه فيأمرون بتقديم القرابين باسمه تكريماً لذكراه.





تقييم الأفكار والنظريات:

قال الحق جل مجده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

إنَّ لتقييم الأفكار والنظريات والمبادئ والمذاهب طريقتين هما:

الأول / الطريق المباشر: حيث يتم التوجه الى الفكرة مباشرة ويجري تقييمها من خلال ذاتها وينظر هل هي تتناقض مع ذاتها أو مع الواقع الخارجي أم لا؟ ولنأخذ أمثلة على ذلك مثلاً: عندما نأتي الى السوفسطائية التي ظهرت نظرياتها على الساحة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد وكان الرائد الأول لها غورغياس الذي وضع كتاباً لهذه النظرية سماه اللا وجود وهذا البيت الشعري يشرح مفهومها:

كل ما في الكون وهمٌّ أو خيال أو عكوس في المرايا أو ضلال
وقد رُدَّتْ هذه النظرية بالحجج العقلية من قبل افلاطون وأرسطو
وسقراط وتم بطلانها.

(١) سورة الحديد الآية ٢٥.

وفي قبال نظرية السفسطة تأتي نظرية الواقعية التي تنبأها بيرون وكذلك نوقشت فكرته واضمحت.

النظرية الماركسية: وهو المذهب السياسي الشيوعي الذي ظهر في روسيا يهدف الى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة، ولكن اختلف من نفس رائد هذه الحركة كارل ماركس الألماني وذلك من قبل ليين وبانت بالفشل.

وهكذا الأديان الاخرى، والأديان اليهودية والمسيحية وغيرها وبالإمكان مراجعة ما كُتب بالملل والنحل للتعرف عليها، أمّا ديننا الحنيف الإسلام المحمدي فعندما يُدرس بعمق تراه يتسع باتساع الكون ويشهد على ذلك حتى أعداءه وبالتالي يخضعون له، يقول الفيلسوف الإنجليزي برناردشو: "إنَّ العالم أحوج ما يكون الى رجل في تفكير محمد ﷺ هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنَّه أقوى الأديان على هضم جميع المذنبات خالداً خلود الأبد، وإنِّي أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بيّنة وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة - يعني أوربا - " ويقول العالم الأمريكي مايكل هارت في كتابه مائة رجل من التاريخ: "ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتمّ رسالته المدنية وتحدت أحكامها وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته ولأنَّه أقام بجانب الدين دولة جديدة فإنَّه في هذا المجال الدنيوي أيضاً وحدّ القبائل في شعب، والشعوب في أمة ووضع كل أسس حياتها ورسم

أمر دنياها ووضعها في موضع الانطلاق الى العالم أيضاً في حياته فهو الذي بدأ رسالته الدينية والدنيوية وأنماها".

وهكذا عندما نريد أن نُقيم مذاهب الإسلام حينها سنخرج الكثير لأنهم ليسوا على المبادئ التي رسمها لهم النبي الأعظم ﷺ ومما رسمه المصطفى ﷺ يوم قال: (يا معشر الأنصار... هذا علي أحبوه لحبي، وأكرموا لكرامتي، فإنَّ جبرائيل أخبرني بالذي قلت لكم عن الله)^(١).

ويقول مولانا الصادق ﷺ: (إنَّ الله فرض ولايتنا ومودتنا وقرابتنا...، والله ما نقول بأهوائنا، ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا)^(٢)، وقد ذكرت تفاصيل ذلك في كتاب المدارس الفكرية.

الثاني / الطريق غير المباشر: وذلك من خلال ملاحظة آثار الفكر ونتائجه في الواقع وهذا الطريق يُمثل فرداً من أفراد البرهان الإنسي - مقابل اللمي - المذكور في علم المنطق وهو الذي ينتقل فيه من المعلول الى العلة وذلك مثل الانتقال من وجود الدخان الى وجود النار، فيحكم على الفكرة من خلال الواقع الخارجي والحياة العملية وكمثال على ذلك عندما نتأمل في كيفية تصدي من ليس أهلاً للخلافة والولاية على المسلمين من بعد النبي ﷺ، فبعد هلاك الثالث فزع المسلمون الى بيت

(١) مناقب أمير المؤمنين ﷺ ج ٢ ص ٥١١.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٧٣.

..... بقلم السيد حسن الياسري

•
أمير المؤمنين ﷺ ليكون خليفة، لماذا فزعوا؟! لأنهم ذاقوا مرارة من
سبق من حكومات فاشلة فعرفوا أنَّ الحق مع مولانا المرتضى ﷺ.





مفهوم الثقافة والمثقف:

قال الحق جل مجده: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١).

يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأول للفكر والثقافة والعقيدة ومستودع التشريع والأحكام، ومقياس الخطأ والصواب، وفي هذا المبحث الوجيز نسلط الضوء على مفهوم الثقافة والمثقف من خلال الرؤية القرآنية.

في واقعنا المعاصر كثير ما تتردد كلمة ثقافة ومثقف، والكثير ممن يستعملها لا يقصد بالثقافة إلا مجموع المعارف التي يحصل عليها الإنسان.

والمثقف حسب هذا الفهم هو من حوى قدراً من هذه المعارف أو تلك، أو هو حامل الشهادة الدراسية لا سيّما في مستوياتها الجامعية ذلك ما يفهم معظم الناس من كلمة ثقافة ومثقف.

(١) سورة الاسراء الآية ٩.

المتقف في معاجم اللغة:

تُعرف معاجم اللغة كلمة (تقف) فقد جاء في معجم مفردات الراغب:
التقف: الحذق في ادراك الشيء وفعله^(١).

وجاء في المعجم الوسيط: تقف الشيء أقام المعوج منه وسواه،
وثقف الإنسان أدبه وهذبه وعلمه^(٢).

والمتقف في الاصطلاح:

وعندما تعرف مفهوم الثقافة في معاجم اللغة والذي من دلالاته: الدقة
في استقبال المعرفة وتقويم المعوج ومن هذا المنطق يجب أن نفهم
مصطلح ثقافة ومتقف ونستعمله فلا نسمي المتعلم مثقفاً ما لم يسلك
السلوك القويم وينقي سلوكه وشخصيته من الانحراف والهبوط
الأخلاقي، ومن هذا المنطلق أيضاً فإن ثقافة القرآن الكريم تعني تقويم
السلوك الإنساني وتهذيبه وتنظيم البنية الذاتية للإنسان على أساس القيم
والمبادئ القرآنية ليكون شخصية قرآنية في فكره وطريقة تفكيره.

القرآن الكريم هو المقياس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ كما أسلفنا القول بأن
القرآن هو مصدر الفكر والثقافة، وهو المنهج الواضح الذي يرسم

(١) مفردات ألفاظ القرآن.

(٢) مبادئ أساسية ص ٥، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

للإنسان طريق الهدى والاستقامة في مجال العقيدة والسياسة والاقتصاد والاسرة والمجتمع، ومن هنا كان القرآن هو المقياس الأول في عملية التقييم والفرز بين ما هو خطأ وما هو صواب، بل إنَّ القرآن أصبح المقياس للسنة النبوية وصحة العقيدة ومقياس للثقافة والمعارف العامة.

ومما يؤسف له إنَّ بعض المثقفين عندما درسوا وأطلعوا على بعض الأفكار الغربية فقد مسحوا أنفسهم تماماً وسقطوا في هاوية الاستلاب وابتعدوا عن مبادئهم الدينية، وينقل أحد المفكرين بعض الخلط الذي وصلوا إليه، ننقل بعض كلامه باختصار:

”هناك الكثير من المفارقات التي تحصل يومياً في مجالس الحوار والنقاش عند قطاع واسع من المثقفين ومن الشواهد على ذلك أنك تسمعهم يمدحون الحرية غير المسوّرة، والانفتاح غير المشروط في العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، ثمَّ يفاجئونك بأنهم هم أنفسهم من يرفض من منطلقات أخلاقية متزمتة نمط العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس الزواج المؤقت، الذي يقلّص حجم الرذيلة في المجتمع، لقد ناقض المثقف العربي نفسه مئات المرات بل أكثر من ذلك إذ دعا الى نبذ التقليد والأتباع من جانب، ولكنه كان اتباعياً ومقلداً من جانب آخر ودعا الى أن يحكم الإنسان الأفكار وفقاً لمعايير موضوعية وأسس علمية من جهة، بينما رأينا أبعد ما يكون عن العلمية والموضوعية كلما تعلق الحكم على فكرة موجودة في التراث، وسمعناه مراراً وتكراراً يطالبنا بأن نطلع

..... بقلم السيد حسن الياسري

على التراث الغربي لكي نتمكن من إجراء المقارنة وأخذ ما هو نافع منه ومناسب، لكنه لم يكتفي بهذا، بل صار ينتقد بقسوة كل المشاريع الإسلامية التي نحت هذا النحو^(١).

إننا نقيّم المثقف، ونقدر وجوده، ونثمن ما يمتلكه من إطار ذهني واسع يتيح له أن يطلع بعمق وشمول على العديد من فروع المعرفة، ولكن ننتقد البعض الذي لم يحسن توظيف هذه الثقافة في مجالاتها المعينة دون التدخل باختصاص غيره، فهناك من يتصور أنه إذا اطلع على علم معين جعله يعرف جميع العلوم ويناقش فيها وكأنه مخترعها وكنموذج على ذلك ندرج بعض الأسماء اللامعة في سماء الثقافة، ملفتين النظر أننا لا نريد الانتقاص من قدرهم بقدر ما نريد أن نخدم العلم.

عبد الكريم سروش: وهو كاتب ومفكر معاصر، حصل على منحة دراسية في زمن الشاه الى بريطانيا فدرس الكيمياء في جامعة لندن، واطلع على كتابات والترستيس، وجون هيك، وغيرهما، وتأثر بالتعددية الدينية، ثم انتقد الخط الإسلامي وتحول بكتاباته بالتبشير بالفكر الليبرالي والدعوة للدين الطبيعي.

وبالإمكان مراجعة كتبه لترى ذلك جلياً، كما كُتِبَتْ ردود عليها^(٢).

(١) اشكالية المثقف الديني ص ٢٤ للأستاذ باسم الماضي.

(٢) مثل: كتاب مباني الدين التجريبي للشيخ راغب الناصر.

علي الوردي: وهو عالم بالاجتماع حصل على الدكتوراه عام ١٩٥٠م من جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، تأثر بمنهج ابن خلدون، له عدة مؤلفات وقد رُدت من قبل بعض الكُتّاب^(١).

عالم سببط النيلي: وهو باحث عراقي، حصل على الماجستير في جامعة أوديسا / أوكرانيا، وتخصص بالهندسة وبما أنه متخصص بذلك ومؤمن بالله ومعتقد بالنبي والعترة عليه السلام، فقد ألقت دراسته على كلامهم إذ يعتقد أنَّ كلامهم يحتوي على نظامٍ هندسي يليق بهم كعظماء، فقد وضع طريقة لفهم كتاب الله تعالى وهي نظرية (قصديّة الدلالة) التي وضعها المفكر اللساني فرديناند دي سوسير السويسري، والتي يكون معناها أنَّ بين الألفاظ والمعاني مناسبة ذاتية تنشأ منها الدلالة، لكنه محتاج الى الواضع للتبيين والكشف وقد ردَّ على أفكاره بعض أهل الاختصاص.

الفرق بين المثقّف والمثقّف:

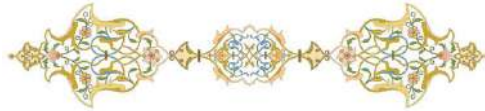
إنَّ المثقّف هو الذي عرّفناه في بداية المبحث لديه خارطة قواعد يسير عليها، أمّا المثقّف فهو ذلك الجاهل الذي يدّعي العلم وهو مفتقر لأبسطه، وأتخطر أنَّ أحد الشباب صادفني في طريق فأخذ يلوم منهج المرجعية الدينية فقلت له: لا شكَّ أنَّك وصلت إلى مقامٍ عالٍ جعلك

(١) مثل: تأملات في كتاب مهزلة العقل البشري.

تشخص الحكمة أفضل من نظر المرجعية المباركة فعرفني نفسك وبمستواك؟ فقال: أنا مثقف! قلت له: عرف لي المثقف لغةً واصطلاحاً، انصدم من السؤال إذ ادعى عنواناً لا يعرف حتى معناه، إنَّ أمثال هذا المسكين كثيرون في مجتمعنا، وإذا أردت أن تميز بينه وبين المثقف الحقيقي اختبره في طريقة تفكيره فمثلاً قل له: ما هو رأيك بهذه المقالة: "في وطني يوجد مستشفى سيء لعلاجك وعشرات المساجد الفاخرة للصلاة عليك عند موتك"؟ فجواب المثقف سيكون: صحيح إنَّ المستشفيات سيئة والمساجد عامرة، ولعله ينسج من خياله حديث مكذوب ينسبه للدين تسقيطاً بالدين.

أمّا المثقف فمباشرة يقول: ما علاقة المساجد بالمستشفيات؟! فهل وزارة الصحة هي من قامت ببناء المساجد؟ الأفضل أن يقال لوزارة الصحة: انظروا أيها المسؤولون لقد أحسن من بنى المسجد واخلص في عمله فلماذا لا تخلصون في عملكم وتزكون رواتبكم؟

إذن فالمثقف لم يفسد عمل قوم بفساد قوم آخرين^(١).



(١) للمزيد يُراجع الوطن المجهول ص ١١٤ للأستاذ علي الطائي.



ثقافة التربية والأخلاق

قبل الدخول الى صلب الموضوع أود الإشارة الى التصور المريض الذي يحمله البعض عن المثقف، وقد يحمله بعض المثقفين أنفسهم، وهو ما أشار إليه أحد علمائنا المعاصرين بأن المثقف لا بُدَّ أن يتَّسم بأمور ثلاثة:

الأول: هي وجوب مناهضته للدين والمذهب، بمعنى أن يكون منائياً للدين.

الثاني: الميل الى التقاليد الغربية والسفر الى أوروبا وما شابه ذلك.

الثالث: التحصيل الدراسي الأكاديمي^(١).

من الغريب جداً أن يتجرّد الإنسان عن مبادئه وتاريخه ووطنيته، حتى يقال عنه مثقفاً، هذا تصوراً خاطئاً.

(١) الثقافة وبناء المجتمع ص ٣٢ لسماحة آية الله السيد علي الخامنئي دام ظلّه.

أرى من الضروري جداً إزالة هذا التصوّر الضحل، وبيان السبب الرئيسي الذي دعا الى ظهور مفهوم الثقافة للمرة الأولى، والحق أنّه ظهر في فرنسا حسب الظروف التي كانت فيها هي وأوربا، ثمّ انتقلت من فترة القرون الوسطى نابذة وراءها الديانة المسيحية التي طبعتها الكنيسة آنذاك بالعنف والخرافات وقتل العلماء ومحاكمة المخترعين.

فكان من الطبيعي أن يظهر حينذاك عقلاء يعرضون عن مثل ذلك الدين، ويشرعون بفكر جديد.

أمّا الدين الإسلامي الأصيل فإنّه يدعو الى احترام الإنسان كجوهر ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

ويدعو الى الاهتمام بالعلم والعلماء وأهل الثقافة والفكر ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢).

فالثقافة بمعناها الحقيقي لا تنطوي على عداة للدين، وأرى الواقع في السنوات الأخيرة يختلف عما يشاع، فالكثير من المثقفين يحملون صبغة الإسلام، بل يستفيدون كثيراً من معالم الدين وتراثه، وكذلك لا يسحقون على تقاليدهم الحسنة، ويحافظون على حضارتهم وتاريخهم، ولا يأخذون المعارف الاوربية على نحو الاطلاق إلا ما صح منها كون ذلك مبدءاً عقلائي.

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٢) سورة المجادلة الآية ١١.

كما أنَّ الكثير وإن لم يسعفه الحظ لمواصلة الدراسة الأكاديمية إلاَّ أنَّه يواكب الحركة العلمية ويطلّع على الكثير من المعارف، ثمَّ أنَّه يقرأ الأفكار ويتَّبَعها بدقة وتحقيق، حتى جعلنا نقول: بأنَّ المثقَّف هو الذي يأخذ من كل علم خلاصة، ومتجدد المعلومة كونه يتابع كل جديد دون التوقُّف عما درسه سابقاً، وسأركز على أهمية تحلي المثقَّف بالأخلاق الحميدة، وكذلك فيما ينبغي من تربية أبنائه بطريقة سليمة.

الأمر الأول / المثقَّف والطرف المقابل:

أعجبني قول أحدهم بتعريفه للمثقَّف حيث قال: "هو من يستطيع أن يتجاوز المواقف المحرجة"^(١).

والاحراج الذي يقع فيه يعني أنَّ هنالك طرف آخر وعليه أن يعلم ماهية هذا الطرف ويزداد من المعلومات الثقافية التي هي من ضمن اختصاصات ذلك الطرف، ويمكن تقسيم الطرف المقابل الى ثلاثة أنواع:

النوع الأول / هو الحق جل مجده:

فيجب أن نتثَقَّف بدرجة عالية بخصوص ما يربطنا بالله تبارك وتعالى من أعمال عبادية، وأفعال معنوية، ومعرفة ما يأمرنا به من عقائد، وكذلك معرفة حلال الله وحرامه.

(١) هل أنت مثقَّف؟

النوع الثاني / هي النفس:

فيجب ترويضها على الالتزام، وتنقيفها بمحاسن الأخلاق، يضاف لها عنوان (المروءة).

النوع الثالث / المجتمع:

لا تقحم نفسك في أمور تجهلها، فلا بُدَّ من معرفة ثقافة الآخر ونوعيته ويجب أن يكون الدستور الثقافي مع المجتمع هو المحبة حتى تخلق مجتمعاً متجانساً ومتفقاً بالمحبة والمودة.

ويطيب لي أن أنقل لكم هذه القصة الهادفة وهي: أنه طلب من رجل حكيم أن يُفسّر للشباب حديث (أحب لغيرك ما تحب لنفسك)^(١) فدعا مجموعة من الشباب غير متحابين فيما بينهم، وقَدَّم لهم حساء وأعطى لكل واحد منهم ملعقة طولها متر، وطلب منهم أن يحتسوا الحساء بالملعقة شرط أن تمسك من آخرها فمهما حاولوا فشلوا وبقوا جوعاً.

دعا مجموعة أخرى - وكانوا متحابين - وقَدَّم لهم نفس الطعام وبفس الشروط فقاموا بإطعام أحدهم الآخر، حيث يطعم هذا الشاب زميله، وزميله يُطعمه حتى شبعوا بأجمعهم.

(١) جامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٢٠٠ للسيد البروجردى رحمته الله.

هنا قال الحكيم لهم: هل فهتم معنى المحبة للآخرين ماذا تعني وكيف تكون؟

الأمر الثاني/ كيفية تربية الأولاد؟

لا يختلف اثنان على بناء المجتمع الصالح، وإنَّه لا يكون إلا من خلال التربية الصحيحة منذ نشوء الفرد، ولكي لا يغفل المثقف من هذا الواجب السامي اتجاه أولاده ندرج له البحث التالي ليكون له برنامجاً تربوياً في نجاح مهمته في بناء طفله أولاً، ثمَّ التدرج الى مجتمعه لكي يستفيد من فكره ونظره.

وننطلق بالبحث من بيان النبي الأعظم ﷺ فهو بحق وضع دستوراً ثرياً في هذا الجانب المهم حيث يقول رُوحِي له الفداء: (الولد سيد سبع سنين، وعبدٌ سبع سنين، ووزير سبع سنين)^(١).

يُقَسَّم المصطفى الأحمد ﷺ حياة الولد الى ثلاثة أقسام، ولكل قسم أسلوب في التعامل فلنتابع ذلك سوية:

المرحلة الأولى (١ - ٧): وهي المرحلة التي يحتاج بها الطفل الى العاطفة من قبل والديه، حتى أنَّ خبراء التربية والمتخصصين في علم

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٢٢ للشيخ الطبرسي رحمه الله.

النفس حذروا الوالدين إذا لم يتعاملا مع طفلهما بعاطفة ومحبة، فإن لم يفعلا سيؤدي ذلك الى انحراف طفلهما في المستقبل^(١).

والذي ينبغي أن يفعلوا هو:

الصبر على بكاءه: في هذه المرحلة من العمر يكثر بكاء الطفل، وهذه الحالة حالة طبيعية، وللبكاء فوائد صحية بالنسبة للطفل، فلا بُدَّ من الصبر عليه، وعدم الاستياء من ذلك.

ورد عن خاتم الأنبياء وسيدهم ﷺ قوله: (لا تضربوا أطفالكم على بكائهم، فإنَّ بكائهم أربعة أشهر شهادة أنَّ لا إله إلاَّ الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه)^(٢).

وينقل لنا مولانا الصادق ﷺ عن جده المصطفى ﷺ قال: (صَلَّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الظهر فخفف في الركعتين الأخيرتين، فلما انصرف، قال له الناس: هل حدث في الصلاة حدث؟ قال ﷺ: وما ذاك؟ قالوا: خففت في الركعتين الأخيرتين، فقال لهم: أما سمعتم صراخ الصبي؟)^(٣)، فقد أسرع الحبيب ﷺ بصلاته شفقةً على صراخ الطفل الذي تركته أمه وقامت تصلي مع النبي ﷺ جماعة.

(١) ينظر كتاب كيف تربي أبنائك؟ لسماحة السيد هادي المدرسي دام عزه، وكتاب كيف تجعل ولدك صالحاً؟ للشيخ أكرم بركات دام توفيقه.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٤٤٧.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٨.

الصبر على مرضه: في هذه المرحلة ترى الطفل شديد الحساسية من تغير المناخ والأجواء ولذلك يمرض بسرعة، فلا بُدَّ للوالدين من الصبر على مرضه وقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام عن المرتضى عليه السلام قال: (في المرض يصيب الصبي، فقال: كفارة لوالديه)^(١).

الصبر على طلباتهم: عندما يرى الطفل بأنَّ الرازق له أبوه، فإنَّه يطلب منه أشياء كثيرة، بل ويريد انجاز طلباته بأسرع وقت، وبهذه الحالة لا بُدَّ للأب أن يكون حكيماً في التعامل معه.

فلو كنت مشغولاً بشيء معيّن ويأتيك ابنك ويطلب منك - مثلاً - أن تأخذه فوراً الى مكان ما، فهناك طريقان يمكنك أن تتبع واحداً منهما لتصرف ابنك عن فكرته.

١- إمّا أن تنهره بالصياح وتطرده، بل يصل الأمر الى ضربه، ولاشك أنَّ هذه الطريقة سلبية جداً.

٢- وإمّا أن تأخذه الى حضنك وتطبع على وجنتيه قبلة أبوية عطوفة، ثمَّ تقول له: إنَّك تعلم يا ولدي أنَّي أحبك وأحب أن آخذك الى المكان الذي تريده، ولكن هل أنت تحبني؟

بالتأكيد أيها العزيز سيجيب قائلاً، نعم؛ أتعلم لماذا؟ لأنَّ روحه الشفافة تُدرك كلماتك الدافئة، ثمَّ قل له: إذن أنت تحبني

فهل ترضى بأذيتي؟ قطعاً سيقول: لا، عندها قل له: إنني أصاب بالأذى لو خرجت الآن معك لأتني مشغول بعمل مهم، وسنخرج في وقت آخر، وبهذا الفن في المعاملة ستجعل ابنك يُطيعك دون ضغوط.

ملاعبة الأطفال: ورد عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: (من كان عنده صبي فليتصاب له)^(١).

مهما كان عمرك ومقامك العب مع طفلك، فقد كان سيد الخلق وأكرمهم ﷺ يمارس هذا الدور مع ولديه الحسن والحسين ﷺ، وقد رأى المسلمون ذلك بأم أعينهم، وكان يحملهما على كتفيه وظهره مراراً وتكراراً.

التسوية مع الأطفال: إذا كان عندك مجموعة من الأطفال فلا تقدّم أحدهم على الآخر حتى لا يكون بينهم الحقد والحسد، فحاول التسوية بينهم واجعلهم متحابين متآخين، وعلمهم أهمية الأخوة وضرورة المحبة بينهم في الحياة، كما وازرع في قلوبهم حب أخواتهم حتى لا يشعروا بالضعف في المجتمع الذي يميل الى الذكور كما كان السلف الجاهل سابقاً وما زالت ترسباته في بعض مجتمعاتنا مع الأسف، ولذلك يستحب تقديم البنات على الذكور في العطاء والإكرام، فقد ورد عن

(١) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٦٧.

المصطفى ﷺ قوله: (من دخل الى السوق فاشتري تحفة فحملها الى عياله، كان كحامل صدقة الى قوم محاييج وليبدأ بالإناث قبل الذكور)^(١).
الذكور)^(١).

الدعوة الى الحياء: من الامور المهمة التي لا بُدَّ للإنسان أن يلتفت إليها هي ما حذر منه الإسلام الأصيل من ممارسة العلاقة الخاصة بين الزوجين إذ يجب عليهما أن لا يراهما الأبناء، أو يسمعا صوتهما^(٢)، فعن مولانا صادق الحقائق والبيانات ﷺ قال: (لا يجمع الرجل امرأته.... وفي البيت صبي، فإنَّ ذلك مما يورث الزنا)^(٣).

كما وينبغي عدم التعري أمامهم، وقول الكلام الفاحش، والمشاجرة مع أحد، وأن يعلما الوالدين أبناءهم على الاستئذان قبل الدخول الى مخدعهما.

(١) ثواب الأعمال ص ٢٠١.

(٢) أثبت العلم الحديث إنَّ ما يرتسم في ذهن الإنسان - ولو كان صغيراً - من صورة أو صوت فإنه يبقى مركزاً في صقع نفسه، ومن لطيف ما يُنقل أنَّ امرأة فرنسية تفاجأ الأطباء اثناء قيامهم بعملية جراحية لها، وكانت فاقدة بسبب التخدير العام فإذا بأحد الأطباء حينما لامس طرف مبضعه الطبي نقطة في دماغها، إذا بها تنطق بالنشيد الوطني الألماني، وحينما رفع البضع سكنت ثمَّ وضعه مرة أخرى فإذا بها تنطق بذلك النشيد، والغريب أنَّها حينما أفقت بعد العملية تبين أنَّها لا تعرف اللغة الألمانية، ولكن بعد محادثتها في ذلك الأمر ظهر أنَّها حينما كانت صغيرة كانت تسمع الجنود الألمان قرب منزلها ينشدون النشيد الوطني الألماني فارتكز ذلك في قعر ذهنها، وهذا ما أنتج نشيد العملية الجراحية، ولذا يركز الإسلام على ذكر الأذان والاقامة في أدنى الطفل ليرتكز في ذهنه اسم التوحيد والرسالة الحقَّة.

(٣) الحقائق الناظرة ج ٢٣ ص ١٣٥.

المرحلة الثانية (٧ - ١٤): وهي مرحلة التأديب فقد حثَّ الإسلام

على تعليم الأطفال أمور كثيرة والتي منها:

تعليم القرآن الكريم: قال الإمام علي عليه السلام: (من قبل ولده كان له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة، ومن علّمه القرآن دعي الأبوان فكسيا حُلّتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة)^(١).

تعليم العقائد الحقّة: قال مولانا قطب سفينة العارفين عليه السلام: (علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به)^(٢).

كما وحّد ابن عمه المصطفى المؤيد عليه السلام من عدم تعليمهم حينما قال: (ويل لأطفال آخر الزمان من آبائهم، فقيل: يا رسول الله من آبائهم المشركين؟ فقال عليه السلام: لا من آبائهم المؤمنين، لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلموا أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، فأنا منهم بريء وهم مني براء)^(٣).

مما يؤسف له في أوساطنا إذ يهتم الآباء بتعليم أبناءهم علوم الدنيا - مع أهمية ذلك - ويدفعون الأموال الطائلة في سبيل دفع أولادهم لتحصيل تلك العلوم، ولكن لا يهتمون بعلوم الشريعة التي لا بُدَّ أن تكون بالمرتبة الأولى من العلوم.

(١) عدة الداعي ص ٧٩ للشيخ ابن فهد الحلبي رحمته الله.

(٢) ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٦٨٠.

(٣) مستدرك الوسائل ج ١٥ ص ١٦٤.

تعليم الصلاة والصيام: قال سيد الخلق عليه السلام: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)^(١).

ويقول حفيده باقر العلوم عليه السلام: (ونحن نأمر صبياننا بالصوم إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم إن كان إلى نصف النهار أو أكثر من ذلك أو أقل، فإذا غلبهم العطش والغرث - الجوع - أفطروا حتى يتعودوا الصوم ويطيعوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا بني تسع سنين بالصوم ما استطاعوا من اليوم)^(٢).

اختيار المعلم الفاضل والصديق الجيد: لا شك أن التلميذ يقتدي بأستاذه ويتأثر بزميله، فلا بُدَّ من اختيار المدرسة الجيدة والمعلمين المهذبين، ومراقبة الأصدقاء والتعرف عليهم عن قرب، ومن المناسب دعوة أصدقاء ابنك لبيتك وتقوم بإكرامهم، وترشدتهم إلى الطريق الصحيح وتزرع فيهم مكارم الأخلاق.

قال رجل لنبينا الأعظم عليه السلام: يا رسول الله ما حق أبني هذا؟ قال عليه السلام: (تحسن اسمه، وأدبه، وضعه موضعاً حسناً)^(٣).

(١) تذكرة الفقهاء ج ٤ ص ٣٣٥ للعلامة الحلي رحمته الله.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٤٠٩.

(٣) وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٣٩٠.

في النص النبوي تركيز على حسن الاسم فإنَّ له الأثر البالغ على شخصية طفلك وأفضل الأسماء، أسماء الله وصفاته، وأسماء أنبياء الله وأوليائه، فينبغي عدم الخروج عن هذه الدائرة.

وكذلك يركّز النص النبوي على حسن الأدب والاسلوب الناجح، ثمَّ يبيِّن أنَّ نضع الطفل في الموضع الحسن، أي اختيار البيئة المساعدة على تربيته بصورة جيدة.

ومما ورد في هذا الخصوص أنَّه ذات يوم قال إمامنا باب الحوائج موسى بن جعفر عليه السلام لرجل من أصحابه: (مالي رأيتك عند عبدالرحمن بن يعقوب؟ فقال: إنَّه خالي، فقال عليه السلام): إنَّه يقول في الله قولاً عظيماً....! فإمّا جلست معه وتركتنا، وإمّا جلست معنا وتركته، فقال: هو يقول ما يشاء، أي شيء عليَّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أمّا تخاف أن تنزل نقمة فتصيبكم جميعاً؟^(١).

تأثير المعلم والصديق على صديقه ليس تأثيراً فجائياً ملموساً بل هو تأثير تدريجي ولا يُكشف إلا بعد فوات الأوان.

ومن هنا ينبّه الإمام عليه السلام على اختيار الصديق - وحتى أصدقاء وسائل التواصل - والعجيب أنَّ بعضهم يصادق مئات الأصدقاء الحمقى، وينعجب بعشرات الصفحات دون أن يصادق عالماً واحداً، ولذا يقول

(١) شرح أصول الكافي ج ١٠ ص ٤١.

..... بقلم السيد حسن الياسري

أَمِير الْمُؤْمِنِينَ (ع) : (عجبت لمن يرغب في التكثر من الأصحاب، كيف لا يصحب العلماء، الألباء الأتقياء الذين يغنم فضائلهم، وتعديه علومهم، وتزيينه صحبتهم)^(١).

كن له قدوة: لا بُدَّ أن نعلم أنَّ أبناءنا يقلِّدون أفعالنا أكثر من الاستماع الى أقوالنا فلا بُدَّ أن تكون أفعالنا وأقوالنا ذات مدلول صحيح، ولذلك يقول النبي الأعظم (ع): (إذا واعد أحدكم صبيه فلينجز)^(٢).

انتبه في البيت الى حركاتك وملبسك ومشاهدتك، فكل ذلك محل لاقتداء أطفالك.

المرحلة الثالثة (١٤ - ٢١): وهذه المرحلة شديدة الحساسية، فإذا استثمر الأب وكذلك الأم الفرصة وقاموا باصطحاب أولادهم بصورة صحيحة ستأتي النتائج ايجابية.

في هذه المرحلة يحصل للولد التغيرات الجسمية من حيث طول قامته، وخشن صوته، وبروز آثار الغريزة في جسمه، فمن هنا وجب على الأب أن يحذّر ابنه من الوقوع في الحرام والدنو منه، ويبين آثاره الوخيمة في كلا الدارين وإذا أمكن أن يسرع في تزويجه ليبعده عن مواضع الرذيلة.

(١) موسوعة العقائد الإسلامية ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) الطفل بين الوراثة والتربية ج ٢ ص ٢٣ للشيخ محمد تقي فلسفي مدرّس.

أما التغيرات النفسية، فإنَّ المراهق يبدأ يميل الى حب الاستقلال بنفسه، ويرى أنَّه قادر على ذلك دون تدخّل الوالدين، ومن الحكمة أن تتخذ في هذه المرحلة وزيراً، أي استشير في بعض الأمور، وكلفه بإنجاز بعض الأعمال، وخاطبه بلغة التقدير والمداراة حتى لا يتمرّد عليك وبالتالي يخرج من السيطرة والى الأبد.

كان إمام العارفين عليه السلام يسأل ولديه المجتبي وسيد الشهداء عليه السلام بحضور الناس بعض المسائل العلمية، ونتيجة ذلك هو إبداء الاحترام لهما واحياء الشخصية فيهم.

وفي يوم من الأيام سأل المولى عليه السلام الإمامين عليه السلام بعض الأسئلة فأجاب كل منهما أجوبة حكيمة بعبارات قصيرة، ثمّ التفت الإمام عليه السلام الى الحارث الأعور فقال: (يا حارث علموا هذه الحكم أولادكم فإنّها زيادة في العقل والحزم والرأي)^(١).

ولذلك لا بُدَّ أن نصطحب الأبناء معنا الى أماكن الكبار، خصوصاً المساجد والمرقد المقدسة، ومجالس الذكر، والمضاييف ذات الطابع الاجتماعي الهادف ومن المهم أن تحجز لولدك مقعداً في السفر، فبعضهم لا يهتم بذلك، وهذا الأمر يؤدّي الى عدم التقدير لشخصية ولدك.

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٠٢.

كما نلفت النظر الى أمر مهم قلّمنا نلتفت إليه في أوساطنا وهو أنّه إذا قام الناس بوجه ولدك ليسلموا عليه اثناء دخوله عليهم فلا تقل: استريحوا أو تفضلوا لا داعي لذلك، بل لا داعي منك أن تقول ذلك فهذه رسالة سلبية تعطيها لابنك بأنّه غير لائق بالاحترام، ولا يستحق التقدير.

وإذا أردت أن تكون أباً ناجحاً فقم أنت بوجه ولدك احتراماً ليشعر بمدى محبتك له، ليزداد تقديره لك.

وأما في حال تمرده وعصيانته لك، فيرشدنا مولانا باب الحوائج الكاظم (عليه السلام) عندما شكى أحدهم ابناً له، فقال (عليه السلام): (لا تضربه وأهجره ولا تطل)^(١)، إحدى الوسائل التي تجعل ولدك الشاب يهتز من داخله هو الهجران، ولكن ينبه الإمام (عليه السلام) من الإطالة كي لا يؤدي طول المدة الى قسوة قلب الولد.

واستخدم اسلوباً آخر وهو ما أرشدنا إليه المعصوم (عليه السلام) بقوله: (تهادوا تحابوا)^(٢)، قدّم له الهدية وبيّن له مدى حبه عندك، ولكنك متعظ من تصرفه السيء.

وإذا لم ينفع العلاج العاطفي، حاول بالعلاج الكلامي، وإن لم ينفع فاضربه بمقدار الضرورة دون الابراج، وإلا وجبت الدية، يقول الفيلسوف ابن سينا: (يجب على المربيّين ترغيب الطفل على الأفعال

(١) مشاكل الاسرة بين الشرع والعرف ص ١٤٤.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ١٧ ص ٤٢٠.

الحسنة وتجنبه الأفعال القبيحة واتباع الأساليب المختلفة لتحقيق هذين الأمرين، بالترغيب تارة والتهديد تارة أخرى، وبالثناء تارة وبالذم تارة أخرى، وبالتودد تارة وبالإعراض عنه تارة أخرى، وتخويفه من العمل القبيح وتشويقه للأعمال الحسنة، وعليه أن يستخدم ذلك كل في مقامه، فإن لم تكف هذه الممارسات لديه واضطر للقيام بالضرب والعقوبة البدنية فعليه بها^(١).



(١) تدبير المنزل ص ٤٤.



أسُس التربية في الإسلام وعند علماء التربية:

قال الحق جل مجده: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

تدل الآية المباركة على أنَّ ما يحصله الإنسان من علم ونمو فكري بعد أن يولد إنَّمَا هو عن طريق الكسب بسبب ما يلتقطه السمع والبصر والعقل، وهذا ما قررته علماء التربية في هذا المضمار.

والتربية هي القاعدة الأساسية لتطور الإنسان وارتقائه فكرياً فيما استهدفت الازدهار التام لشخصيته، وعنت بغرس المبادئ الخيرة في نفسه، وإذا لم تعن بذلك فإنَّ الإنسان يفقد أصالته وذاتيَّاته، والتربية في المصطلح العلمي - كما أدلى بها جون ديوي -: "إنَّها عملية تكيّف ما بين الفرد والبيئة".

وفي المدلول التربوي: لها معنيان، عام وخاص:

(١) سورة النحل الآية ٧٨.

فالمعنى العام: يشمل ما تحدثه عوامل التربية الثلاث: (الوراثة، والبيئة، والإرادة) من آثار في تنمية القدرة والاستعداد البشري سواء أكانت هذه الآثار ناشئة عن قصد أم عن غير قصد^(١).

والمعنى الخاص: يقصد به انتقال الأسس التربوية من جيل الى جيل.

إنَّ للتربية - بصورة عامة - دور فعال في بناء الشخصية البشرية التي تساهم في بناء الحياة الموجودة على ظهر المعمورة مادياً ومعنوياً، وهي كالمرآة التي تنعكس عليها أهداف وتطلعات المجتمع، ولولا الجهود التي يبذلها المربون لمُسخت الإنسانية ولصار الناس كالأنعام التي لا يهتمها إلا علفها، فهي سد رصين، يقول مولانا صادق الحقائق رحمته الله: (علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب)^(٢)، وذلك لعظيم دورهم في تربية المجتمعات وحفظهم من الضياع والانهيار، وهناك قول لأحد المربين كما ذكر في الوعي التربوي لجورج شهلا: (إنَّ السبب الذي من أجله نحتاج التربية هو أنَّ الأطفال يولدون بشراً، بل يصيرون بشراً بفضل التربية).

ويقول المفكر الإسلامي الشيخ باقر القرشي رحمته الله: "وما يدل على عمق هذا القول وأصالته إنَّ بعض الذئاب كانت تختطف بعض الأطفال

(١) الاساليب التربوية ص ١٧، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ١٥٥.

في المقاطعات الشمالية الغربية من بلاد الهند فكانت تفترس الكثيرين منهم وكانت تشفق على بعضهم، وتتعهدهم ولمّا عرف بعض رجال الخير الأماكن التي تأوي إليها الذئاب ذهبوا الى الغابات التي تأوي إليها الذئاب فوجدوا بعض الأطفال على قيد الحياة فانتشلوهم من براثنها وأسموهم بأولاد الذئاب، ومن الغريب أنّهم كانوا يسلكون مسالك الذئاب ويقلدونها في أصواتها، ويأكلون كما تأكل، ويمزقون ملابسهم التي وضعت عليهم، ويميلون الى العزلة والالتجاء الى الأماكن المظلمة".

ووصف فلاننتين بول أحد هؤلاء الذين عثرّ عليهم بعض الهنود فحملوهم الى ملاجئ الأيتام عام ١٨٦٧م فقال: "لقد كانت تظهر عليه علامات العته التي يشاهدها الإنسان في المعتوهين العاديين كانخفاض الجبهة والقلق والاضطراب، وأكثر ما يُكثّر عن نابه كما يفعل الحيوان المفترس، وكان يعتمد على حاسة الشم أكثر من اعتماده على حاسة الذوق، وكان يمشي على أربع الى آخر صفاته، وبقي على هذا الحال الى أن مات".

إنّ: التربية قاعدة مهمة لتربية الإنسان ونموه، والعقيدة قاعدة أساسية لتطور التربية التي تخلق الإنسان الفاضل الكامل في سلوكه.



معالم التنمية البشرية:

قال الحق جل مجده: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

منذ أن خلق الله الإنسان ميّزه عن باقي المخلوقات وجعله دائماً في تقدم ورقي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) فهو دائماً في طور التقدم وطلب منه أن يتكامل وينمو في كل خصائصه ومجالات حياته، وكثرت هذه الأيام مصطلحات حول التنمية البشرية، والظاهر أن هذا المصطلح صار بارزاً بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن خرجت الشعوب خصوصاً المهزومة منها مصدومة ومدمرة على جميع الأصعدة لاسيما الصعيد البشري والاقتصادي فجاءت التنمية البشرية للنهوض بالإنسان وإخراجه من تلك الويلات وبؤر الجهل والظلم، لكي ترجع له الثقة بالنفس، وتوجهه بأسلوب عصري، ومن المناسب أن نشرع بذكر تعريف التنمية وذكر نموذج من مدرسة الإسلام على مواضيعها فقد عرفت التنمية البشرية: بأنها عبارة عن إجراءات منظمة من رؤى

(١) سورة التين الآية ٤.

(٢) سورة العلق الآية ٥.

فكرية مختارة للنهوض بواقع الإنسان من خلال تطويره والوصول به الى طموحاته المشروعة في كل المجالات^(١)، ومما يستفاد من التعريف بأن التنمية البشرية ليست علم مستقل إنّما مجموعة قواعد مستمدة من علوم أخرى كعلم النفس والاقتصاد والاجتماع ولكي تحقق الهدف المنشود، ولا بُدَّ من النظر الى كل مناحي الحياة فهي شمولية، وكذلك لا بُدَّ من استدامتها بحيث تكون قابلة للاستمرار، والفرق بين التنمية البشرية وتنمية الموارد البشرية هو: أنّ الإنسان هو غاية التنمية البشرية بالذات، أمّا تنمية الموارد ناظرة الى العمل المؤسسي كالشركات التي هي بخدمة الإنسان وإسعاده.

مباحث التنمية البشرية: وأهم مباحثها مبحث **(الأهداف)**: ويتضمن أهمية تحديد الأهداف، وهذا ما نراه في فكر الإسلام فقد قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢) فلا شك أنّ خلق الإنسان جاء لغاية وحكمة، ومنها سعي الإنسان لطلب رزقه كما قال الإمام المرتضى رحمته الله: (الرزق رزقان رزق تطلبه، ورزق يطلبك)^(٣)، وقال حفيده الصادق عليه السلام: (لا تكسلوا في طلب معاشكم، فإنّ آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها)^(٤).

(١) التنمية البشرية ص ٧ للشيخ محمد عاجل، ومنه استفدنا بعض المبحث المطروح.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٥.

(٣) نهج البلاغة الكلمات القصار رقم ٣٧٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ١٥٧.

ومن مباحثها (إدارة الوقت): ويتكفل في طرق استثمار الوقت وتنظيمه وكيفية الاستفادة منه، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه أوصى أبا ذر بقوله: (يا أبا ذر؛ كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك)^(١)، وعن المرتضى رحمه الله: (احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم ففائتها لا يعود)^(٢)، ومن جميل حكمه رحمه الله: (إنَّما الدنيا ثلاثة أيام: يوم مضى بما فيه فليس بعائد، ويوم أنت فيه فحقّ عليك اغتنامه، ويوم لا تدري أنت من أهله، ولعلك راحل فيه، وأمّا اليوم الماضي فحكيم مؤدّب، وأمّا اليوم الذي أنت فيه فصديق مودّع، وأمّا غداً فإنَّما في يديك منه الأمل)^(٣).

ومنها (اتخاذ القرار): وهو يحتوي على مباحث أهمية القرارات في حياة الإنسان وتجنب اتخاذ القرارات غير جيدة، فقد قال سبحانه: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) ويدلنا سيد الموحدين رحمه الله بقوله: (الاهتمام بالأمر يثير لطيف الحيلة)^(٥) عندما يريد الإنسان أن يقوم بعمل ما فهو لا يعرف ماذا يعمل، ومن أين يبدأ، ولكنه حينما يفكر بالمطلوب ويكرّس نفسه له ويضع قدميه على خط البداية يجد ضوءاً يدلّه على الخطوة التالية وهكذا تتوالى الخطوات وتثار في ذهنه لطائف

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٧٦.

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ج ٧ ص ٣٠٨.

(٣) مستدرک سفينة النجاة ج ١٠ ص ٦١٩.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٥) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٨٩.

الحيل والتدابير والبرامج والخطط العلمية حيث يجد نفسه وقد أسس شيئاً لم يكن يتوقعه.

ومنها (التخطيط): وهو التخطيط الشخصي حيث يضع الإنسان خريطة لتحركاته وتنظيم حياته، ولا يتجرد عن إنسانيته فيختار ما هو صائب، وقد نهانا القرآن الكريم والعتره الطاهرة عليه السلام عن عدم التخطيط غير صحيح، فقد قال إمام المتقين عليه السلام في وصية للإمامين الحسن والحسين عليه السلام: (اوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم....)^(١)، وقال الإمام العسكري عليه السلام: (ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله)^(٢)، ينقل أنَّ أحد المؤمنين واجه جلاديه بشجاعة نادرة أذهلت الجميع ولما تعب أحد الجلادين أخذ يستريح، ثمَّ أخرج سكاراً للتدخين فلما رآها طلب منه سكاراً مقابل أن يعترف على كل شيء وهذا ما حصل مع الأسف.

ومنها (الإبداع): ويتكفل هذا المبحث بتكوين إنسان مبدع لا يتصرف بطريقة تقليدية مكررة، وإنَّما بطريقة جديدة متقنة، ونجد هذا المعنى ضمن سيرة الأنبياء عليهم السلام، فنبي الله إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها حيث كانوا يلبسون الجلود وكان كلما خاط سبح الله وهلله وسُمي إدريس لكثرة دروس الكتب وقد سجل القرآن الكريم هذا

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٦.

(٢) تحف العقول ص ٣٦٣.

..... بقلم السيد حسن الياسري

الاهتمام بالقلم والكتابة بقوله سبحانه: ﴿ن وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١)، وهناك الكثير من الآيات التي تبين فضل العلم والعلماء وتذم الجهل وما يقود إليه.

ومنها (النجاح): وفي هذا المبحث يبين صناعة النجاح والطريق إليه ويُعد هذا المبحث من الأهداف الرئيسية للتنمية البشرية، وفي البعد الديني فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(٢) وقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فالنظر الى الأعمال ما كان حسناً ولا يبقى عملاً فارغاً وشيكاً لا قيمة له.

الشخصيات التي أثرت في علم التنمية:

وهؤلاء قاموا بطرح أفكارهم وكتبوا المباحث فيها، وهم شخصيات كثر، ولكن الأبرز منهم نذكرهم فيما يلي:

١- ستيفن أركوفي: ولد عام ١٩٣٢م وتوفي عام ٢٠١٢م في أمريكا بولاية بوتاه وقد استلم جائزة الابوة عام ٢٠٠٣م من منظمة المبادرة الوطنية للأبوة.

٢- توني بوزان: ولد عام ١٩٤٢م في بريطانيا، فقد وضع (خرائط العقول) والتي تعد أداة التفكير متعددة الأساليب لتقوية الذاكرة،

(١) سورة القلم الآية ١.

(٢) سورة الكهف الآية ٣٠.

وقد نشرت أعماله في أكثر من مائة وثلاثين دولة بثلاثين لغة مختلفة، وهو أيضاً مؤسس مسابقات بطولة العالم للذاكرة.

٣- **إبراهيم الفقي:** ولد في عام ١٩٥٠م وتوفي عام ٢٠١٢م واضع نظرية ديناميكية التكيف العصبي ونظرية قوة الطاقة البشريّة، يحكي الدكتور الفقي في محاضراته أنّه سافر الى كندا مع زوجته وهو لا يمتلك شيئاً وعمل في أقل الوظائف كغسل الأطباق في فندق بالرغم من نجاحه في الفندق قبل سفره الى كندا، ثمّ تدرّج في وقت قصير جداً الى أن أصبح مدير أكبر الفنادق في كندا وحصل على الشهادات الدولية.

٤- **طارق السويّدان:** باحث ومفكر ومدرّب محترف في مجالات الإدارة والقيادة حاصل على عدة شهادات ولد في الكويت عام ١٩٥٣م.

٥- **صلاح الراشد:** مدرّب نفسي واجتماعي ومفكر عربي ومؤسس منظمة سلام أنتر ناشونال، ولد في الكويت ١٩٦٩م وترعرع في بريطانيا، ثمّ الولايات المتحدة.





التطوّر في الإسلام:

قال المرتضى رحمته الله: (لا تقسروا أولادكم على غير آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم)^(١).

العالم منذ بدئه دائب التحول والتطوّر، فهذا الإنسان الكائن الضعيف المتكون من خلايا متناهية في الصغر يخرج لهذا العالم بطاقات عقلية جبارة وإمكانات عظيمة مذهلة، والتطوّر عرفاً: هو التحوّل من حال الى حال أفضل، وقد جاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بما هو أفضل ممن سبق فهو أراد أن يثبت أمة ليست على ما هي عليه من الخرافات، ولا ليشيّد عقيدة على خطأ شاع في مجتمعه، إنّما أتى ليبدّل ويؤسس، ليهدّم ويبني، ويحوّل ويطوّر، استطاع أن يربط حلقات الماضي بالحاضر والمستقبل برباط من التطوّر والتقدم، والتطوّر بعرف الرسالة الإلهية والشرعية الإسلامية هو تطوّر علمي أخلاقي اجتماعي اقتصادي، وتطور معنوي ومثالي، ومادي واقعي، ولناخذ أمثلة على ذلك من خلال عبقرى الإسلام وريبب سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله مولانا إمام المتقين رحمته الله حيث طوّر المفهوم العلمي وألزم

(١) موسوعة الإمام علي رحمته الله في الكتاب والسنة ج ١٠ ص ٢٣٦ للشيخ الريشهري.

به وحث عليه كثيراً وجعل مفهوم السيادة بالعلم (تعلموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً)^(١)، وعن السيوطي في تدريب الراوي أنه كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرّها كثير منهم، وأباحها طائفة وفعلوها، ومنهم مولانا علي عليه السلام وابنه الإمام الحسن عليه السلام هكذا يشجع على العلم، ويعمل على نشره^(٢).

وكذلك ما ذهب إليه في علم النفس، فقد أفاق من أرسى معالم هذا العلم وهو فرويد أحد علماء النفس حيث يقول: إنّ كل فرد منا يتألف من ثلاث ذوات:

- ١- الذات الحيوانية التي بها نجوع ونشتهي ونغضب.
- ٢- الذات الاجتماعية التي نراعي فيها العادات الاجتماعية.
- ٣- الذات العليا التي يحتويها ضميرنا والتي نرتفع بها أحياناً عن المألوف.

وفي سؤال كميل لأمير المؤمنين عليه السلام عن النفس، قال: أي نفس؟
أجاب كميل: هل هي غير واحدة؟ قال الإمام عليه السلام: بل أربع أنفس:

- ١- النامية النباتية: الماسكة والجاذبة والدافعة والمربية (الزيادة والنقصان).

(١) روايات من أهل البيت ج ١ ص ٣٤٩ لمؤلفه مرتضى فريد.

(٢) ملامح من عبقرية الإمام ص ١٥٩.

٢- الحيوانية: السمع والبصر والشم والذوق واللمس وخاصاتها
(الرضا والغضب).

٣- الناطقة القدسية: الفكر والذكر والعلم والعمل والنباهة وخاصتها
(النزاهة والحكمة).

٤- الكلية الإلهية: فالبقاء في الفناء، والعز في الذل، والفقر في الغنى،
والصبر في البلاء، والنعيم في الشقاء وخاصتها (الحلم والكرم)
ومنشؤها ومبدؤها الله^(١) ﴿فَتَفَحَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾^(٢).

كما وطور الإمام عليه السلام اللغة العربية فأفاض عليها من الفصاحة
والبلاغة، ووضع الأسس الأولى لضبط اللغة حيث ينقل الحموي عن
الزجاج بسند عن أبي الأسود الدؤلي يقول: (دخلت على أمير
المؤمنين عليه السلام فرأيتُهُ مفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال:
سمعت ببلدكم لحناً فأردت أن أضع كتاباً في اصول العربية، فقلت: إن
فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحبيتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيت بعد أيام
فألقي إليّ بصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل
وحرف، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى
ليس باسم ولا فعل، ثم قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، وأعلم يا أبا
الأسود إن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر
- المبهم -، قال أبو الأسود: فجمعت أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك

(١) موسوعة الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسنة ج ١٠ ص ١٩٩، الرواية بالمضمون.

(٢) سورة التحرير الآية ١٢.

حروف النصب منها (إن، وأن، وليت، ولعل، ولم) ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدها فيها)، ومما يُذكر أنه قال لأبي الأسود: انْحُ هذا النحو فسمي بعلم النحو.

وطور ﷺ المفهوم الاجتماعي الاقتصادي وتبناه متكافئاً متكاملأً وله هذه الكلمة النابعة من حقيقة الواقع: (فما جاع فقير إلا بما امتنع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك)^(١)، وبهذا سعى لصهر الطبقيّة في بوتقة الإسلام، فكان الشجاع الصارم على الاستغلال، ومما يتسم به الإمام ﷺ أنه يؤمن بأنّ الحياة متغيرة، وكذلك الأطبّاع، فعلى المرء أن يسلك سلوكاً يواكب الزمن الذي يعيش فيه، وفي ذلك ما ذكرناه من كلامه الذي افتتحنا به البحث، وهذا ما نراه ونلمسه في محيطنا حيث الزمن مضى بآبائنا وبعاداتهم وتقاليدهم، وها نحن نعيش في محيط له عاداته وتقاليده، وسيعيش أبنائنا على غير عاداتنا، فإذا لم يكن للطفل الاستعداد على تقبّل التطوّر حطّمته التقاليد الوافدة، وتأخر به الوضع الذي سجل فيه بانصرام عمره إذا لم يفهمه ولم يتخذ له عدته، ولكن الإمام ﷺ يأمر بإعداد الأبناء لزمانهم حتى يكون التكافؤ، إذ البيئّة بالإنسان، والإنسان بتطوره، ومن يتخلف يسبقه الركب الإنساني.

يحكى أنّ ملكاً ووزيره خرجا ذات يوم في مهمة عسكرية فاجتازوا بصبيّة في طريقهم الى الدرس فأحب الملك أن يسمع منهم شيئاً يسره

(١) نهج البلاغة ح ٣٢٨.

فاستوقف أحد الصبيان وقال له: ما اسمك؟ قال: فتّاح، قال الملك: الى أين تذهب؟ قال: الى المعلم، قال: وأين تقرأ؟ قال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١)، فاستبشر الملك بذلك وتوقع النجاح في مهمته وفعلاً حصل ذلك حيث عاد منتصراً سالماً، فقال لوزيره: مرّ بنا على المعلم لنكرّم ذلك الطفل فمرا على المعلم ودخل الملك حتى إذا استقر به الجلوس قال للمعلم: ادعو لنا ذلك الصبي فناده المعلم قم يا عباس وقم بين يدي الملك فجاءه حتى وقف بين يديه فقال له ما اسمك؟ قال: عباس، قال: أين تقرأ؟ قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(٢) قال الملك: سألتك أنفاً فقلت: فتاح أقرأ في سورة الفتح، قال: أيها الملك عندما استوقفتني وسألتني تنبّهت الى ما تريد لأنّ مثلك لا يكلم مثلي إلّا لأمر معقول فأجبتك بما يسرك، قال له الملك: أحسنت، ثمّ أمر أن يعطوه ديناراً فامتنع الصبي عن أخذه، فقال له الملك: تمتنع عن أخذ هدية الملك؟ قال: إن أخذت الدينار سألني أبي عن مصدره، فإن قلت له: إنّهُ منك لم يصدقني لأنّ الملوك لا يعطون القليل فأمر بإعطائه مائة دينار^(٣)، وما أروع شعر إمام البيان ﷺ:

حرّض بنيك على الآداب في الصغر
كيما تقر بهم عيناك في الكبر

(١) سورة الفتح الآية ١.

(٢) سورة عبس الآية ١.

(٣) المجالس الحسنة للسيد أحمد الحكيم.

وإنَّمَا مَثَلُ الآدَابِ تَجْمَعُهَا
فِي عَنفَوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكَنُوزُ الَّتِي تَنَمُو ذَخَائِرُهَا
وَلَا يَخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْغَيْرِ^(١)



(١) ديوان الإمام علي عليه السلام ص ٦٨.



تطابق بعض المعارف الدينية مع العلم الحديث:

ورد عن عبدالله بن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: (سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنوب إذا أراد العبد أن يفعلَه أو الحسنه؟ فقال: ريح الكنيف والطيب سواء؟ قلت: لا، قال: إنَّ العبد إذا همَّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنَّه قد همَّ بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له، وإذا همَّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قم فإنَّه قد همَّ بالسيئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه^(١).

هناك من تأثر بالبحوث التجريبية، واستنكر الكثير من المعارف الدينية التي لم يكتشفها العلم الحديث، ولذا يكثر من الطعن على تلك المعارف ويصفها بالخرافات، ومن الامور التي تثير استغراب أمثال هؤلاء هي نجاسة الكفار، ومع ذلك فقد أفادت بعض الأبحاث العلمية كالعلوم الروحية المعاصرة، والاكتشافات الفيزيائية إنَّ العصاة تشع منهم

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٢.

طاقة نتنة خبيثة، كما ذكرت الرواية المفتوح بها البحث، فأمثال هذه الأبحاث تتطابق مع عقائدنا أو قل هي احدى أشعتها.

وقد أثبت ابن سينا في رسالة له بأنَّ الروح تُؤثر في نجاسة البدن وقد بحثها بحثاً تجريداً عقلياً، وفلسفياً بحث.

وفي العلم الحديث اكتشف أحد العلماء اليابانيين أنَّ أفعال المعاصي لا تؤثر على البدن فحسب، بل تلوث البيئة فتلوث الماء الذي يشربه العاصي، والأكل الذي يأكله، والمكان الذي تتواجد فيه المعصية، والبيئة برمتها ستنلوث والتسمية العلميّة التجريبيّة هي تلوث وتكدر، والتسمية الشرعية - على فرض التطابق - هو تتجيس البيئة.

فالأفعال السيئة تنافي الأفعال الفطرية، والكلام السيء يلوث الطعام والماء^(١).

حاولت أن اقارن بين الروايات وبعض أطروحات المفكرين الغربيين فوجدت التطابق في الفكرة، ولكن الاختلاف في الاسم والطريقة وإن كان كلام المعصوم لا يدركه إلا أهله.

(١) قواعد في العصمة ج ٦ ص ٦٩ وقد استفدنا البحث المطروح من شيخنا الاستاذ السند العظمي.



الفقر والإبداع:

قال الحق جل مجده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

الفقر: هو فقد كل ما يحتاج إليه الإنسان ولم يختص بالمال، ولذلك نرى المولى عز وجل يبين في الآية بأن كل الخلق محتاج إليه وهو الغني المطلق.

وقد امتدح الفقر بالدنيا لما له من آثار أخروية ، فقد ورد عن المصطفى ﷺ قوله: (إِنَّ لِي حَرْفَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ فَمَنْ أَحْبَبَهُمَا فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي الْفَقْرَ وَالْجِهَادَ)^(٢).

ويقول ﷺ: (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُعْتَذِرُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ كَمَا يَعْتَذِرُ الْأَخُ إِلَى أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا زَوَيْتَ الدُّنْيَا عَنْكَ لَهَوَانِكَ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لَمَّا أَعَدَدْتَ لَكَ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْفَضِيلَةِ)^(٣).

(١) سورة فاطر الآية ١٥.

(٢) جامع السعادات ج ٨١ ص ٨١.

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٨٢.

وَتُعطينا هذه الرواية وأمثالها إشارة الى مدح الفقر وفضله، وفي القبال نرى أنَّ هناك روايات تذم الفقر كقول مولانا المرتضى رحمته الله: (الفقر يُخرس الفطن عن حجته، والمُقل غريب في بلدته)^(١)، فكيف نجتمع بين هذه النصوص؟

لا شك أنَّ الفقر فقران: فقر معلول لتقصير العبد في حركته الحياتية. والفقر الآخر هو المكتوب، أي إنَّ الله سبحانه هو أرادُه للعبد لحكمته بمصير العبد لو كان غنياً، ولذلك قال سبحانه: ﴿كَأَلَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ سورة الفجر ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾^(٢).

والأحاديث التي مدحت الفقر قصدت به المكتوب، وأعطت زخماً من الإرشادات في كيفية الصبر عليه.

وأما الذي نمته فهو الفقر الذي جاء نتيجة التقصير، والذي سترك الآثار السلبية.

وبودي الوقوف عند الحديث الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام القائل فيه: (الفقر يخرس الفطن عن حجته).

الفطنة: قوة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه، والحجة: الدليل، والمراد بيّان مساوئ الفقر حتى يعجز الذكي المحق.

(١) نهج البلاغة ص ٥١٩.

(٢) سورة العلق الآية ٦ - ٧.

ويقول ﷺ: (والمقل غريب في بلدته)، وهو الفقير الذي يكابد في وطنه ما يكابده الغريب من الوحشة وقلة الناصر وغير ذلك.

وبما أن الله تعالى قد جعل جريان الامور بأسبابها الطبيعية، فإنّ هناك وسائل لا بُدّ من توفرها لكي يكون المرء مبدعاً، ولا أرى محلاً الى انتقاد بعض الفقراء الذين لم يستطيعوا مواصلة طريق الدراسة أو تقديم اختراع ما، مع اعترافنا بأنّ هناك من استطاع من الفقراء الوصول الى أعلى الدرجات في عالم التطور والتكنولوجيا.

ولكن تبقى ضرورة توفير الوسائل المشجعة هي العامل الرئيسي للإبداع، وخير مثال على ذلك مارك زوكير بيرج المؤسس والمدير التنفيذي لموقع التواصل الاجتماعي - فيس بوك - .

فقد كان والده طبيب أسنان، ووالدته كارين كانت طبيبة نفسية، وقد عيّن له والده استاذاً يقوم برعايته، وتطوّر موهبته، وواصل دراسته حتى دخل جامعة هارفارد وتخصص في علم الحاسوب وعلم النفس، وجعله يسافر الى أي بلد يريد حتى أنّه يتحدث بأكثر من لغة.

والمطلع على حياته يرى أنّه لم يصل الى ما وصل إليه إلا بتوفر الوسائل، وحتى اختراعه لموقع التواصل كان بمساعدة ثلاثة من أصدقائه في الدراسة.



حامل الإنسانية:

قال النبي الأكرم ﷺ: (خير الناس من انتفع به الناس)^(١).

ربما تختلف أماكن سكننا وتتفاوت ألسنتنا - لغاتنا ولهجاتنا - وتتباين علومنا وثقافتنا وحضاراتنا ودياناتنا وطرائقنا ومدارسنا وكل ذلك رحمة واسعة، المهم اختلافنا يجب أن لا يؤدي إلى خلافنا، وإلا فإنه يؤدي إلى تخلفنا، والأفضل فينا هو الأقدر على بلورة إنسانيته وصقلها وإبراز جوهرها، فهو يسمو دائماً من إنسانه - معدنه الخام - إلى إنسانيته - الكمال المتنامي - ومن هنا استطاع أن يتعاطى مع خالقه، ومع الطبيعة التي هو فيها، ومع الإنسان الآخر أباً أو أخاً أو أمّاً أو زوجاً أو جاراً أو زميلاً أو مديراً أو كاسباً، مما يجعل حياتهم أسعد وأرحب ويقلل ويقلص من درجات التوتر والإغظة وتعكير الأجواء، ولذا يقول (فولتير) أحد خطباء الثورة الفرنسية: "بحسن التقدير نجعل الآخرين من ممتلكاتنا الخاصة"^(٢)، من هنا كانت الدعوة إلى التعارف والتكاتف والتحالف

(١) ميزان الحكمة ج ١ ص ٨٤٥.

(٢) حياتنا كيف نفهمها؟ ص ٦٠، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

﴿وَجَعَلْنَكُمْ سُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِّتَعَارَفُوا﴾^(١)، دعوة لتبادل منافع ومصالح وعلوم وعلاقات مشتركة ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٢)، أحد خبراء التنمية البشرية ينقل بأنّ فلاحاً ظل يزرع نوعاً من الذرة ذات الجودة العالية وكان يحصد بجانب الذرة جائزة أكثر وأجود إنتاج كل عام، وعاماً تلو الآخر ينتج غزيراً ويفوز بالجائزة، وذهب إليه أحدهم وسأله عن سر التفوق فأجاب: اسافر بعيداً وأستجلب البذور الجيدة واوزعها على جيراني ليزرعونها في حقولهم وبعد ذلك أزرع حقلي - بذات البذور - وأهتم بالري والنظافة وبهذا أنال جائزتي الإنتاج والجودة، فيسأل السائل بدهشة: لماذا توزع بذورك الجيدة لجيرانك وأنت تعلم أنّهم ينافسوك في نيل تلك الجائزة؟! فيردّ الفلاح: أفعل ذلك لكي أضمن عدم انتقال لقاحات البذور الرديئة من حقولهم الى حقلي بواسطة الرياح، هكذا لخصّ الفلاح سر النجاح، أي لكي ينجح المرء في الحياة الفعلية عليه أن يساعد الآخرين على النجاح، والفرد مهما تعلّم، لا يكون ناجحاً ما لم يؤثر ايجاباً على الآخرين بحيث يتفوقون أيضاً ومن يفكر بالنجاح بأنانية دون مساعدة الآخرين كمن يحلم بأن يكون سعيداً في عالم البؤساء فنجاح من حولك فرداً أو مجتمعاً بفضل نجاحك.

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.



الحضارة بين الإسلام والغرب:

قال الحق جل مجده: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مَّيِّ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

لقد أكرم المولى سبحانه الإنسان بأنواع الكرم وجعله سيداً على المخلوقات، وبشّر القرآن الكريم بأنّ العالمية له كونه مخلوقاً حضارياً، لاسيما من تمسك بمبادئ الإسلام المحمدي الأصيل، لأنّ مبادئ الإسلام تجمع بين الماديّة والمعنويّة، فالحضارة التي تتوقف على النمو الروحي ستهدد البشريّة وأمّا الحضارة الإسلاميّة فهي قائمة على حالة التوازن بين العقل والروح ولذلك يقول فرانسيكوغا بريلي: "إذا كان الإسلام قد ولد في منطقة من أكثر مناطق العالم القديم بدائيّةً وتخلّفاً فإنّه سرعان ما تجاوز حدوده الى عقيدة كونيّة وقوة عالميّة، وهذه العالميّة شعت من

(١) سورة البقرة الآية ٣٨.

العقيدة الجديدة، ومن الدولة التي أقامتها هذه العقيدة والتي نمت في كل اتجاه وأنتجت حضارة موحدة الى حد يدعو الى الدهشة^(١).

وفي هذا المبحث نتناول مجموعة من الصور المتقابلة بين حضارة الغرب الماديّة وبين حضارة الإسلام الوحيانيّة^(٢).

الحضارتين والعلم:

لقد اهتم الماديون بهذا الجانب، ولكن الذي نراه إنّ العلم تحوّل من خادم الى مخدوم فالصعود الى القمر تطوّر عظيم لكن من خلال هذا الصعود، لماذا لا تنتظر الى أهل الأرض ومعاناتهم ورصد ما يداهمهم من مخاطر؟

لقد صنعوا أقوى الأسلحة لا لكي تحمي الإنسان بل لتقتلهم، وقنبلة النترون خير دليل على ذلك في عصر العلم، تحوّل العالم الى غابة الحيوان فقد استبدلوا الأنياب بالقنابل والمخالب بالصواريخ.

لقد طوّروا وسائل الترفيه لا لكي يفرح ويضحك الإنسان بل ليضحكوا عليه ويقتلوه، مما نُقل في تاريخ اليابان فيما سبق بأنّهم إذا أرادوا قتل أولاد الامراء والأشراف ممن حكم عليهم بالموت، كانوا يجلسونهم على كراسي مرتفعة ويشدونهم بها ثمّ يبدؤون بفرك أسفل

(١) الإنسان والحضارة ص ١٨٠.

(٢) هناك كتاب مستقل تحت هذا العنوان لسماحة السيد هادي المدرسي (دام عزه) وفيه رصد وافي لهذا المبحث، وقد اعتمدنا عليه في نقل بعض الأمور المطروحة.

أقدامهم بواسطة ريشات ناعمة جداً فكان المحكوم عليه بالموت يضحك ويضحك حتى يموت وتسمى هذه الطريقة بالطريقة اللذيذة، هكذا يجري في قتل الإنسان اليوم حيث تُسَوَّق له الأفلام ووسائل اللهو المختلفة والنوادي الجامعة للعرافة والمخدرات، وبكل ما هو لذيق في نظرهم.

في عصر العلم تُقدَّس البقرة ويترك الإله الحق، ويموت البعض جوعاً لكي تطعم البقرة المقدسة.

وفي حضارة الإسلام عندما ألهم الله الإنسان العلم كما في قوله سبحانه: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) لكي يتدرج به الى الكمال ويكشف به الواقع ويدرك الحقيقة وينظم به حياته، وقد اعترف بهذه الحقيقة الفلكي الأمريكي جون أراسل بقوله: "أقرُّ تماماً بأنَّ الدين يذهب أبعد من العلم إذ يصارع الأسئلة الأزليَّة التي لا يمكن للعلم الإجابة عنها"^(٢).

ويقول الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي - الذي اعتنق الإسلام في القرن العشرين والذي كان ماركسياً ثمَّ مسيحياً حتى رأى أنَّ الإسلام هو الحق الذي لا بُدَّ أن يُتَّبَعَ - في هذا الصدد: "إنَّ الشريعة أمر مسلَّم به بما هو موجود في القرآن، وإنَّ الله هو المالك والأمر والعالم، الصفة الأولى - المالك - تُناقض أي شكل من أشكال الرأسمالية، والصفة الثانية

(١) سورة العلق الآية ٥.

(٢) الإيمان بالخالق العظيم ص ٢٦.

- الأمر - تُناقض كل الملكيات والأحزاب المنفردة بالحكم، الصفة الثالثة
- العالم - تُناقض كل ادعاء بالكمال^(١).

الحضارتين والقومية:

عند الرجوع الى اهرامات مصر حيث تلك البناءات الشاهقة حيث بنيت قبل خمسة آلاف عام حيث حمل العبيد المظلومين ثمانمائة مليون صخرة كبيرة تزن الواحدة منها طنين، وجاءوا بها من أماكن بعيدة وكانت تزهق أرواحهم تحتها لذلك يؤتى بعبيد آخرين، المهم هو أن تُبنى الأهرامات لتكون أضرحة الأجساد الفرعونية، وحضارة لمن بعدهم.

ولأحد المتخصصين في علم الاجتماع كلام قاله عندما زار اهرامات مصر وجلس على قبور أولئك الذين دفنوا تحت الصخور من العبيد قال: "لقد رأيت بأم عيني إنَّ الحضارة والتمدن لا يعنيان سوى الحقد والقمع والتتكيل وأسر البؤساء، ورأيت هؤلاء المدفونين من تلك الحفر وهم يخاطبونني أنا خريج جامعات العلوم الإنسانية ليعطوني درساً من أول صفحات كتاب العلوم الإنسانية كان أول درس في التاريخ، وقد علموني فيه ماذا تعني الحضارة، إنَّ كل ما تعلمته باسم الحضارة والتمدن

(١) الإسلام في الغرب ج ١ ص ١٠٤، للدكتور صلاح عبدالرزاق.

والأخلاق إنَّما هو كذب محض، وإنَّ ما يُدرَّس في الكتب والحصص ليس سوى الفرعونيّات والقارونيّات والبلعميّات^(١).

وهكذا هو سور الصين وباقي القلاع والأبراج، والمتاحف فقد بنيت على أكتاف الفقراء، والى يومنا هذا نعيش المأساة نفسها.

ففي عام ١٩٤٧م سجن فرانكو رئيس اسبانيا آلاف المواطنين وأعتمد عليهم في بناء نصبه التذكاري المسمى بوادي المهزومين، والذي بقي العمل فيه مدة ٢٠ عاماً.

وفي أمريكا قررت عدة قرارات في تمييز البيض من السود ففي الفقرة ٢٠٧ من دستور ولاية ميسيسيبي في الجانب التربوي ينص على ما يلي: "يراعى في هذا الحقل أن يفصل أطفال البيض عن أطفال الزوج، فتكون لكل فريق مدارس خاصة".

وفي الجوانب الحياتية يمنع في أكثر الولايات زواج امرأة بيضاء من زنجي.

وفي الجوانب العملية تقتضي القوانين بأن لا يسمح للعمال الزوج الدخول من أبواب البيض، وأن يقيموا معهم في مكان واحد، وغير ذلك الكثير، وما زالوا يعيشوا حالة الفقر والحرمان وكلما جاءت الانتخابات كان الرؤساء يعدونهم بالإنصاف فور وصولهم الى البيت الأسود.

(١) دين ضد دين ص ٩٦ للدكتور علي شريعتي.

وهكذا الحال في بريطانيا يقول كليفتون روبنسون: "إذا لم تستطع بريطانيا أن تجد مخرجاً لمشكلة الشباب السود فقل على المستقبل السلام"^(١).

في حضارتنا صرّح الإسلام بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٢).

وحاول الإسلام أن يجعل المساوات في سلوك المسلم حتى في عبادته ولذلك فضّل صلاة الجماعة لكي لا يتميز شخص على شخص آخر، وهكذا الحال في مناسك الحج، وهكذا الحال في الصوم وفرض الحقوق الشرعية.

وهكذا فعل نبينا الأعظم ﷺ عندما جعل مؤذنه بلال الحبشي وقال بحق سلمان الفارسي: (سلمانُ منا أهل البيت)^(٣) ومن هذه الصور كانت في مدرسة عاشوراء، وستكون في قيادة ولي الله الأعظم عليه السلام.

في حضارتنا الإسلامية يبني المسلمون مساجدهم لله تعالى، ولكي يلتقوا بها ويؤدّون عباداتهم بصورة جماعية، وهناك كلمة للدكتور مراد ويلفريد هوفمان - من أشهر المفكرين الاوربيين الذين اعتنقوا الإسلام

(١) صور متقابلة عن حضارتين متقابلتين ص ٣٩.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٣١.

بعد أن كان من أسرة كاثوليكية في مدينة أشفنبيرغ في ألمانيا - يقول:
"عندما التقيت بالفن الإسلامي في تونس أو في اسبانيا شعرت بحرارة
في أعماقي، لقد كنت متحمساً لها، لرؤيتها، شعرت بتدفق احساسات
دافئة لم أشعر بها من قبل أمام تمثال من حجر أو عمود من المرمر، لقد
انجذبت للفن والعمارة الإسلامي بشكل عميق، في تلك الفترة باشرت
بقراءة القرآن عبر احدى الترجمات....، من الواضح إنَّ كل حضارة
تترجم قيمتها في معمارها....، يضاف الى ذلك حجم الجهد والوقت
والمال الذي انفق في المساجد، فقد ساهم الناس بأموالهم لأسباب عقائدية
وليس لأغراض تجارية"^(١).

الحضارتين والتعارف:

في لندن كان هناك شاب في ربيع الحادي عشر يغسل سيارة أحد
الموظفين فمرَّ عليه صديق له وسأله: منذ متى يغسل لك هذا الفتى
سيارتك؟ قال: منذ تسعة أشهر، ثمَّ سأله: كم مرة يغسل السيارة في
الاسبوع؟ فأجاب: خمس مرات، فسأله: ما اسمه؟ قال: لا أعرف، فسأله:
ألم تسأل عن اسمه؟ قال: لا، فأنا أعطيه الأجرة وهو يقوم بغسل سيارتي
ولا أرى ضرورة لأن أشغل فراغاً في ذاكرتي لحفظ اسمه، فالرجل لا
يهمه أن يعرف الشاب لأنه يتعامل على أساس تجاري وهذا نموذج من
ذلك العالم المادي.

(١) الإسلام في الغرب ج ١ ص ١١٠.

بينما نرى في حضارة الإسلام إنَّ الحاكم العظيم الذي يرأس خمسين دولة في زمانه يمشي في الطريق فيرى رجلاً فيسأله عن وجهته فيقول إنَّه يقصد البصرة وفي المقابل يسأل الرجل عن وجهة الحاكم - وهو لا يعرفه - فيجيب إنَّه قاصد الكوفة، وبعد ذلك سأله الحاكم عن اسمه وعشيرته وعمله، وكان الطريق مشتركاً وحينما وصلا الى المفترق انحرف الرجل اليهودي نحو طريق البصرة ففوجئ بالحاكم ينحرف معه في الطريق فقال له: ألم تقل إنَّك تقصد الكوفة؟ قال: بلى؛ قال: لكن هذا طريق البصرة! فأجاب: نعم؛ ولكن علَّمتنا نبينا أن نُشيع أصحابنا أربعين خطوة، فقال الرجل: وهل أصبحتُ صاحبك؟ قال: نعم؛ أنت صاحبي في هذا الطريق، هنا سأله الرجل اليهودي قائلاً: من أنت؟ فأجاب بأنَّه الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الرجل: أشهد أن لا إله الله وأنَّ محمداً رسول الله.

هذه أخلاق ديننا فقد جعل الإسلام للصاحب والصديق والجار حقوق لا بُدَّ من رعايتها.

الحضارتين والمخدرات:

لقد اهتم المجتمع الغربي بإشباع الجسد دون إشباع الروح، ولذلك أخذ يعيش حالة الفراغ ويبحث عن السعادة بأي ثمن.

وجعلوا من المخدرات بجميع أنواعها محلاً لملء الفراغ ولذلك يقول طبيب فرنسي: "لا يعرف السعادة مجتمعنا، المخدرات هي وسيلة للحصول على السعادة الضائعة"، ولكنهم توهّموا كثيراً كون هذه الوسائل لها آثار صحية ونفسية خطيرة كما كشفوها بأنفسهم، ومن الأمثلة التي جعلتهم يخسرون أنفسهم ومستقبلهم ما نُقِلَ أنَّ في باريس أَلقت طالبة في كلية الطب بنفسها من نافذة شقتها بعدما فشلت في الحصول على جرعته المعتادة من الهيروين.

وفي حضارتنا الإسلامية فقد حرّم الله سبحانه الخمر بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^(١).

وقال الحبيب المصطفى ﷺ: (الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر)^(٢).

الحضارتين والانتكاس النوعي:

عندما تتابع أخبار البلاد الغربية تصاب بالذهول وذلك لكثرة الفضائح الجنسية والانفتاح المقيت، مما أدى الى تلك المجتمعات بالتفكك الأسري والانهيال الاجتماعي، والانحطاط الأخلاقي، ومن تلك الصور كمثال على ما أوردناه تقول جريدة نيويورك عام ٢٠٠٨م: "إنَّ هناك امرأة اسمها ريببكا ديكنسون وهي ضابطة في البحرية الأمريكية وقامت بتدريس مادة القيادة في الأكاديمية البحرية في ولاية ميريلاند وبسبب

(١) سورة المائدة الآية ٩١.

(٢) ميزان الحكمة ج ١ ص ٨١٢.

حبها للمال - مع أنَّها متزوجة ولها راتب يزيد عن ٧٧ ألف دولار - فقد انضمت الى شبكة الدعارة التي تديرها مدام، وأخذت تتقاضى أجراً عن كل ممارسة جنسية"، فمن ضابطة في الرتب العليا الى عاهرة مرتزقة.

وأما في حضارتنا فقد حرّم الله الزنا والفواحش لكي تحفظ الأسرة ترابطها وكرامتها، فأوصت الشريعة الرجل بأن يغيض بصره، وأوصت المرأة أن تلتزم بحجابها، فهذه الأمور مقدمة الى الحرام.





فطرية الدين وفرضية مفكري الغرب:

قال الحق جل مجده: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).

إنَّ الدين الحق هو حاجة نفسية وشعورية للبشر، وقد أودعه الحق سبحانه في قرارة الإنسان وأعماقه، ولذلك عندما يبين مولانا المرتضى رحمته حكمة بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام يذكر بأنهم قد بُعثوا لأجل أن يُذكروا الناس بذلك العهد الذي عقده فطرتهم لأجل مطالبتهم بالوفاء بذلك، هذا العهد بفطرية الدين لم يُكتب على ورق ولم ينطق به لسان، وإنَّما كُتب على صفحة القلب وفي ضمير الإنسان.

ومن المؤسف جداً أن تُطرح فرضيات حول نشأة الدين وهي مخالفة للواقع والحقيقة، وبالتالي أدَّت هذه الفرضيات الى الابتعاد عن الدين مع أسباب اخرى، ونوجز الكلام في ذلك فيما يلي:

(١) سورة الروم الآية ٣٠.

أولاً: فرضيات نشأة الدين:

هناك الكثير من الفرضيات التي طرحها بعض مفكري الغرب نذكر بعضها اجمالاً:

الفرضية الماركسيّة: قسّمت الماركسيّة المجتمع الى طبقتين، فالطبقة الحاكمة هي من أوجدت فكرة الدين للحفاظ على امتيازاتها، والطبقة الاخرى هي الفئة المحكومة، فمن خلال الدين يُلتجم غضبها لكي لا تتور بوجه الحكام فالدين أفيون لهم.

واعتقدوا إنّ من خلال الإيمان بالمبدأ الاشتراكي حينها ستزول الطبقيّة ولذلك لتساوي الجميع حينها سيزول الدين لوحده، ولكن هذه النظرية لم تثبت أمام النقد العلمي، فقد أثبت التاريخ بأنّ الدين قد ولد ونشأ بين الطبقات المستضعفة والمحكومة واعترف الفيلسوف الماركسي المعاصر غارودي بقوله: "إنّ القول المشهور (الدين افيون الشعوب) قول لا تؤيده التجربة التاريخيّة التي لا سبيل لجمودها، والتي ما تزال حتى اليوم وسعة الانتشار، فإنّ النظرة الماركسيّة الى الدين لا يمكن تلخيصها بهذا القول وحده، فالقول بأنّ الدين في كل زمان ومكان يصرف الإنسان عن العمل والكفاح يتناقض تناقضاً صارماً مع الواقع التاريخي"^(١).

(١) ماركسيّة القرن العشرين ص ١٤٦ عن نقد النظرية الماركسيّة ص ٥٥.

وقادة الرسالات أمثال: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ لم يكونوا من الطبقة الحاكمة، إنّما واجهوا الطبقة الحاكمة بكل قوة أمثال: النمرود، وفرعون، وسادة قريش، وغيرهم، والمطلع على تاريخ الإسلام - مثلاً - يعرف مدى صحة ذلك فالمصطفى وأصحابه أمثال: عمار، وأبي ذر، وغيرهم لم يكونوا من المتصدين والأثرياء.

فرضية ألكسيس كارليل: يطرح هذا الرجل بأنّ الدين هو وليد الخوف، فالإنسان عندما يخاف من الجزع، والحيوانات الكاسرة، والمرض، والموت، كل ذلك يخلق له في ذهنيته المحدودة وغير المتطورة بعض الموجودات، وبعض ذلك يصنعها بيديه وفكره، وبعد أن يخلقها بنفسه يفكر في كيفية التخلص من غضبها وسخطها وكيف يجلب رضاها وهذا الدين لا بُدَّ أن نسمّيه بدين الخوف، والإله الذي يدعو لهذا الدين لعبادته ليس إلهاً حقيقياً، إنّ هذا الدين يؤدي الى عبادة الوثن.

والحقيقة إنّ هذه الاطروحة مغالطة واضحة، فالأوثان والأصنام كان أول من حاربها الدين الحقيقي، أمّا أن يُطلق على الدين كله بأنه نشأ بهذه الكيفية وينكر واجب الوجود فهذا ليس من الصحيح جداً.

فرضية رأي يونج: يعتقد العالم النفساني يونج بأنّ الدين من الامور المتواجدة في اللا شعور بصورة فطرية وطبيعية، فهو يؤيد العقيدة الحقّة في الدين حالة فطرية مغروسة في الإنسان.

فرضية وليم جيمس: وهذا الرجل فيلسوف أمريكي يقول بأنَّ الغرائز المادية التي تربطنا بهذا العالم المادي، وكذلك الغرائز المعنويّة تربطنا بذلك العالم الآخر.

أي في الإنسان رغبات باطنيّة طبيعيّة ولكن المنشأ للكثير منها عالم آخر وراء هذا العالم المادي، ويعطي الدليل على ذلك بقوله: عدم توافق الكثير من أعمال البشر مع الحسابات الماديّة فإنّنا نلاحظ في كل حالة وعمل ديني دائماً طابعاً من الوفاء والاخلاص واللفظ والمحبة والايثار فالحالات النفسيّة الدينيّة بعض الشخصيات والخصائص التي لا تتلائم مع الحالات النفسيّة البشريّة كلها.

فرضية فرويد: يرى بأنّ الدافع الى وجود الدين هو الحرمان الجنسي فهو يعتقد بأنّ الجذور الاولى لظهور الأخلاق والعلم وكل شيء هي جذور جنسية، ويعتقد بأنّه حين ترتفع الحواجز والسدود عن طريق الغريزة الجنسية وتمنح لها الحرية ولا تبقى مكبوتة فسوف يزول الدين لوحده.

وقد قما بالردّ على ما يعتقد به في عنوان (نظريات الحكماء والمفكرين في العشق ص ٩٩ من هذا الكتاب)

والحصيلة: إنّ ما طرح بين تفسير خاطئ للدين وبين مثبت لفظيّة الدين.

ويبقى الدين هو الوسيلة الوحيدة لإشباع الحاجات والرغبات البشرية، ومع التطور الكبير للعلم فإنَّ الخلق بحاجة ماسة للدين ولذلك يذكر فروغي في كتابه رسائل العظماء، ورسالة فيكتور هوجو: "بأنَّ الإنسان حين يعتقد بأنَّه فانٍ وإنَّه لا يوجد بعد هذه الحياة إلَّا العدم المطلق فإنَّه حينئذ سيفقد الاحساس بقيمة الحياة ولذتها، والشيء الوحيد الذي يبعث الاحساس باللذة والنشاط هو الدين حين يوقر فيه الاعتقاد بالبقاء والخلود ويوجد حياة أبدية".

وسيبقى الدين حياً وكما قال سبحانه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)، ولذلك يقول ويل دورانت في كتابه دروس التاريخ: "للدين مائة روح، كل شيء إذا قُضي عليه في المرة الاولى فإنَّه سوف يموت والى الأبد، إلَّا الدين فإنَّه لو قضي عليه مائة مرة فإنَّه رغم ذلك سيظهر وتتبعث فيه الحياة بعد ذلك.

عوامل الانحراف عن الدين:

بما أنَّ الدين فطريّ فلماذا يخرج الناس منه، وينحرفون؟ وهذا أبرز سؤال يتعرّض له أولئك المعتقدون بفطرية الدين، والحقيقة إنَّ جواب هذا المطلب واسع جداً وفيه بحث طويل، ونختصر القول فيما ذكره وولنز أوسكار لندبرج حين ذكر عاملين:

(١) سورة التوبة الآية ٣٠.

١- يرجع انكار وجود الله في بعض الأحيان الى ما تتبعه بعض المنظمات الإلحادية إذ ترمي الى شيوع الالحاد ومحاربة الإيمان بالله، بسبب تعارض هذه العقيدة مع مبادئهم.

٢- يرجع الى فشل بعض المبلّغين الجهلة الذين يرسخون بعض الأفكار التي لم يفهموها جيداً^(١)، حيث تتعارض مع المنجزات العلمية، فترى - مثلاً - أصحاب الكنيسة المسيحية يبذلون محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة الإنسان بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض، وهكذا ساعد على ذلك الأبوين الذين لا يمتلكان معرفة صحيحة عن الدين، وعندما تنمو العقول وتتدرّب على استخدام الطريقة العلميّة فإنّ تلك الصور التي تعلموها منذ الصغر والعقائد المشوهة لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير، وبالأخير ينبذون فكرة الإيمان بالله كلياً.

ويُضيف الشهيد مطهري رحمته الله على ذلك عوامل أخرى نذكر منها:

١- إنّ الغرق في الشهوات والتوصل في البيئة الفاسدة يؤدي الى ضمور الاحساس الديني ويضعف تأثيره، وذلك لأنّ الإنسان أصبح أسير شهوته، ويذكر لنا مثلاً من التاريخ وهو ما حدث في

(١) أوجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام على المبلّغ الديني أن يكون ورعاً ومتفقهاً في دينه ووضعت له ضوابط في التصدي، مع ضوابط على المتلقي أيضاً.

الأندلس حين خرج من يد المسلمين هو نموذج لذلك فقد وفر أعداء الإسلام لهم كل الوسائل المحرمة ومثيراتها، فقد أوقفوا الحقول النظرة لصنع الخمر، وأنزلوا الفتيات المنحرفات اللواتي أخذن يخطرن بكل خلاعة في شوارعها فماتت روح الدين والشرف، ونتيجة لذلك تمكن أعداء الدين من السيطرة على الأندلس بكل سهولة ونجحوا في إبادة المسلمين^(١)، وهكذا يستخدم الاستعمار الغربي مع بلادنا الإسلامية وبصورة أكثر دقة.

٢- إنَّ بعض من حمل مسؤولية الدعوة إليه، فبدلاً من الدعوة الى تعديل الغرائز البشريّة وتوجيهها التوجيه الصحيح نراهم يدعون لمحاربة الغرائز ويُشيعون بأنَّ الدين يعادي هذه الغرائز.

لكن الحق إنَّ الدين يعترف بهذه الغرائز لكن يريد منها أن تكون ضمن الحدود المقررة ليأخذ كل فرد نصيبه لا على حساب الميول الأخرى.





العلمانيّة وتفكيك معالم الدين:

قال الحق جل مجده: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

حاولنا في هذا الكتاب أن نبيّن ما توصلَ إليه العلم الحديث، وما اكتشفه علماء الطبيعة وغيرهم، فكان اكتشافهم - ولو على نحو الاستقراء الناقص - مطابقاً لما ورد عن تراث الدين الإسلامي، وما أخبر به قبل قرون، حتى هذا بالكثير منهم بالتسليم للدين، مما أخاف ذلك أهل الالحاد والانحراف، فأعلنوا الحرب ضد الدين بكل الوسائل والأساليب، ومنها العلمانية التي دخلت في جميع الحقول والمفاهيم، فظهرت بأجلى صورها في السياسة، فنادى أصحابها بفصل الدين عنها، وحاولوا اظهار عجزه في هذا المجال، وحاولت أن تعد أناساً سلفاً لإنجاز هذه المهمة، من خلال سيطرتهم على السلطة باسم الدين ثم يقومون بما هو مخالف لذوق الشريعة وهكذا، وظهرت في الحياة الاجتماعية فأشاعت الفحشاء باسم الحرية في سبيل تنفيذ مقاصدهم، كما وظهرت في

(١) سورة التين الآية ٤.

الأخلاق ولم تبقى أية مكرمة إلا وأبدلتها بالمساوي، وجعلت من العلم أيضاً مجرد وسيلة للوصول الى امور مادية صرفة وأغفلت عن الجانب المعنوي في الإنسان بالكلية، وأما تأثيرها في الاقتصاد فقد اعتبرته سبب في استيلاء مجموعة معينة على مقدرات الحياة، وتسويق أطماعهم على الأفراد، يقول سيدنا الأستاذ^(١): "ومن أساليب العلمانية والدعاة إليها جعل الحياة في كل مرافق الحياة بيد أفراد أعدتهم فكرياً ونفسياً وعقائدياً، وقد تعلموا كل مظاهر النفاق في سبيل اضلال الناس وإبعادهم عن الدين الإلهي وتأثيره الكبير في الإنسان الذي جعله خالقه مستعداً لقبوله لولا فكر الماكرين، ولولا وعد الله تعالى بحفظ دينه وأسباب هداية الإنسان لكان مكرهم يوجب طمس نور الفطرة"^(٢).

تعريف العلمانية:

التعريف الأول: وهي تعني الخروج عن عالم الروحانية - فيما يتعلق بالقساوسة - والانغماس في المادية، وإضفاء حالة من الدنيوية الى العقائد أو مقامات الكنيسة.

التعريف الثاني: وهو المقارنة بينها وبين الإلحاد، فالفكر الإلحادي ينكر الدين تلقائياً، ولا يعمل معه بوصفه أمراً واقعياً، قد يوظف الإلحاد

(١) آية الله العلامة سماحة السيد علي السبزواري رحمته الله، وقد أفاض بهذه الفوائد المعرفية في سلسلة دروسه في علم الاقتصاد على طلبة البحث الخارج، وقد صدرت دروسه بأجزاء متعددة تخص البحث المطروح.

(٢) الاقتصاد الإسلامي ج ١ ص ٣٨٤ - ٤٨٤، وقد لخصت البحث المطروح منه.

الدين ويتخذه وسيلة وأداة لتحقيق مآربه وأهدافه، وهذا هو الأسلوب (الميكافلي) الذي أسقط السياسة أصالتها، وبهذا الاعتبار تتناغم فكرة الالحاد مع فكرة العلمانيّة.

اشتقاق العلمانيّة:

اختلف الباحثون في اشتقاق هذه الكلمة وتاريخ دخولها في اللغة العربية ولهم فيها آراء :

الرأي الأول: قراءة لفظ (علمانيّة) بفتح العين، مشتق من (علم) أي العالم، وتاريخ هذا المصطلح يرجع بدايته مع انتشار المسيحية في بلاد الشام، وكانت الآراميّة - اللغة السريانيّة - هي السائدة، وبعد الفتح العربي تغلّبت العربية على الآراميّة، فكان المؤمنون يطلقون على الكاهن لفظ (عامو) بمعنى العامي، ومن يقترب من الكنيسة يطلقون عليه لفظ (علمو) بمعنى العامي (دهري) أو (ابن الدين) ومعناه في الآراميّة دنيوي أو علماني أي خاص بالزمان أو بالجيل أو بالعالم.

الرأي الثاني: قراءة لفظ (علمانيّة) بكسر العين، والمقصود به أن يتولى قيادة الدولة رجال زمنيون لا يستمدون خطتهم وأساليبهم في الحكم من الدين، وإنّما من خبراتهم البشريّة في الإدارة والقانون^(١)،

(١) العلمانيّة في الإسلام ص ١٦ (د. إنعام أحمد قدوح).

ولكل واحد من النظريتين لاشتقاق هذه الكلمة مؤيدون ومناصرون، وهذا الاختلاف أوجب الغموض في معنى العلمانية.

تأريخ النظرية:

ظهرت العلمانية في الفكر الغربي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، وذلك نتيجة النزاع المحتدم بين البابا والامبراطورية الرومانية، ويمكن تصحيح القول بقدم العلمانية عن طريق آخر، وهو القول بأنها من أحد مظاهر الصراع مع الدين على مر الزمن، وقد حكى لنا القرآن الكريم صراع الأنبياء ﷺ مع الكافرين وعقائد الملحدين وأفكار المنكرين بشتى صورها، حتى جاء دور الماسونية وأفكارها التي كان لها دور كبير في انحراف مسيرة الإنسانية عن منهجها القويم، وقد ترعرعت في مهد اليهودية، وسرعان ما اتخذت مساراً فكرياً تخريبياً مع أغلب الأنبياء ﷺ، ثم انتشرت في جميع المجتمعات، ثم دخلت بعنوان الحداثة والعولمة، ولعل تسمية العلمانية هو مصطلح حديث، ولكن له جذوره التاريخية في الصراع المرير مع الدين ومفرداته، وإن كانت في مسميات مختلفة.

أنحاء العلمانية:

اختلف الباحثون في العلمانية هل لها نحو واحد أم أنها على نحوين؟

النحو الأول / العلمانية الجزئية: ويراد بها فصل الدين عن الدولة والسياسة.

النحو الثاني / العلمانية الشاملة: ويراد بها فصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية.

أهداف العلمانية:

مما استفدت من دروس سيدنا الاستاذ (دام وجوده المبارك) ومما طالعت من غيره، فقد توصلت الى مراد دعاة العلمانية وما يريدون تحقيقه وهي عدة امور:

الأمر الأول / الركيزة النهائية: وهي عملية تنميط الإنسان وبرمجته وتدريب وجدانه على قبول المادة (الطبيعية) التي هي الكيان الإنساني المتجاوز للإنسان باعتبارها المرجعية النهائية، فالحضارة العلمانية تلغي الهدف والغاية فلا مركز ولا وضع خاص - حتى الإنسان - فقد أصبح عالماً خالياً من المعنى، وإنَّ أصل الوجود ما هو إلا اسطورة حيث تذهب العلمانية الى أنَّ العالم ظهر بالصدفة المحضة من مادة سائلة، ومن خلال تفاعل كيميائي أنتج خلية لزجة تطوّرت بالصدفة، ثمَّ نمت الى أن أصبح الإنسان الطبيعي ذا العقل الذي يشبه الصفحة البيضاء والذي لا يتمتع بأي تميز عن الطبيعة فهو بغير هوية محدودة، وهذه النظرية لا تختص بالأصل فقط، بل تنسحب الى النهاية، ثمَّ يصل

الإنسان الى نهاية التاريخ فيفقد مركزيّته وهويته، ويصبح جزءاً لا يتجزأ من الكل، فيصبح الكون مادياً متساوية أجزاؤه.

الأمر الثاني / توظيف الإنسان في اطاره البيولوجي والاجتماعي:

بما أنّ الإنسان جاء من الطبيعة الصماء وسيعود إليها وينعدم، فلا بُدَّ أن يوظف في حياته ضمن قانون تضعه العلمانيّة، ويتقبل الإنسان بحالة التنبؤ الناجمة عن التحديث، وقد ضربت العلمانيّة أمثلة كثيرة تبين لحظة الصفر والتي من تجلياتها:

اللحظة السنغافوريّة / الإنسان الاقتصادي: وسميت بذلك نسبة الى

سنغافورة، التي تتسم بأنّها بلا تاريخ وتقاليد حضارية، ومنظومات قيمية، فمن الممكن تهميشها ببساطة، حتى يتحول الإنسان فيها الى وحدة اقتصادية قادرة على الانتاج والاستهلاك والبيع والشراء، ومن ثمّ يصبح البلد كله مجموعة من الفنادق والمصانع والمحلات وينظر الناس الى أنفسهم لا أنّهم كبشر، وإنّما كوحدات انتاجية استهلاكية، ولذا أصبحت سنغافورة حلم كثير من أعضاء النخب الحاكمة في العالم الثالث.

وكما يقول الإعلام بتحويل الجميع الى أبطال استهلاك، لاسيما في عالمنا الإسلامي والعربي، وهي دعوة الى تحويلهم الى أناس سنغافوريون.

اللحظة التايلندية / الإنسان الجسماني: وسميت بذلك نسبة الى

تايلاند، حيث أصبح قطاع البغاء والمخدرات فيه من أهم مصادر الدخل القومي، واللحظة التايلندية تعبير عن الإنسان الجسماني حيث يتحول تماماً الى أداة للمتعة - في عصر ما بعد الحداثة - وكيفية تحويل كل البلاد الى النظرية يحتاج الى نزع القداسة تماماً عنهم، ويروح من تطوير القطاع السياحي الذي يخبئ عادة نزعة تايلندية.

اللحظة الصهيونية / الإنسان المادي: وهي من أوضح اللحظات

النماذجية وأكثرها مادية لأنها تعبير مباشر عن الإنسان المادي بمادته، فهي تنظر الى البشر جميعاً باعتبارهم مادة استعمالية يمكن توظيفها، ويقوم الأقوى بهذه المهمة، ومن أجل ذلك فقد تمّ تقسيم البشر الى أشخاص نافعين، وغير نافعين، وتقرر إبادة غير النافعين منهم ممن لا يمكن تحويلهم الى عناصر منتجة، ثمّ السيطرة والتحكم في كل شيء بداخله والمثال الأوضح لهذه اللحظة الصهيونية عندما نظرت الى فلسطين بلا شعب وذلك بإبعاد الفلسطينيين، ثمّ تخلص أوربا من اليهود عن طريق نقلهم إليها.

اللحظة الإماراتية / الإنسان المتلبس بالدين: حيث جمعت فيها بين

اللحظات الثلاث المذكورة سابقاً ولكن تحت ستار الدين، ولهذا البلد نظائر في عالمنا الإسلامي حيث طبق عليها النظرية المذكورة فحولت الإنسان فيها الى مادة نافعة انتزعت عنه القداسة بعد تعريته من

الإنسانية، حيث لا حرمان ولا مطلقات، وبذلك يصبح الجميع مادة استعمالية يخلو من كل مفردة إنسانية ومنقبة أخلاقية، ويصبح الإنسان مثل (سدني بيدل باروز) عندما وجهت إليها إدارة ملف دعارة في نيويورك كان خط دفاعها أن الدعارة عمل استثماري، وقد تحولت قصتها الى عمل ناجح، بل قامت احدى مؤسسات الرفاه الخيرية في استراليا بترتيب دورات تدريبية للبغايا حتى يمكنهن من تحسين أدائهن في ساعات العمل الشاقة، وعندما سُئل أحد مسؤولي الدورة عن الحكمة من وراء ذلك أجاب بأن التخصص احدى سمات العصر، وهي علمنة المصطلحات المستخدمة في وصف عملية تحويل الإنسان طبيعي وظيفي وهو الذي عليه النماذج العلمانية الأربعة المتقدمة، ولا يمكن لأحد الوقوف أمام تلك النماذج سوى الدين، الذي يؤكد أسبقية الإنسان على الطبيعة.

ومن هنا فقد تبنت العلمانية الشاملة فكرة إنكار الما ورائية، وتلاقت بذلك مع فكرة الالحاد وإنكار الإله حتى تحقق فلسفتها الوجودية الصرفة وهي فلسفة تحررية معارضة للدين، وثقافتها الانحلال عن كل القيم الأخلاقية وسلوكها الاستغلال والسيطرة على مقدرات الشعوب، وآلياتها متعددة حسب اختلاف الزمان والمكان، والتي منها ما مرّ ذكره.



قاعدة التدرج المرحلية:

قال الإمام صادق الحقائق والعبرة عليه السلام: (إنَّ الإيمان عشرُ درجات بمنزلة السلم يصعدونه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الاثنين لصاحب الواحدة: لست على شيء حتى تنتهي الى العاشرة فلا تُسقط من هو دونك فيسقط من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره)^(١).

هناك قاعدة هي بمثابة الأساس، واحدى الوسائل الناجحة التي توصل الى الأهداف السامية وتُهيئ له النفسيات البشريّة وتجنبه المشاكل الاجتماعية وتحفظه من الاصطدام بالعادات الجاهلية وذلك لمن أراد الوصول الى أمر معيّن، سواء في الأمور الدينية أو الاجتماعية وحتى الشؤون الخاصة.

(١) اصول الكافي ج ٣ ص ٧٤.

وهذه القاعدة هي: قاعدة التدرج المرحلية، والتي تعني التقيد والالتزام بمراحل معينة يتوقف عليها الوصول الى الغايات والأهداف التي ينشرها الإنسان في هذه الحياة، وهذه القاعدة هي سنة من سنن الحياة أمر الله تعالى بها الإنسان وعلى مقدمتها الأنبياء والأولياء في تبليغ الشرائع السماوية.

وقد اكتشف الإنسان على مدى حياته المتعاقبة، أنه يعيش بين حاجتين أساسيتين ضروريتين تُهيمنان على حياته كلها هما: الوعي التأملي والوعي العملي.

فالوعي التأملي: يعني ادراك الإنسان لمصالحه الطبيعية وقضاياه المدنية التي اطلق عليها بـ (المدنية).

والمدنية: تعني الاختراعات والاكتشافات الحديثة التي تلمس بالحواس الخمسة، وبعبارة اخرى: يمكن التوصل إليها عن طريق العقل والفكر والاستدلال النظري، وهي لا تختص بشعب دون آخر لأنها أداة علمية حيادية عالمية تشترك فيها جميع شعوب العالم.

أما الوعي العملي: يعني ادراك الإنسان لمصالحه الاجتماعية وقضايا الحضارة التي تتعلق بالنظام الاجتماعي الذي ينظم حياته على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والتي اطلق عليها بالحضارة.

والحضارة: تعني أنها كل الأفكار والمفاهيم المعنوية التي لا تلمس بالحواس الخمسة، وهي من مختصات الشعوب والمجتمعات، فكل مجتمع له حضارته التي تختلف عن حضارة مجتمع آخر^(١).

والحديث المفتتح به البحث يؤكد على هذه النظرية في التعامل مع الآخر، فلا بُدَّ أن تأخذ بعين الاعتبار - قاعدة التدرج المرحلية - كمراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد عن الحبيب المصطفى ﷺ الذي بيّن المراحل المتدرجة فيه:

فالمرحلة الأولى الإنكار القلبي: والذي يعني اظهار كراهة المنكر بالانزعاج من الفاعل والإعراض عنه.

ومرحلة الإنكار باللسان: والذي يعني الأمر بالكلمة الهادفة والطيبة والتي تحمل في طياتها النصح والإرشاد^(٢).

والمرحلة الأخيرة باليد: والتي تعني الضرب باليد الرادع عن المعصية دون الكسر والجرح، ولا يلجأ الى هذا الأسلوب إلا بعد فشل سائر الأساليب، وبنظري - والله العالم - إنّ هذه المرحلة تكون حسب اعطاء الإذن من قبل الشرع الأقدس لمن له الولاية على الفاعل للمنكر، فالمرجع المبسوط اليد على مقلده، والزوج على زوجته، والأب على ابنه، والمعلم على تلميذه.

(١) الأساليب التربوية ص ١٢ - ٦٥ لمؤلفه سماحة السيد عبدالمك الموصوي.

(٢) نفس المصدر ص ٧٠، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.



الرياضة وبعدها الإيجابي في الإسلام:

عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (علموا أولادكم السباحة،
والرماية، وركوب الخيل)^(١).

يستفاد من الحديث وغيره بأنَّ الرياضة مطلوبة بالنسبة لحياة المسلم
وهناك حثٌّ عليها، وقد وجه سؤال للسيد السيستاني دام ظلّه حول الحديث
بما يلي: حث الرسول صلى الله عليه وآله على تعلم السباحة وركوب الخيل والمبارزة
فهل هذه الرياضة هي المجوزة فقط؟ فكان الجواب: بل تجوز غيرها
أيضاً مما لا تكون قماريّة على التفصيل المذكور في رسالة المنهاج.

لو نظر كل واحد منا الى حياته اليوميّة لرأى التقنيات الحديثة قد
وفرت الكثير من وسائل الراحة فقلة الحركة أمثال الطائرات والسيارات
فمهما طالت المسافة طال الجلوس والتلفاز والأنترنت بمواقعه المتعددة
فلا يحرك الإنسان إلا يده، وهكذا الجاد في دراسته والباحث عن التطور
فهو لا يستخدم إلا يده للكتابة وعينه للمطالعة فدائماً جالس وهكذا بالنسبة

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٦.

•
للمرأة ما إن تراكمت الأوساخ حركت بيدها المكنسة الكهربائية وبالنسبة للملابس ما عليها إلا تشغيل الغسالة الآليّة، وقد ولى عهد الطهي بالمواعد أو الوسائل البدائية للطبخ فالآن طبابخات وأفران حديثة بل هناك من لا يُعد الطعام بالبيت بل يكتفي بجلبه من الأسواق فهو جاهز بأي وقت، فكل هذه الامور قد سببت - مع إيجابيتها - عن تعطيل الحركة الجسميّة وملء الفراغ بالأعمال، فمن هنا كانت الرياضة ضروريّة وقد أكدت عليها الروايات كقول مولانا الكاظم رحمته الله: (وساعة تخلون فيها لذاتكم في غير محرم)^(١) لأنّ فيها تجديد الحيويّة والنشاط لمعاودة مزاولة الأعباء الشاقة، وقد ثبت علمياً أنّ الأجساد الصحيحة القوية أقدر من غيرها على أداء المسؤوليات، من هنا تتأكد أهميّة الرياضة بالنسبة للذين يمارسون أعمالاً لا تتطلب جهداً عضليّاً، وعمال البناء أو الذين يشتغلون بالزراعة والحفر والصناعة يمارسون الرياضة ضمناً بمعنى أنّ أجسادهم دائمة الحركة ولذلك تراهم أكثر فعاليّة ونشاط من سواهم من الموظفين والإداريين والتجار والكُتّاب وغيرهم، وذلك على هؤلاء أن يمارسوا الرياضة خارج اطار العمل والمهم أن يكون هناك شيء من الوقت للرياضة ولا يكون كل الوقت لها.

فائدة الرياضة: وسيلة من وسائل الترفيه والترويح عن النفس وتشرح الصدر وملء الفراغ.

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٢١.

وطبياً: تنقي الجسم من السموم التي تتراكم داخله نتيجة الجلوس لساعات طويلة فالرياضة تحرك الدم في العروق وتخلص من التصلب في الشرايين كذلك تعطي جسماً رشيقاً جميلاً لأنها تُذهب بالزوائد الشحمية.

ويقول المختصون في الشأن الرياضي^(١): إنّ فوائد الرياضة تتجلى بزيادة الثقة بالنفس والقدرة على التكيف الاجتماعي وتنمية القدرات الذهنية والعقلية، ونفسية الرياضي تتحسن بمرور الوقت فيصبح أكثر استقراراً من الناحية العاطفية وأقل توتراً من الناحية النفسية.

القوة الجسميّة في القرآن والروايات: قلنا إنّ الرياضة تجعل من المرء قوياً جسدياً ومرتاح نفسياً، وعند مراجعة القرآن الكريم والروايات الشريفة ترى أنّ القوة لا بُدَّ أن لا تتجرد عن الإنسانية فهي لذاتها لا قيمة لها بدون أن توظّف في طريق الخير.

فالقرآن الكريم عندما يحدثنا عن طالوت يقول: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٢) فقد جمع بين القوتين العلمية والعملية ذلك إنّ القوة العضلية لوحدها هي قوة حيوانية فالثور قوي والحصان قوي والأسد قوي والذئب قوي والنمر قوي والفيل قوي ولكنها قوة للاقتراس وحمل الأثقال وقطع

(١) الرياضة في حياتي ص ٦، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٧.

المسافات الطويلة فهي قوة لأنها متجردة من العقل والإيمان فهي دائماً ضاربة متوحشة ضارية.

وهكذا عندما نأتي الى موسى عليه السلام قال عنه سبحانه متحدثاً بلسانه:
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(١)، فإنَّ القوة التي أعطاه الله لموسى عليه السلام جعلها مسخرة في الدفاع عن المظلومين ونصرة الحق، والحادثة مع ابنتي شعيب عليه السلام عندما قام بالسقي لهما من بئر عليها حشر من الرعاة ولذا قلنَّ بعد أن رجعتا الى أبيهما: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢)، فلم تُجذب الى قوته البدنية فقط بل الى أمانته الخلقية أيضاً، ومحطم الأصنام إبراهيم الخليل عليه السلام لم يندفع بقواه البدنية ليخرج هذا أو يقتل ذاك إنما ذهب بفأسه الى أصنام لا تضر ولا تنفع ليخرج الناس من الضلال الى الهدى، وفي لقائه مع الطاغية النمرود القوي مادياً واجهه بقوتين العقلية والروحية ولم يواجهه بقوة مادية لمعرفته أنَّ قوة النمرود المادية أقوى إنما قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾^(٣).

وداود عليه السلام الذي انبرى لقتال جالوت رغم فارق السن والقوة البدنية لكنه خرج بروح عالية فقتل جالوت وأسقطه ميتاً، إنها قوة الإيمان.

(١) سورة القصص الآية ١٧.

(٢) سورة القصص الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

كما نلتقي أيضاً بالعبد الصالح ذي القرنين الذي استمد طاقته في الدفاع عن المستضعفين فصنع لهم سداً يقيهم من هجمات الأعداء يأجوج ومأجوج.

وفي تاريخ الإسلام نرى أنَّ النبي الأعظم ﷺ الذي سخر كل طاقته من أجل بناء مجتمع صالح وهكذا أصحابه الأبرار فبعد الهجرة أمر النبي ﷺ ببناء المسجد فهرع المسلمون لبنائه بأنفسهم فإنَّ كل مسلم ليحمل حجراً أمّا عمار بن ياسر كان يحمل حجرين فبارك النبي ﷺ له قوته وهمته، ولقد قلع أمير المؤمنين ﷺ باب خيبر وهي باب كبيرة ضخمة يعجز جمع من الرجال عن قلعها وعندما سُئِلَ عن قوته تلك قال ﷺ: (ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن بقوة إلهية)^(١) مما يعني أنَّ القوة الإيمانية الروحية قادرة على تحقيق ما لم تقدر عليه القوة البدنية المحضة، وهكذا له المواقف الكبيرة في الإسلام ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

القوة الحقيقية: قد أجاب المصطفى ﷺ في أكثر من حادثة عن سؤال من هو القوي؟ فلنتعرف على ذلك:

١- مرَّ النبي ﷺ بقوم يرفعون أحجاراً فقال: ما هذا وما يدعوكم إليه؟ قالوا: لنعرف أشدنا وأقوانا، قال: أفلا أدلكم على أشدكم

(١) موسوعة الإمام علي ﷺ في القرآن والسنة ج ١ ص ٢٤١.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج منه سخطه عن قول الحق، وإذا ملك لم يتعاط ما ليس له)^(١).

فالقوة هنا قوة أخلاقية وإلا فما قيمة قوي في بدنه يصرع الأقوياء وهو لا يتورع عن الدخول في الانحراف فهو هنا يصرع بسهولة رغم أنه يصعب التغلب عليه هناك.

٢- مرَّ النبي ﷺ بجمع من الفتيان يتصارعون فسألهم عن ذلك فقالوا: نختبر أشدنا وأقوانا فقال: ألا أخبركم بالصرعة؟ فقالوا بلى يا رسول الله، فقال: (الصرعة كل الصرعة -وكرر ها ثلاثاً- الرجل الذي إذا يغضب فيشتد غضبه، ويحمر وجهه، ويقشعر جلده، فيصرع غضبه)^(٢).

٣- كان المسلمون مولعون بسباق الخيل والجمال والرماية كجزء من فنون الحرب والقتال، وينقل أن النبي ﷺ كان يشترك في مثل هذه السباقات، وكانت له ناقة معروفة بالجري لا تسبق فظن بعض الصحابة لأنها ناقة النبي ﷺ، وذات يوم سابق النبي ﷺ اعرابياً بناقته، وكان الصحابة حاضرين ولكن النتيجة جاءت بخلاف المعهود حيث سبقت ناقة الإعرابي ناقة النبي ﷺ فشق ذلك على المسلمين، فقال النبي ﷺ: (حق على الله أن لا

(١) جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٧٥.

(٢) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٤٧.

يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه^(١)، وهي لفظة نبويّة لأولئك الرياضيين الذين يعيشون الغرور والخيلاء لمجرد فوز في سباق.

إذن؛ لا بُدَّ أن يجمع الرياضي بين القوة البدنيّة والقوة الإيمانيّة لتترك أثرها الإيجابي.

الروح الرياضيّة: هذا هو الشعار المعروف في أكثر الساحات الرياضيّة ويعني به الأخلاق الحميدة التي ينبغي اللاعب الرياضي أن يتحلّى بها، فالرياضي الذي يعرف بغروره وتحاييله يدعو الى النفور والانتقاد اللاذع، بينما الرياضي الذي يتحلّى بالتعاون والتواضع فهو ذو روح شفافة، ومن المهم جداً بالنسبة للرياضي أن يتعلّم التفقه في الدين ليعرف الضوابط حاله حال التاجر المسلم والطبيب المسلم والمحاسب المسلم وإلا ارتطم بالحرام.

وقد خصص الفقهاء عنوان بـ (فقه الرياضة) فمثلاً: يحددون أنّه لا يجوز الردّ بالمثل على اللاعب المعتدي الذي يبدي خشونة مرفوضة رياضياً سواء في داخل الساحة أو الحلبة أو خارجهما، فالممنوع في قانون الرياضة ممنوع شرعاً لأنّ القانون الرياضي عقد ولا بُدَّ للمسلم أن لا يخل بشرط تعاقد عليه، وقد تدخل الحالة القماريّة فهي محرمة وإن كان عنوانها رياضة أو بدون عوض مالي، ثمّ لا يجوز للاعب الكذب

(١) تهذيب الكمال ج ١ ص ٢١١.

والخداع كأن يدعي الضرر والتألم ليأثر على قرارات الحكم فيظهر شيء غير واقعي، ولا تجوز في الشريعة الألعاب العنيفة التي تعرض اللاعب لخطر الموت أو الإصابات كالمصارعة الوحشية والملاكمة الصينية ومسابقات السيارات والدراجات النارية الخارقة، وإذا حدث كسر أو ما شابه ولم يحصل التراضي فلا بُدَّ من اتباع الديّة الشرعيّة في ذلك، كما أنّ على اللاعب أن يسيطر على أخلاقه وأعصابه فإذا تأثر أثناء اللعب عليه أن يميّز عدوه من صديقه، ويحرم السباب والشتائم ورمي الفريق الخاسر.

الرياضة والعنف: الرياضة بطبيعتها داعية للألفة والمودة والتنافس الودي فحينما ترى لاعباً لكرة القدم يعيق لاعباً آخر يحاول تسجيل هدف في مرماه، وحينما ترى شجاراً بين لاعبي فريقين متنافسين أو استخدام المنشطات من أجل الفوز أو ارشاء الحكم لكسب انحيازه فإنّها خرجت عن اطارها الأخلاقي وأصبحت معركة وانتهاك للإخوة والصداقة.

كما ظهرت في الألعاب كالمصارعة الحرة والملاكمة ومصارعة الثيران واثبات الرماح في ظهورها حتى تنتهالك وتسيل منها الدماء ومصارعة الديكة الروميّة التي تنزف دماؤها، فعلماء الفقه يحرمون ذلك لما به أذى وضرر وكذلك ينصح علماء النفس بعدم مشاهدة هذه الألعاب بالخصوص الصغار والشبان ففي البدء يستتکرونها، ثمّ لا يلبثون أن يتعودوا عليها وفي مرحلة ثالثة قد يلجؤون الى ممارستها، وأغلب من

يتعلم على ذلك قد يلجأ في المستقبل ليكون مع العصابات والمافيا
الخطيرة.

إنَّك تستغرب كثيراً ممن يدعي الإنسانية والتعاطف كيف يمارس هذه
الرياضة العنيفة أو أن يستأنس بالمشاهدة لتلك المشاهد الغريبة، ومن هنا
لا بُدَّ أن نلفت النظر لبعض الشباب والفتيات الذي ليس برياضي إنَّما هو
ممن يحب الرياضة والرياضيين ويحب مشاهدتهم ومبارياتهم مرة
بالتلفاز وبمدرجات الملعب وبعضهم لا يتمكن من منع نفسه من ابداء
مشاعر الرضا والغضب، فينبغي عليه أن يخرج عن المألوف والهرج
والمرج والاستخفاف باللاعبين أو الفريق الخصم أو الاعتداء على
مشجعي الفريق الآخر.

قواعد رياضية: الرياضة نظام أقر من قبل لجان ومؤسسات
رياضية مختصة ومنها بعض النصائح:

- ١- لا تمارس الرياضة لكي تكسب اللياقة البدنية بل اكتسب اللياقة
أولاً، ثمَّ مارس رياضتك المفضلة، فلا يصح للذي يعاني من
مرض أن يمارس رياضة لا يتحملها جسمه المتعب.
- ٢- في بداية أي ممارسة لا بُدَّ من الإحماء في مدة ٥ - ١٠ دقائق
والإحماء مهماً لسلامة القلب ويؤهل عضلات الجسم للحركة
بتنشيط الدورة الدموية فيها.

٣- لا تستخف أبداً بأخطار الألعاب فهناك رياضات معينة تتطلب

درجة عالية من المهارة والاقتدار والتدريب اللازم، فسياقة الدراجات النارية تحتاج الى ارتداء القبعات الواقية من الصدمات وبعض الرياضات تحتاج الى أحذية خاصة مزودة بدعامات قوية ومبطنة للكعوب وواقية للسيقان.

٤- الاعتدال والتواصل في بلوغ اللياقة البدنية كما أن تمريناً يومياً لمدة نصف ساعة أفضل من الانقطاع نهائياً، ونقل عن البروفسور كلاس ديستر تريب من جامعة ماستر يخت الهولندية أنه أجرى دراسة تناولت ٣٠ شخصاً تتراوح أعمارهم بين (٢٢-٣٢ سنة) حيث جاءت النتائج أن ممارسة النشاطات الشريرة هي أقل تأثير من النشاطات المعتدلة التي تمارس لفترة أطول أثناء الحياة.

٥- تجنب اللعب بالشوارع الرئيسية والفرعية لأنها طريق عام، وتعرض الى الاصابات، إما بالجانب الطبي يجب أن لا يأكل الرياضي مع التوتر إلا في حالة ارتخاء، ويحبذ تناول الأغذية الغنية بالسكر والحليب والبيض والفواكه وعدم الافراط فيها لأنها تؤدي الى عواقب وخيمة.



فوائد السفر:

تَغْرِبُ عَنْ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدٍ
تَقْرَجُ هُمٌ وَاکْتَسَابُ مَعِيشَةٍ
وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصَحْبَةُ مَاجِدٍ^(١)

يعتبر السفر ضرورياً وذلك للخروج من الروتين وتبديل ما اعتاد عليه الإنسان، فتغيير المحيط والوجوه المتكررة والظروف الحياتية تجعل الروح تتعب فتتوق الى تغيير النمط الذي يحيط بها، وفقد جاء في الحكمة: "سيحوا في الأرض فإنَّ الماء إذا ساح طاب، وإذا وقف تغيّر واصفر"، وهناك خطوات لا بُدَّ للمسافر أن يتبعها ليكون سفره متكاملًا وذا فائدة وهذه الخطوات على نوعين^(٢):

(١) مستدرك وسائل الشيعة ج ٨ ص ١١٥.

(٢) كيف تمارس الترويح عن نفسك؟ ص ٢٢ للسيد هادي المدرسي (دام عزه)، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.

النوع الأول / الخطوات المعنوية: وهي مجموعة من الآداب التي

أرشدتنا إليها الشريعة الغراء منها:

- ١- أن لا تترك التسميّة، فكل شيء من دونها يعتبر أبتراً.
- ٢- التختّم بالعقيق والفيروزج، فقد ورد عن أبي محمد بن علا عن الصافي خادم الإمام علي النقي عليه السلام قال: استأذنته في الزيارة الى طوس، فقال لي: يكون معك خاتم فضة عقيق أصفر عليه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله، وعلى الجانب الآخر محمّد وعلي، فإنّه أمان من القطع وأتم للسلامة وأصون لدينك^(١).
- ٣- التصدّق: فبالصدقة تشتري السلامة والحفظ.
- ٤- حمل تربة مولانا سيد الشهداء عليه السلام: فقد روي عن مولانا الصادق عليه السلام قوله: (كل من يريد الأمان من كل خوف، فعليه أن يحمل معه تربة من هذه التربة الحسينية)^(٢).
- ٥- قراءة سورة الفاتحة وآية الكرسي والتوحيد والناس والفلق وتسبيح الصديقة الزهراء عليها السلام فكل ذلك وردت فيه روايات عظيمة عن أهل بيت الوحي عليهم السلام تترك أثرها على المسافرين ومن معه.
- ٦- الغسل والتطيب وارتداء الملابس النظيفة.

(١) مفاتيح الجنان ص ٢٩٣.

(٢) حلية المتقين ص ٦٨٦.

النوع الآخر / الخطوات الماديّة: وهي مجموعة من النقاط التي

ينبغي للمسافر اتخاذها قبل سفره وفي اثنائه وهي كالتالي:

- ١- اختيار الصديق الذي يبادلك المشاعر وترتاح إليه ويرتاح إليك.
- ٢- أخذ المال والزاد الكافي، قال مولانا الصادق عليه السلام: (المروءة في السفر كثرة الزاد، وطيبه، وبذله لمن كان معك)^(١).
- ٣- تحضير الحقائب والأغراض لتكون الانطلاقة متفائلة.
- ٤- تمتع بجمال الحياة التي خلقها الباري للترويح عن نفسك حيث تخطط لنزهة على الشاطئ أو الحديقة أو لغابة أو لتسلّق الجبال أو للرياضة وهكذا.
- ٥- اكتسب صديقاً في كل مكان تذهب إليه ولا يهم موقعه الاجتماعي فأبناء البلاد ينفعونك جداً في مختلف المجالات.
- ٦- المعاملة الحسنة والتعاون الدائم مع رفاق السفر: ورد عن لقمان الحكيم قوله لابنه: "إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمرهم، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوك فأعנם، وأغلبهم بثلاث: طول الصمت، وكثرة الصلاة، وسخاء النفس بما معك من دابة أو مال أو زاد، وإذا استشهدوك على الحق فأشهد لهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك، وإذا رأيت أصحابك

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٣١٠.

يمشون فامش معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا
تصدقوا واعطوا قرضاً فأعط معهم وأسمع ممن هو أكبر منك
سناً^(١).

وروي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه أمر أصحابه بذبح شاة
في سفر فقال رجل من القوم: عليّ ذبحها، وقال الآخر: عليّ
سلخها، وقال آخر: عليّ قطعها، وقال آخر: عليّ طبخها، فقال
رسول الله ﷺ: عليّ أن ألقط لكم الحطب، فقالوا: يا رسول الله لا
تتعبن بآبائنا وامهاتنا أنت، نحن نكفيك؟ فقال: عرفت أنكم
تكفوني، ولكن الله عز وجل يكره من عبده إذا كان مع أصحابه
أن ينفرد من بينهم، فقام يلقط الحطب لهم^(٢).

ولذلك كان مولانا زين العباد ﷺ لا يسافر إلا مع رفقة لا
يعرفونه لخدمهم في الطريق فإنهم لو عرفوه منعوه عن ذلك.



(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٣٠٩.

(٢) نفس المصدر.



النوم هروب أم استعداد؟

قال الحق جل مجده: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(١).

إنَّ النوم نومان: نوم الهروب من الحياة، وهذا هو نوم الغافلين.

ونوم الاستعداد للحياة، وهذا هو نوم الأذكياء.

كما أنَّ الراحة راحتان: راحة الخمول، وراحة النشاط.

وقد جعل الله سبحانه النوم راحة واستعداد، يقول شكسبير: "إنَّ النوم يرتق أمام العناية المهلهلة، ويستحق اهتمامنا في الأوقات العصبية المجنونة".

فمن المهم أن نجعل النوم كما أراده الله لنا مُخلصاً للهيم والأتعاب وتعقيدات الحياة وضغوطها، ومنشّطاً لغدٍ أفضل يكون محلاً للإنتاج والابداع، ولكي نحصل على ذلك كله علينا الاستفادة من الامور التالية:

(١) سورة الروم الآية ٢٣.

١- تحديد ساعات النوم التي يحتاجها الجسم، يقول أحد أساتذة علم النفس في جامعة فلوريدا الاستاذ ويب: "إنَّ فترة النوم الطبيعية التي يحتاج إليها الفرد السوي تتراوح بين خمس ساعات الى عشر ساعات، والمتوسط هو سبع ساعات ونصف ساعة لأغلب الناس".

٢- الاهتمام بمتطلبات النوم الهنيء، وهذه المتطلبات عبارة عن امور يستحسن القيام بها وهي:

أ- غرفة النوم: ليس المهم في مساحتها بل المهم لون صبغها والاضاءة التي فيها، لأنَّ النوم حالة نفسيّة، فكل هدوء عصبي ونفسي يساعد عليه، أمّا لو تمّ العكس فإنّه ينفّي النوم الهادئ فاللون الأحمر غير مرغوب فيه لأنّه يثير الأعصاب وينبهاها، أمّا اللون الأزرق الفاتح فهو مريح للنظر ويشجع على النوم العميق.

ب- الاهتمام بالسرير والفراش وكذلك الوسادة التي تحرز منها عملية التنفس المريحة.

ت- الاهتمام بالأغطية وذلك من خلال مناسبتها مع الطقس ويفضل أن تكون خفيفة، ومن الضروري كذلك لونها ونظافتها لما لها من تأثير مباشر على الحالة النفسية.

ث- الاهتمام بالملابس وذلك بارتداء ما يلائم عملية النوم وتجنب ما يضغط على الجسم أو يسبب له الآلام.

ج- الابتعاد عن الحبوب المنومة، إنّ أكثر الأدوية تسبب الأرق يقول الطبيب النفساني نينو مورسيا: "إنّ الأشخاص الذين يتناولون هذه الأدوية يستعيرون النوم وعليهم أن يردوا هذا النوم المستعار بالأرق حينما ينتاب الجسم شعور لاحق بالانقباض".

ح- الاهتمام بالتهوية ودرجة الحرارة، وفي الشتاء والخريف يستحسن عدم إبقاء وسائل التدفئة شغالة طيلة الليل، فالإنسان بحاجة الى الكثير من الأوكسجين اثناء نومه ليخلصه من الترسبات والغازات السامة.

٣- بدء اليوم تحت أشعة الشمس: ويستحسن أن يمضي المرء ٢٠ دقيقة على الأقل في الشمس، ويبيّن السبب في ذلك الخبير ريتشارد آلن بقوله: "يشير ضوء الشمس الى أنّ الوقت نهار ويساعد ذلك في تنشيط ساعة جسدك الطبيعية مما يجعلك منتبهاً"^(١).





الطرائف وبعدها المعنوي:

قال قطب سفينة العارفين رحمه الله: (إنَّ هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم)^(١).

إنَّ مصاعب الحياة تؤدي الى التوتر، والتوتر يؤدي الى العنف، ولكي يأمن الإنسان من ذلك عليه أن يطلب الترويح عن نفسه، وقد ثبت بالتجربة والدراسة إنَّ أفضل وسيلة للتنفيس عن التوتر هو المرح والتمتع بالدعابات، وذلك من خلال قراءتها في بطون الكتب أو الاستماع إليها من الآخرين^(٢).

والمؤمنون مطالبون بأن يكونوا مداعبين في غير رفث - أي بغير فحش وفسوق - والمطلوب أن تكون ضمن حدودها ومواردها، جاء عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: (كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ فقال الرجل: قليل، قال الإمام عليه السلام: فلا تفعلوا فإنَّ المداعبة من حُسن

(١) شرح أصول الكافي ج ٢ ص ١٧١.

(٢) كيف تمارس الترويح عن نفسك للسيد هادي المدرسي (دام عزه) ص ٦٨.

الخلق وإِنَّكَ تدخل بها السرور على أخيك ولقد كان رسول الله ﷺ يداعب الرجل يريد أن يسره^(١).

ومعنى «المداعبة من حُسْن الخلق» لأَنَّها جزء من شخصيته فقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه)^(٢) كما بيّن المعصوم أَنَّهُ مهما كانت المصاعب والتعقيدات فهذه لا تعني أن تكون معبساً أمام الآخرين فقد قال النبي الأعظم ﷺ: (إنَّ الله يبغيض المعبس في وجه إخوانه)^(٣).

ومن جميل ما يُنقل أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين، وكان يوحنا لا يجلس مجلساً إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله، فقال شمعون ليوحنا ما أكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك؟! فقال له يوحنا: ما أكثر بكائك قد بُسِئت من ربك، فأوحى الله الى المسيح عليه السلام: (إنَّ أحب السيرتين إليَّ سيرة يوحنا)^(٤).

وهكذا من بين أصحاب النبي ﷺ رجل يدعى نعيمان وهو من أصحاب بدر كان يُضحك النبي ﷺ بمزاحه، فقد روي أن اعرابياً باع نعيمان عُكَّة عسل فاشتراها منه فجاء بها الى بيت النبي ﷺ وقال:

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٣٠٥.

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٧٢.

(٤) العقد الفريد ج ٨ ص ٩٢.

خذوها ثم مضى، فنزل الاعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى: يا هؤلاء أما أن تعطونا ثمن العسل أو تردوه علينا؟ فعلم رسول الله ﷺ بالقصة وأعطى الاعرابي الثمن وقال لنعيمان ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك يا رسول الله تحب العسل، ورأيت العُكة مع الإعرابي، فضحك النبي ﷺ ولم ينكر عليه^(١)، ويُنقل في شرح النهج أن النبي ﷺ قال بحق نعيمان: (يدخل نعيمان هذا الجنة ضاحكاً لأنه كان يضحكني)^(٢).

وبهذا فالدعابة نافعة ليس فقط في ازالة التوتر والترويح عن النفس واشاعة المرح في الدنيا، بل لكسب الثواب أيضاً في الآخرة لأنها من مصاديق ادخال السرور على المؤمنين، كما يقول مولانا المرتضى رحمه الله: (ما من أحدٍ أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه، كما تطرد غريبة الإبل)^(٣)، وروي أن امرأةً عجوزاً جاءت الى النبي ﷺ فقالت له: أأدخل الجنة؟ فقال ﷺ: لا تدخل الجنة عجوز، فأخذت تبكي فرآها بلال وعندما سمع منها حكايتها سأل رسول الله ﷺ: فأجابه: وحتى السود لا يدخلون الجنة، وعندها قال أمير المؤمنين ﷺ: إن رسول

(١) فكهة العرب ص ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٦.

(٣) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٢٩١.

..... بقلم السيد حسن الياسري

الله ﷻ يقصد أنّ العجوز لا تدخل الجنة إلا وهي شابة، والأسود لا يدخل الجنة إلا وهو أبيض^(١).



(١) بيان أمر الأذان وأحوال المؤذن ص ٩٤.



العقل الجمعي وتعطيل العقل الحر:

قال الحق جل مجده: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾^(١).

يرسم لنا القرآن الكريم صورة عن مجتمع فاسد سيُسأل في مشهد مثير من مشاهد يوم القيامة أنه ما السبب الذي أدى بكم الى هذه النتيجة المأساوية السوداء المريعة؟ ما الذي جعل الله سبحانه يلقيكم في وادي جهنم الرهيب؟ فيكون جواب المجرمين بعد أن يُسألون: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ﴾ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾^(٢)، وهؤلاء لهم صفات ومن ضمنها أنهم مجتمع منساق مع التيار، مشتغل بالباطل قولاً وعملاً، وهؤلاء معبر عنهم بالإمعة فما معنى الإمعة؟ الإمع: الذي يقول لكل أحد أنا معك ولا يثبت على شيء لضعف رأيه وهوان عزيمته وعدم ارتكاز شخصيته على مقومات ثابتة فهو طفيلي يتبع الأثر حتى ولو ساقه الى الخطر، وقد حذر الكتاب العزيز في وقت مبكر من خطرهم كما

(١) سورة المدثر الآية ٤٥.

(٢) سورة المدثر الآية ٤٢ - ٤٧.

حذر المصطفى ﷺ المسلمين أن يكونوا منهم حيث روي أنه خاطب المسلمين - وهذا الخطاب ليس خاصاً لأصحابه إنّما لكل مسلم على امتداد الزمن كله - قال ﷺ: (لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا)^(١)، وطنوا أنفسكم أي املوها على العمل المختار بعقلانية اتخذوا الموقف السليم، وفي النص النبوي أكثر من إشارة قيمة نشير إليها فيما يلي^(٢):

١- **النهي عن الاتباع السلبي:** لا تكونوا إمعة تحسنون مع المحسنين وتظلمون مع الظالمين بحجة أن هكذا يفعل كل الناس، كيف تقول هذا ونحن نقرأ في القرآن الكريم الذي يدعونا الى عدم الوقوع أسارى في شباك العقل الجمعي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٣)، عليكم أنفسكم أي الزموها لئلا تنفلت وتنزلق مع المنزلقين أو تنحرف مع المنحرفين ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه)^(٤).

٢- **الإعداد التربوي والتثقيف الذاتي لتحمل المسؤولية:** الموقف الحر احساناً مع المحسنين ورفضاً وممانعةً للإساءة مع

(١) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٤١.

(٢) الإمعة أو المعية في الصحبتين ص ٣٠ لمؤسسة البلاغ.

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٥.

(٤) ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٨٧٦.

المسيئين كما أوصى المرتضى عليه السلام ولديه العظيمين الحسن والحسين عليهما السلام : (كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)^(١)، فكل منا - مهما كانت أذاره - مسؤول عن مواقفه واختياراته ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢)، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(٣).

٣- الإشادة بالعقل الحر المستقل المستنير بنور الحق في التمييز بين الصالح والطالح، وما بين الفاسد والنزيه، فاحرص على الأول وانبذ الآخر، ومما ينسب من بديع شعر لمولانا إمام المتقين عليه السلام:

إذا المشكلات تصدين لي كشفت حقائقها بالنظر
ولست بإمعة في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر^(٤)
وهذا نفس المفهوم الذي تدعو إليه ثقافات الشعوب اليوم في أمثالهم:
لا تكن واحداً من المليون بل كن واحداً في المليون، أي لا تكن غائباً
مغموراً في خضم المجموع، بل كن متميزاً متفوقاً في أي محيط
اجتماعي أو عملي تتواجد فيه.

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٥٦.

(٢) سورة الصافات الآية ٢٤.

(٣) سورة القيامة الآية ١٤.

(٤) أمالي الطوسي ص ٥١٤.

وهناك نظرية تقابل منطق الامعة والالفة الآبائية تسمى نظرية العقل الجمعي من النظريات الاجتماعية التي تتلخص في أنَّ كل جماعة تتألف من عدد من الأفراد ولكنها من الناحية النفسية ليست في المجموع الحسابي أو العددي لأفرادها، وعلماء الاجتماع يرون أنَّ الجماهير الكبيرة لها عقل جمعي مختص بها يعد أخط أنواع العقل من حيث طريقة الاستجابة للأحداث لأنَّه ينزل بأصحابه الى مستوى الصفات المشتركة التي تجمع بينهم وهي في الغالب صفات غريزية الأمر الذي ينتج عنه تعطيل طاقات الذكاء والإبداع فتصبح الجماهير المنقادة للعقل الجمعي محكومة بتحركات تلقائية كثيرة الشبه بالاستجابات اللا شعورية، فالعقل الجمعي إذن هو مجموع العادات والتقاليد والأعراف والمقاييس الجمعية بغض النظر عن مصادرهما ومدى صحتها وهو ليس سلبياً كله بل له أهمية خاصة في تحقيق التوازن والتماسك خاصة في مجتمعات الاسرة والعشيرة والحزب والدولة ويعدّه علماء الاجتماع من أهم مؤسسات الضبط الاجتماعي لما له من هيبة أو سلطة يؤدي الخروج عليه الى ردة فعل غير مناسبة ورُبّما أعتبر تمرداً أو شذوذاً أو نشازاً، لكن لا بُدَّ أن تكون العادات والتقاليد ضمن ضوابط وانطلاقات علمية سليمة، وعلى المتبع أن يكون منقاداً ضمن معايير صحيحة وليس بانصياع غير واعي وكمثال على ذلك خذ - مثلاً - ظاهرة التصفيق كأسلوب شائع من أساليب التشجيع والاستحسان، فهل نعتبر حرارة التصفيق وحدها دليلاً كافياً على الجودة والبداعة؟ إنَّ بعض المصنفين قد يكونوا مزروعين في

..... بقلم السيد حسن الياسري

المسارح والقاعات والاجتماعات السياسية والأدبية فتراهم أول من يصفق بحرارة من أجل أن يتبعهم باقي الجمهور في موجة تصفيق حارة أو باردة في محاولة للمسايرة والمجاملة.

وهكذا نرى في بعض الاستديوهات أو الفضائيات مع رفع موجات الضحك على البرامج الفكاهية باستخدام الضحك الاصطناعي المفتعل عند اللقطات المثيرة له وهي عملية احياء وتلقين المشاهد أن هذا يستحق الضحك فعلاً والحال إن أذواق المشاهدين مختلفة فليس من الضرورة ما يُضحكك يضحكني وبالعكس.

لعلك شاهدت كيف أن الشياه - قطيع الأغنام - إذا اتجه بعضها الى الماء أو الطعام اتجه باقي القطيع معه حتى وإن لم يكن عطشاً أو جائعاً وقد تناسق تحت وقع الأقدام أو الأجراس المعلقة في رقابها الى الذهاب الى المسلخ دون أن تعلم أنه يُراد بها الذبح.

وقد أطلق البعض على هذه السلوكية المجتمعية (بالحشوية) كالجاحظ لأن أصحابها لا ينتفعون بما يتعلمون بل تتحول عقولهم مثل الليف الذي تُحشى به الوسائد.

هناك أسئلة مفصلية تتعطل عند الامعات من قبل: من أين؟ والى أين؟ وكيف؟ وماذا؟ ولماذا؟ إنهم يتحولون حركات آلية موجهة بـ (الريمونت كنترول) لا بايعازات العقل وارشادات البصيرة، ويقول

الحق سبحانه في صفة وطبيعة عقلية القطيع مقارنة بصفة المشغل عقله المستفيد من قوله: ﴿فَمَنْ يَمْشِي مُكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، والحكام المستبدون استفادوا كثيراً من هذه السلوكية فهم يفعلون بمواطنيهم وشعوبهم كما يفعل قائد القطيع بقطيعه، يقول المولى جل مجده في استجابة بني إسرائيل - وهم جمع غفير - لفرعون وهو فرد حاكم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٢) والخطر أيضاً كما استنتج بعض من قرأ سلوكية عقلية الجمع أنها تحمل نفسية العبيد الفاقدة لإنسانيتها الراضية بمقام الذل فيمكن انخراطها بسهولة في المشاعر الافتراضية.

وتفيد الدراسات المهمة في ملاحقة سلبيات (عقلية القطيع) وتأثيرها المجتمعي المدمر أنَّ وسائل الاتصال الإلكتروني مثل الفيس بوك وتويتر وبلاك بيرى ساعدت لدرجة كبيرة في صناعة هوية مشتركة ليست دائماً صالحة أو ايجابية.



(١) سورة الملك الآية ٢٢.

(٢) سورة الزخرف الآية ٥٤.



معالجة غرور النفس والغضب النفسي:

من رحيق مولانا زين العباد عليه السلام: (اللهم هب لي معالي الأخلاق،
واعصمني من الفخر)^(١).

في الأخلاق جهد ورياضة وتمارين متواصل، والأخلاق إذا كانت
مدعاة للامتنياز والتفاخر والغرور فإنها تُفسد بدلاً من أن تُصلح، قال
تعالى لنبيه داود عليه السلام: (يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين قال:
كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال: يا داود بشر المذنبين أي
أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنه
ليس عبدٌ أنصبه للحساب إلا هلك)^(٢)، تشير بعض دراسات التأهيل
النفسي أن ما يزاحم المصدر بالنسبة لنا كبشر هو الأنا التي تمثل الماهية
والكيان كأن تقول: أنا أملك، أنا ما أفعل، أنا سمعتي، أنا مختلف عن
الآخرين، أنا الحق، عن جابر بن عبدالله قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله في دين كان
على أبي فدققت الباب فقال صلى الله عليه وآله: من ذا؟ فقلت: أنا، فقال صلى الله عليه وآله: أنا أنا، كأنه

(١) الصحيفة السجادية الدعاء رقم ٢٠.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣١٤.

كرهها^(١)، أي مستنكراً مستهجنأً مقولة أنا المعبرة عن الذات، وفي القرآن المجيد نسمع هذه النبرة ذاتها: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾^(٢)، فهو يفخر أن قدم للإسلام أموالاً كثيرة ناسياً أن الله تعالى هو الذي مكنه ووقفه الى ذلك، قال النبي ﷺ لأبي ذر: (يا أبا ذر أنت رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدي، قال: في الله؟ قال ﷺ: في الله، قال أبو ذر: مرحباً بأمر الله)^(٣)، فالخير عنده ما اختاره الله حتى وإن بدا في الظاهر أمراً سلبياً وبهذا تكون ارادته هدى لإرادة الله جل مجده لا هدى لأهوائها ونزواتها وانحرافاتهما، ومن بين الوصايا للذين تتضخم لديهم حالة الأنا فقد يصف له علماء النفس الالتزام بالقاعدة السادسة، فما قصة هذه القاعدة؟ يذكر بنيامين زاندر في كتابه فن الممكن: جلس اثنان من الوزراء في احدى الغرف لمناقشة بعض شؤون الدولة وفجأة دخل عليهم رجل في حالة هياج وأخذ يصيح ويدق على المكتب بقبضة يده فعاتبه الوزير المقيم وذكره قائلاً برجاء: تذكر القاعدة السادسة يا بيتير وفجأة استعاد بيتير هدوءه وأعتذر وأنسحب وما أن واصل الوزيران حديثهما حتى قاطعتهما سيدة في حالة هيسيرية فقاطعها الوزير قائلاً مرة أخرى: ماري أرجوكِ تذكري القاعدة السادسة فنزلت السكينة عليها وانسحبت معتذرة، هنا سأل الوزير الضيف الوزير المقيم: إنّي رأيت الكثير في حياتي ولكنني لم أرى شيئاً كهذا من قبل هل لك أن تُفصح عن سر

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٨.

(٢) سورة البلد الآية ٦.

(٣) الاحتجاج ج ١ ص ٢٢٥.

القاعدة السادسة؟ فأجابه الوزير قائلاً: إِنَّهُ أمر بسيط للغاية: القاعدة هي: "لا تنتظر لنفسك وكأَنَّك أهم شخص بالوجود" قال الضيف آه إِنَّهَا قاعدة ذهبية^(١)، ولهذا ما يناظره في ثقافتنا الإسلامية التربوية فإذا حدثتك نفسك بأنك الأهم فتذكر بأن: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وإِنَّهَا تخدمك وتريد توريطك وإيقاعك في فخ الغضب لأتفه الأسباب، وتذكر دائماً بدائع أقوال قطب سفينة العارفين رحمه الله: (إِيَّاكَ والإعجاب بنفسك والثقة بما يُعجبك منها وحُب الاطراء فَإِنَّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليحقق ما يكون من إحسان المحسنين)^(٣)، وقال رحمه الله: (العُجب عنوان الحماقة)^(٤)، كما ورد أَنَّهُ إذا أمتدح الإنسان المؤمن عليه أن يقول: (اللَّهُمَّ اجعلني خيراً مما يظنون، وأغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون)^(٥)، وورد دعاء لمولانا زين العباد رحمه الله: (ولا ترفعني في الناس درجةً إِلَّا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً إِلَّا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها)^(٦).

(١) العيادة النفسية ص ٤٤.

(٢) سورة يوسف الآية ٧٦.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ج ١٢ ص ١١٩.

(٤) خمسون درساً في الأخلاق للشيخ عباس القمي رحمته الله ص ١٥.

(٥) مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٥٣٢.

(٦) الصحيفة السجادية الدعاء رقم ٢٠.



الحسد في علمي النفس والطاقة:

قال الحق جل مجده: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(١).

ابتدأت السورة بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أي قل يا رسول الله أعوذ وأعتصم برب الفلق يعني الصبح، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر جميع المخلوقات وأذاها، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، يعني الليل شديد الظلمة إذا دخل وتغلغل، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، يعني من شر الساحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عُقد بقصد السحر، ومن شر حاسد مبغض للناس إذا حسد على ما وهبهم الله من نِعَم وأراد زوالها عنهم وإيقاع الأذى بهم، ومحل كلامنا في الحسد فقد عُرف في اللغة: يقال: (وحسده تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما)^(٢).

وفي الاصطلاح: تمنى زوال نعمة المحسود، لقد وردت كلمة الحسد في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة كقوله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ

(١) سورة الفلق الآية ٥.

(٢) القاموس المحيط ص ٢٧٧.

الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ»^(١)، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾^(٤)، فكان عدم السجود هو الحسد، وقال سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾^(٥)، ومن مصاديق قتل قابيل لأخيه هو الحسد، وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾^(٦)، والكيد جاء نتيجة الحسد.

ولعلم النفس نظرية حول الحسد حيث يقول الدكتور الأمريكي في جامعة نيويورك يوكي شاراش: "الحسد هو تعبير عن وجود فجوة بينك وبين شخص آخر سواء كنت تريد تقليصها بأن ترتفع أنت لما تظنه موقفاً أفضل أو أعلى أو أن ينزل الطرف الآخر الى مستواك"، ويقول دكتور آخر: "حالة نفسية سلبية تدفع الحاسد الى التفكير بطريقة المقارنة الكارهة للواقع"، كما أن لعلم الطاقة رأي بالحسد، وعلم الطاقة الخفي الذي لا نراه إلا أننا نكشفه من خلال آثار هذه الطاقة الظاهرة التي

(١) سورة البقرة الآية ١٠٩.

(٢) سورة النساء ٥٤.

(٣) سورة الفتح الآية ١٥.

(٤) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٥) سورة المائدة الآية ٢٧.

(٦) سورة يوسف الآية ٥.

تتحرك بسرعة تفوق كثيراً سرعة المادة في موجات تختلف بين الشخص العادي وغير العادي، وكما قام هيروشي الياباني بدراسته بين الشخصين بأن الآخر لديه قدرة وطاقة نفسية داخلية تجعله صاحب عين ضارة^(١)، وتتلخص الدراسات في العلم الحديث: حيث تمكن العلم بواسطة أجهزة الاستشعار المختلفة من تسجيل ذبذبات قوية تصدر من مناطق معينة في مخ الحاسد عبر العصب البصري فتنتقل من عينيه طاقة سلبية ضارة لها نفس تأثير أشعة الليزر المحرقة.

وتتلخص أسباب الحسد:

- ١ - إغانة الشياطين بلا استدعاء منه وذلك للشبه الذي يجعل بين الحاسد وبين إبليس فيكون من أعوانه، قال إمامنا الصادق (عليه السلام): (يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنهما يعدلان عند الله الشريك)^(٢).
- ٢ - العداوة والبغضاء والحقد، قال مولانا الصادق (عليه السلام): (الحسد ينشئ الكمد)^(٣).
- ٣ - التعزز والترفع والتعجب، قال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام): (العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد)^(٤).

(١) هناك تفاصيل أكثر للدكتور عبد الهادي مصباح.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٧٨.

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ٦٣٠.

(٤) نهج البلاغة رقم الحكمة ٢٢٥.

٤- الخوف من المزاحمة.

٥- حب الرئاسة والنفس والدنيا.

علاج الحسد:

إنَّ علاج هذا المرض الخطير هو:

١- كثرة الوضوء.

٢- العمل ضد ما تملي عليه النفس الأمارة بالسوء.

٣- القناعة بما رزقه الله تعالى والرضا بما قسم له.

كيفية تجنب الحاسد:

١- كتمان النعمة، قال النبي الأعظم ﷺ: (استعينوا على قضاء

حوائجكم بالكتمان، فإنَّ كل ذي نعمة محسود)^(١).

٢- الرجوع الى تراث أهل البيت ﷺ وأخذ ارشاداتهم فيما يخص

الاستفادة من القرآن الكريم، والأوردة الخاصة، والأدعية

النافعة، والأحراز المؤثرة.





ماهية حرمان ابن الزنا من المناصب الدينية وعقوبة عرض الزاني:

قال مولانا صادق الحقائق رحمته الله: (إنَّ لولد الزنا علامات: أحدها بغضنا أهل البيت، وثانيها أنَّه يحن إلى الحرام الذي خلق منه، وثالثها الاستخفاف بالدين، ورابعها سوء المحضر للناس ولا يسئ محضر إخوانه إلا من ولد على غير فراش أبيه، أو [من] حملت به أمه في حيضها)^(١).

إنَّ من صور الحرام في مواقعة النساء هو الزنا وهو من الكبائر الخطيرة، وهذا الفعل يكون بين شخصين ليسا بحليلين بالذات وبعلم وعمد بالحرمة، والمهم عندنا طرح مبحثين:

(١) الخصال ص ٢١٧.

المبحث الأول: لماذا حُرِّم ابن الزنا من المناصب الدينيّة؟ من تلك

المناصب: (إمامة الجماعة) فقد ورد عن المرتضى رحمته الله قال: (لا يصلين أحدكم خلف المجنون وولد الزنا)^(١).

ومنها: (القضاء والشهادة) فعن أبي بصير قال: (سألت أبي جعفر رحمته الله عن ولد الزنا أتجوز شهادته؟ قال: لا)^(٢).

ومن أهم ما يُطرح في موضوع ابن الزنا أنّه لماذا نصت الكثير من الروايات المعتبرة على حرمانه من هذه المناصب وهو لم يكن مخطئاً بخطيئة والديه؟ والجواب على ذلك^(٣):

أولاً: إنّ الولادة قد تكون جسميّة، كولادة ابن نوح الغريق فقد كانت متحققة، ولكن الولادة الروحيّة كانت منتفية ولذلك قال الله تعالى لنبيه نوح رحمته الله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^(٤).

وقد تكون الولادة روحيّة، كما في الحكمة المشهورة: (رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ) فهو مبنٍ على شكل من أشكال الولادة النفسيّة، وتكون العواطف سبباً لها.

(١) الوسائل ج ٥ باب ١٤.

(٢) نفس المصدر ج ١٨ باب ٣١.

(٣) للاستفادة أكثر تُراجع موسوعة ما وراء الفقه ج ٦ ص ٢٥٥، ورسالة في أحكام ولد الزنا.

(٤) سورة هود الآية ٤٦.

وقد تكون الولادة عقلية، وهي تعلم المفاهيم والعلوم فكل من ربى شخصاً على مجموعة من المعارف فقد ولده.

ومن هنا نفهم أنّ ابن الزنا ذو ولادة معنوية خاطئة.

ثانياً: إنّ ظاهر عدد من الأدلة هو تأثير مكونات الفرد في أول وجوده على كيانه المعنوي، كالنطفة التي خلق منها، وهذه الواقعة كانت منذ البداية خالية من العنصر المعنوي، ولذلك لها التأثير في التكوين النفسي للمولود وتؤدي به الى ضلال القلب وعدم تقبل الهداية المعنوية.

ثمّ لا ننسى أنّه قد يحدث عدم الاهتداء للحق حتى من المولود من الحليين وذلك لمشاركة الشيطان في الواقعة، فقد ورد عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: (يا أبا محمد أي شيء يقول الرجل منكم إذا دخلت عليه امرأته؟ قلت: جعلت فداك أيستطيع الرجل أن يقول شيئاً؟ قال: ألا أعلمك ما تقول؟ قالت: بلى، قال: تقول: بكلمات الله استحللت فرجها وفي أمانة الله أخذتها اللهم إن قضيت لي في رحمها شيئاً فاجعله باراً تقياً، واجعله مسلماً سوياً، ولا تجعل فيه شركاً للشيطان، قالت: وبأي شيء يعرف ذلك؟ قال: أما تقرأ كتاب الله؟ ثمّ ابتدأ هو ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(١)، وإنّ الشيطان يجيء فيقعد كما يقعد الرجل منها ويُنزل كما يُنزل ويُحدث كما يُحدث وينكح كما ينكح، قلت: بأي شيء

(١) سورة الإسراء الآية ٦٤.

يعرف ذلك؟ قال: بحبنا وبغضنا، فمن أحبنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان^(١).

فابن الحلال أحياناً يكون شرك شيطان باعتبار انتسابه الى أبيه والى الشيطان معاً، وابن الزنا خالصاً للشيطان.

ومن هنا نفهم أنّ حرمان ابن الزنا عن هذه الوظائف الدينيّة ليست من قبيل العقوبة عليه وإنّما باعتبار ما أشرنا إليه من سوء الكيان المعنوي، ومن قبيل أنّ هذه الوظائف منوطة شرعاً وعقلاً بمن يحبه الناس ويميلون إليه، ولا ينبغي أن تناط بأناس منبوذين من قبل الآخرين.

وكذلك في هذا الحكم إبعاداً للناس عن الزنا إذ يفكر المرء بعمله قبل انجازه فيترك الزنا رحمة بالولد الذي سيكون منبوذاً اجتماعياً.

ثالثاً: هناك اتجاهان فلسفيان في الفلسفة الإسلاميّة حول الروح نشير الى كل واحد منها بإيجاز:

الرأي الأول: هو ما قرره الشيخ ابن سينا في قصيدته العينيّة حين يقول:

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقأء ذات تعزز وتمنع

(١) وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ١٣٥.

محجوبة عن كل مقلة عارف

وهي التي سفرت ولم تتبرقع^(١)

إنَّ الأرواح على مستويات مختلفة في الإيمان أو الفساد، وأهم أسبابه هو سلوك الروح يوم الميثاق يوم قال الله تعالى للنبي آدم ﷺ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢)، فمن الأرواح من بادر بالجواب، ومنهم من تباطأ، ومنهم من تأخر، ومنهم من قال على مضض، ومنهم من لم يجب أصلاً، ومن هنا تراوحت الأرواح فمنها روح عليا ومنها روح سفلى، وعلى هذا الرأي فإنَّ الزوجان إذا كانا صالحين وذكر الله عند الواقعة وكانا على وضوء أرسل الله تعالى الروح الصالحة الى الجنين، من العالم الأعلى أما لو كان الوطء من الحرام ونحوه فإنَّ الروح الفاسدة تنزل على الجنين من العالم الأسفل لأنَّ المورد الرديء لا يتحمل إلا ذلك.

الرأي الآخر: هو ما قرره صدر المتألهين في كتابه الأسفار الأربعة من أنَّ "الروح ماديّة الحدوث وروحانيّة البقاء" هناك قاعدة عامة عند الفلاسفة تقول بضرورة التناسب بين العلة والمعلول من حيث العدد من جهة، ومن حيث النوعيّة من جهة اخرى، فالعلة الحلوة المذاق تنتج معلولاً حلو المذاق، ولا يمكن أن تنتج معلولاً حامضاً، وبما أنَّ الزنا عمليّة رديئة وخاطئة إذن فهذه العملية ستكون علة خسيصة لإنتاج الولد.

(١) تاريخ الفكر العربي ص ٣٣٥.

(٢) سورة الاعراف الآية ١٧٢.

المبحث الثاني: هل الزاني يعاقب في عرضه؟

وردت روايات في مصادر الخاصة والعامة توحى بأنَّ الزاني سيعاقب في الدنيا بصلة رحمه، وكنموذج على ذلك:

١- روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أوحى الله الى موسى عليه السلام لا تنزونا فتزني نساؤكم ومن وطئ فراش امرئ مسلم وطئ فراشه، كما تُدين تُدان)^(١).

٢- ما روي عن العامة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (البر لا يُبلى، والاثم لا يُنسى، والديان لا ينام، فكن كما شئت، كما تُدين تُدان)^(٢).

بالنسبة للروايات الواردة عن الإمامية فبعضها ضعيف السند، وهكذا عند أبناء العامة فقد اختلفوا في صحتها وعدمها، أمّا بالنسبة للروايات الصحيحة فهي لا تعارض ما ورد في القرآن الكريم كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(٣).

فمفاد الآية هو حصر تبعات الذنب بذات النفس التي ارتكبت ذلك الذي لا يتعدى الى غيره، وهذا ثابت بحق ابن الزنا أيضاً فهو لا يعاقب

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٥٣.

(٢) شرح مسند أبي حنيفة ص ١٩٤.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٤.

بجريرة أبويه، ولكن تنتظر الروايات الى امور من باب الارشاد نلخصها
بالنقاط التالية:

١- إنَّ كثير من الموارد الحيائيَّة نحتاج بها الى التسديد الإلهي
والتوفيق الرباني، والتوفيق يأتي لمن هو قريب من الله تعالى
وبما أنَّ الزاني يقترف الفواحش وفي حالة العصيان فإنَّه يُسلب
منه التوفيق ويُخذل في اختيار الزوجة الصالحة أي إنَّه يتزوج
من امرأة فاحشة بذاتها.

٢- الفاعل بالزنا يفتح المجال أمام عائلته بما يسمى بالانفتاح، ويكون
الزاني عديم الغيرة وبما أنَّه لم يهتم بتربية بناته على المبادئ
الحقة فإنَّه من المحتمل أن تفعل ما وعت عليه عند أبيها.

٣- إنَّ الذي يزني مرة واحدة ويتوب فلا عليه شيء، أمَّا المكثّر فإنَّه
قلل قبح الفعل المشين، وفتح هذه الفاحشة ستنتشر الرذيلة حتماً
وعائلة الزاني ليست ممن لها العصمة، فإذا كانت القابليَّة موجودة
وترى الباب مفتوح فإنَّها ستعصي، فرسالة الروايات أنَّه حاولوا
الحد من نشر الحرام لكي لا يقع مراهقيكم في شباك الحرام.





التفاؤل والتشاؤم في الطب الديني والنفسي:

قال الحبيب المصطفى ﷺ: (تفاءلوا بالخير تجدوه)^(١).

المعالج الديني للمتشائم دائماً يقول له: تفاعل بالخير تنجح ولا ترم بذنبك على ما لا ذنب له، يُعرّف التشاؤم بأنه نزعة اعتبارية في الذهن الى رؤية كل شيء أسوداً، وأخذ الجانب السيء من كل شيء وإهمال ما عداه، وإنّ المتشائم لا يستقي من الحياة غير المرارة ولا يراها إلاّ بنظارات قاتمة تعتم الرؤية حتى على المنير والمضيء والمشع، حتى أنّ التشاؤم ينزع بصاحبه الى استلذاذ الكآبة أو التلذذ بالألم فهو ليس ضحية الحظ العاثر والدسائس والمؤامرات بل ضحية طبعه المريض الذي يرتع في البغض الذي هو بدوره وليد الكآبة والمغالاة في الحساسيّة، والصحة النفسيّة لا تدعو الى التفاؤل الأبله لأنّه لا فرق بين متشائم لا يرى غير الأسود من ألوان الوجود ومتفائل لا يرى غير الأبيض فكلاهما - في نظرهما - أعور لا فرق في العور إن كان في العين اليمنى أو اليسرى، إنّها تدعو الى التفاؤل الجاد المنقذ الذي يخلّصك من الأفكار السوداء

(١) ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٣٥٣.

ويوجهك نحو العمل الإيجابي المثمر بعدما تزن كل شيء بدقة وتحكم عليه بعدل واعتدال وتُصلح نظرتك للأمور، يوصف المتفائل عند أهل الصحة النفسية بأنه يحتفظ في حالة الصحو في نفسيته وأنه مبتسم حتى في حالات الخيبة والفشل لا لأنهما يدعوان الى الابتسام فليس ذلك من عاداتهما بل لأنه ينظر الى الجانب الآخر منهما فيراه صحوً ويقارن بين ما كان وما يمكن أن يكون وبين الأشد سوءاً والأقل سوءاً، ولذا نرى مولانا سيد الموحدين رحمته الله في معركة صفين عندما رفع معاوية المصاحف على رؤوس الرماح فانخدع الجيش وطوّق الإمام رحمته الله وطلب منه وقف الحرب فوراً فاعترضهم ونصحهم وبَيّن لهم أنها خدعة فلم يقبلوا فكان الإمام رحمته الله بين (شرين) أما أن يرفض وقف الحرب فيحصل انشقاق خطير في الجيش واقتتال داخلي ويتحول من نصر الى هزيمة أو يقبل بوقف الحرب فيضيع نصراً كاد أن يتحقق وكلاهما مران مؤلمان فاختر ماضطراً وقف الحرب والقبول بالتحكيم لأنه أهون الشرين وقال رحمته الله: (ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الشرين)^(١).

ريتشارد برانسون - مالك شركات فريجن - زار أحد فروع شركاته فجأة ووجد أحد الموظفين نائم فصور بجانبه صورة ونشرها على حسابه معلقاً: "لكي تبقى شركتنا رقم واحد في إرضاء العملاء عمل هذا

(١) موسوعة العقائد الإسلامية ج ١ ص ٢٦٣ للشيخ محمد الريشهري.

..... بقلم السيد حسن الياسري

الموظف - الذي التقط معه الصورة - حتى التعب مما اضطره للراحة قليلاً"، وبهذا كسب حب واحترام العملاء وكذلك ولاء واخلاص الموظف بسبب حنكته في الإدارة.

ولذا يعطينا المصطفى ﷺ في بديع حديثه لفتةً علاجيةً عمليةً رائعة وهي أنَّ أحلامك قابلة للتحقق وذلك ما يلتفت إليه الطب النفسي الكلينيكي اليوم أيضاً من أنَّ كل شيء هو ما تنتظر إليه لا ما هو في الخارج.

يقول الشاعر البغالي (طاغور) في احدى قصائده:

لقد نمْتُ وحلمْتُ بأن الحياة بهجة وصحيت ورأيتُ ان الحياة خدمة
فنظرت الى الخدمة على انها بهجة

وإذا أردنا تحليل هذا الشعر فإنَّ (حلم البهجة) أمر لا ارادي لأنَّه حصل في النوم، وإنَّ مفهوم (الحياة خدمة) رؤية عقلية (فكرة) أو (مشروع)، وإنَّ معادلة (الخدمة = بهجة) تحويل الحلم الى حقيقة، وإذا قُدر لي أن أكون متفائلاً وقد اتخذت قراراً بذلك فإنني يمكن أن أنتج أو أولد الكثير من الصور المتفائلة على الطريقة الطاغورية فمثلاً: حلمْتُ بأنَّ الجنة (بهجة) صحوت رأيتُ أنَّ الجنة (العمل بما ينفع الناس ويحقق محبتهم) فنظرت الى العمل الصالح بأنَّه جنة.

حلمت بأنَّ (العطاء) بهجة صحت رأيت أنَّ العطاء هو (الاحسان
الى الآخرين) نظرت الى الإحسان على أنَّه بهجة، وبهذه الطريقة يمكن
أنْ تحوّل عالمك الداخلي الى مملكة بهجة.





انهيّارات آخر الزمان:

قال الحق جل مجده: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^(١).

كلما يتقدّم الزمان كلما تأتي الضرورة لقراءة الواقع بصورة دقيقة ويُنظر للتقلّبات والتغيّرات الشاملة، فدراسة العصر الذي يعيش فيه الفرد وما سترك تلك الانهيّارات النفسيّة والعقليّة والتغيّرات المختلفة، تجعله مهياً لبداية عصر جديد مغاير، وقد منّ الله علينا بكتابه العزيز الذي أسس من خلال دراسة أحوال الكون وساكنيه، ثمّ أرسل إلينا نبيه الأعظم ﷺ وعترته الطاهرة ﷺ ليبينوا كيفية معرفة أحداث زمان كل واحد منا حسب جيله ليكون على بصيرة من أمره، ومما يلتفت إليه أنّ هذا المبحث الذي أشرنا إليه هو حاجة فطريّة وعقليّة، ولذلك ترى حتى علماء الغرب قد اهتموا بدراسة الواقع وأحداث المستقبل، بل اعتقد بعضهم أنّ التأمّيل للنظريات العلميّة كما للكتاب العزيز، فخذ مثلاً الكاتب الفرنسي موريس بوكاي صاحب كتاب (دراسة الكتب المقدسة

(١) سورة العصر الآيات ١ - ٣.

في ضوء المعارف الحديثة) حيث اعتقد أنه لا تناقض مع المعارف العلمية الحديثة وبين المعارف القرآنية.

وقد قام صاحب كتاب هشاشات القرن الحادي والعشرون^(١) بالمقارنة بين ما تحدّث به القرآن الكريم والعنزة الطاهرة ﷺ عن آخر الزمان والإنسان الأخير - كنموذج - وبين ما تحدّث به المفكر الفرنسي جاك أتالي، ونأخذ بعض الأمثلة في ذلك:

بين التأصيل النبوي والتوضيح الحداثي:

تحدّثت الأحاديث الشريفة كثيراً عن آخر الزمان كقول المصطفى ﷺ: (سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يُصدّق فيها الكاذب، ويُكذّب فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة)^(٢) قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه ينطق في أمر العامة)^(٣).

(١) العلامة السيد كامل العاشمي البحراني، ومنه استفدنا بعض البحث المطروح.
(٢) تحدّث الفكر السياسي عن ذلك بمصطلح (عودة الأبله)، ويعني الفيلسوف الكندي دونو الحياة الحالية في كتابه (نظام التفاهة) قائلاً: "بعد أن حسم التافهون المعركة وسيطروا على عالمنا وباتوا يحكمونه...."

صارت التفاهة نظاماً كاملاً على مستوى العالم، المهنة تحولت الى وظيفة للبقاء بدلاً من أن تكون عشقاً وشغفاً، صار كل شيء لإرضاء حاجات السوق، صارت الشركات تمول الجامعات ثمّ تستفيد من عقول خريجها لتزداد ثراءً". (المصدر: الروحاني الأخير ص ٤٣).

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٥.

أما جاك أتالي فقد عرّف ذلك بقوله: (الهشاشة: هي ميزة عامة للأوضاع، والأدوات، والمساكن، والمؤسسات، والوظائف، والعلاقات الاجتماعية، والأزواج، والمهن، والمشاهير، والكتب، والتحف الفنيّة، والمعلومات، والذاكرات، والثقافات، والأمم)^(١).

وسنذكر بعض النماذج فيما يلي إن شاء الله تعالى:

مستقبل الاسرة والعائلة:

عن مولانا إمام المتقين رحمته الله قال: (إذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء تعرضوا لدخول الوهن عليهم، وشماتة الأعداء بهم وهي: ترك الحسد فيما بينهم، لنلا يتحزّبوا فيتشتت أمرهم، والتواصل ليكون ذلك حادياً - أي يسيرهم - لهم على الألفة، والتعاون لتشملهم العزة)^(٢).

الاسرة والقرابة وعلاقة النسب والمصاهرة هي العلاقة الأساسية التي تقوم بمهمة الربط بين أفراد المجتمع.

وفي آخر الزمان يُعمل وبكل دقة من قبل المتسلطين والأعداء بتدميرها لكي لا يكون لها دور فاعل.

وقد ذكر صاحب المعجم في هذا الشأن بقوله: "سينفصل الجنس تدريجياً عن عملية الإنجاب حالما تصبح الحبة الذكريّة متوافرة"

(١) هشاشات القرن الحادي والعشرون ص ٧.

(٢) تحف العقول ص ٣٢٣.

و"سيتيح الاستنساخ الحصول على أولاد من دون شريك جنسي، ويكون المستنسخ عندئذ شقيق والده ووالدته".

انهيار الممارسة السياسية:

رصد النبي الأعظم ﷺ طبيعة التحولات الخطيرة في المجالس السياسية، وأنها ستغدو ممارسة هشة، ولن يقوم المسؤول بمهمته الأساسية في حماية الشعب واحقاق العدل بينهم، وتوفير الخدمات لهم، فقد قال ﷺ: (يا سلمان إنَّ عندها امراء جوررة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة)^(١).

ويقول صاحب المعجم: "لن تغيب المغامرات السياسيّة عن الساحة وستكون أكثر تعقيداً".

السلام النفسي المفقود:

في آخر الزمان يعيش العالم حالة من فقدان الأمن، وهلع يؤثر سلباً على الجانب النفسي والأمني والاجتماعي، وفي هذا الصدد يقول سيد الأنبياء ﷺ: (يا سلمان فعندها يليهم أقوام إنَّ تكلموا قتلوههم، وإنَّ سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم، وليطؤون حرمتهم، وليسفكنّ دمائهم،

(١) بحار الانوار ج ٦ ص ٣٠٦.

ولتملأَنَّ قلوبهم رعباً فلا تراهم إلاَّ وجلين خائفين مرعوبين
مرهوبين^(١).

ويقول صاحب المعجم: "الهلع يحافظ على ذاته بذاته، وهي إحدى
ميزاته الأشد رعباً، ذلك أنَّ الهلع يستمد قوته من ذاته، ولَمَّا كان الهلع
يكافئ من يستسلم له ويعاقب من يقاومه، فهو يتغذى من نتائجه ولا يقف
عند حد مثل الحريق، إلاَّ بعد اتلافه جميع المواد القابلة للاشتعال،
واستهلاك جميع المكاسب".

ومجمل الأوضاع ستؤدي الى انتشار مزيد من الانهيار العصبي
والنفسي.

الحركة النسوية:

شدد الإسلام على الرجال بإعمال الغيرة على أعراضهم، وشدد على
المرأة بالعفة والحياء، ومن أهم الحفاظ على تلك المقدمات عدم تغلغل
المرأة في السلطة والأسواق لكي تحافظ على شرفها وإيمانها، ويحدثنا
المصطفى ﷺ عن الانهيارات الأخلاقية في آخر الزمان بقوله: (فَعندها
إمارة النساء ومشاورة الإماء.... وعندها تشارك المرأة زوجها في

(١) المصدر السابق ص ٣٠٧.

..... بقلم السيد حسن الياسري

التجارة.... ويركبن زوات الفروج السروج فعليهنّ من أمتي لعنة الله....
وعندها يكثر الطلاق،.... ويكثر أولاد الزنا^(١).

ويقول صاحب المعجم: "سيكون القرن الحادي والعشرون انثوباً
على غرار القرن الثامن عشر.... سيغدو وضع النساء لا يطاق ودورهنّ
الاجتماعي والاقتصادي حاسماً".

الحركة الصحيّة والأمراض العامة:

عندما يتخلّى الإنسان عن المسار الصحيح، لاسيما المسار الديني
والروحي فإنّ لذلك أثر فادح، ونرى في عصرنا الحاضر تفشي الذنوب
والباطل في الكثير من أروقة المجتمع وبالتالي فإنّ هناك سنّة كونيّة ثابتة
بأنّ البلاء نتيجة المعاصي ولذلك يقول مولانا الرضا رحمه الله: (كلما أحدث
العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون يحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا
يعرفون)^(٢).

وهذا الأمر بات واضحاً فقد برزت الكثير من الأمراض التي لم يكن
يعرفها الإنسان السابق، ولذا يقول المفكر الفرنسي جاك أتالي في كتابه
المعجم: "بين الاثنين والخميس مليوناً من البشر المتوفين في عام
١٩٩٦م، هناك ١٧ مليون توفوا من جراء أمراض جرثومية، و١٥م

(١) المصدر السابق.

(٢) بحار الانوار ج ٧٠ ص ٣٥٤.

الاضطرابات في الدورة الدموية، و٦ من السرطان، و٣ من آفات تنفسية، وسيتضاعف أيضاً بشدة".

الكوارث البيئية:

قال الحق جل مجده: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

تعطي الآية الكريمة معنى بروز الفساد بعد خفائه، ويصبح الفساد حالة عامة، وبالتالي يأتي الجزاء لهذا الفعل ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ ولذلك سيتغير المناخ وتظهر الفيضانات والزلازل وغيرها، ويكلمنا بهذا الشأن فريد زكريا: "إنني مقتنع تماماً بالأدلة على أن التغيير المناخي هو تغيير حقيقي وخطير فمن بين السنوات الـ ١٢ الأعلى حرارة المسجلة حتى الآن".

الصراعات الطائفية:

قال الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^(٢).

عندما تشيع المنازعات ويثار النفس الطائفي، حينها يكون هناك مجال حيوي للصراع والعنف، ولذلك يتحدث قاموس بنغوين للعلاقات الدولية عن الصراع الطائفي بالقول: "إن الصراعات بين الجماعات

(١) سورة الروم الآية ٤١.

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٦.

والدول والأمم والجماعات الاثنية شائع في العلاقات الدولية، على أنه إذا أصبح صراع طائفي مزمنًا ومتواصلًا فإنَّ ديناميته قد تؤدي الى حرب أهلية وحتى الى تدخل خارجي".

التدميرِيَّة البشرية:

قال المولى تبارك وتعالى: ﴿فَأَنذَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١).

ومما يُلاحظ في آخر الزمان التدميرِيَّة البشرية في ظل التوازن الاستراتيجي المفقود، وقد تحدّث مجموعة من مفكري الغرب حول الموضوع فمثلاً:

❖ أريك فروم: يحلل ظاهرة التدميرِيَّة البشرية بأنها نزعة غدت مستحكمة في إنسان العصر، والتي ترسخت في الواقع العالمي الحاضر.

❖ الكسندر بانارين: يحللها بأنها تأصل كحالة بسبب طغيان القطب الأمريكي الواحد بعد غروب شمس القطب السوفيتي الآخر.

❖ نعومي تشومسكي: ويسمّيها بالنزعة الإنسانيَّة العسكريَّة الجديدة.

(١) سورة الحشر الآية ٢.

❖ صمويل هنتغتون: يُعبّر عنها في سياقها العالمي بصدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي الجديد.

الانتكاس النوعي^(١):

هناك الكثير من الروايات التي تتحدث عن صورة المستقبل ومنها ما يخص القضايا الشهويّة حيث يذكر لنا مولانا صادق الحقائق ﷺ بقوله: (ورأيت الرجال يتسمنون^(٢) للرجال والنساء للنساء، ورأيت الرجل معيشته من دبره ومعيشة المرأة من فرجها،.... وتتوفس في الرجل وتغير عليه الرجال)^(٣).

يقول الدكتور فاخر عاقل: "المثليّة الجنسيّة، صفة الانعطاف الإنساني نحو إنسان من جنسه" ويوضحها الدكتور عبدالمنعم الحنفي: "هي أن يأتي الذكر مثله أو تضاجع الأنثى أنثى مثلها".

(١) لفائدة ندرج البحث التالي بإيجاز: يشير الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولا تقل ص ٨٤) أنّ تسمية الشذوذ الجنسي والانحراف الجنسي من أسوء الترجمة الفاسدة من اللغات الفرنسيّة والإنجليزيّة، فالبشر جنس والذكورة منه نوع والانوثة منه نوع، والجنس أعم من النوع والنوع أخص من الجنس، وفي اللغة العربيّة ما يغني عن هذا الاستعمال)، وينقل الدكتور عبدالمنعم الحنفي في الموسوعة النفسيّة بقوله: (ويفرق علماء النفس بين العلاقات الجنسيّة والعلاقات التناسليّة، حيث يقصرون العلاقات التناسليّة على ما كان منها يستخدم الأعضاء التناسليّة، أمّا العلاقات الجنسيّة فهي أشمل وقد يكون منها ما هو صريح تناسليّاً، كما قد يكون منها ما هو غير مباشر كما في علاقات الصداقة).

(٢) أي يستعملون الأغذية والأدوية للسمن ليعمل معهم القبيح، قال في النهاية: فيه: " يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون" أي يتكثرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف، وقيل: أراد جمعهم الأموال، وقيل: يحبون التوسع في المأكّل والمشارب وهي أسباب السمن.

(٣) مقتبس من حديث طويل للإمام الصادق ﷺ رواه الكليني في الكافي (ج ٨ ص ٣٦ - ٤٢).

وجاء في نفس المصدر: تبيح بعض دول أوروبا وأمريكا الجنسيّة المثليّة وأصدرت من التشريعات ما لا يحظرها، وتمارس الآن فيها بشكل علني، ولو أحصينا في التاريخ الأوروبي عدد العظماء الذين كانوا يمارسون اللواط لهالنا العدد والأسماء، ومنهم فيرجيل، وأوفيد، ولورد بيرون، وفرانز كافكا، وأندريه جيد، وبودلير، وجان جانيه، وكل هؤلاء عبّروا عن أدبهم بشكل صريح عن ميول جنسيّة مثليّة وامتدحوا اللواط^(١).



(١) الموسوعة النفسيّة الجنسيّة ص ٧٤٩.



مصير أصحاب الأعمال الصالحة

دون التوحيد والولاية:

قال الحق جل مجده: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

هناك سؤال يتناقل في كتب الفلاسفة الإلهيون وعلماء الكلام وهو ما مصير غير المسلم الذي عمل أعمالاً إنسانية؟ ونفس السؤال على مستوى المذهب وهو ما مصير غير الشيعي الذي لم يوال أهل البيت عليهم السلام لكنه لم يضر أحداً؟ فإذا كان المقياس العمل الخارجي فلا فرق أن يكون الإنسان مسلماً أو كافراً، والمسلم لا فرق أن يكون موالياً أو غيره، وإذا لم يقبل العمل مطلقاً لأنه كافر وغير موالٍ كيف يتناسب هذا الأمر مع العدالة الإلهية؟

وأصبح هذا السؤال اليوم على لسان مختلف الطبقات عالم أو جاهل أمي أو مثقف، يقول الشهيد مطهري: "ولا يغيب عن ذاكرتي أن رجلاً

(١) سورة التوبة الآية ١٠٦.

من أهل بلدتي جاء يوماً الى طهران وكان إنساناً مسلماً متديّناً وعندما لقيني ناقشني في هذه المسألة، وكان هذا الرجل قد شاهد في مستشفى للمصابين بالجذام في مشهد الرضا (عليه السلام) ممرضات مسيحيات يقمنّ بخدمات مخصصة للمرضى فتأثّر تأثيراً بالغاً وهيجّه الموضوع ودفعه للتساؤل، وكما تعلمون فإنّ تمرّض الأشخاص المصابين بالجذام عمل شاق، وبمجرد تأسيس هذه المستشفى هناك لم يوافق أحد من الأطباء سوى القليل للعمل فيه وأعلنت الصحف عن حاجة المستشفى الى ممرضات ولكن لم تستجيب ولا ممرضة سوى شابات مسيحيات من فرنسا فجئنّ من بلادهنّ وأخذنّ على عاتقهنّ تمرّض المرضى ونحن لا نريدها أن تبحث عن الدوافع الحقيقيّة الكامنة وراء مجيئ الشابات لتؤكد أنّ مجيئهنّ لله، أو الباعث لهنّ هو الحب الخالص للإنسانية، أو هناك دوافع أخرى خافية علينا؟ وليكن واضحاً أنّنا لا نريد أيضاً أن نكون متشائمين - مع أنّنا لسنا أيضاً متفائلين تماماً - وإنّما غرضنا أن نبيّن كون هذه التصرفات قد أثرت في مجتمعاتنا ولكي نعرف هل سيقدّف الله كل إنسان غير مسلم في جهنم ويدخل كل مسلم الجنّة؟ فلا بُدّ أن نقدّم ملاحظتين^(١):

١- لا يحق لنا أن نعطي رأياً قاطعاً في أي شخص: بالنسبة للشخص الصالح أو الطالح لا نعرف على وجه الدقة ما كانت

(١) رؤى جديدة ج ١٠ ص ٣٠٧ - ٣٥٨.

عليه في الواقع أفكاره ومعتقداته؟ وما هي نيّاته؟ وما هي ملكاته الروحيّة وما هي مجموع أعماله؟ فنحن لم نطلع على شيء سوى خدماته العلميّة أو الإنسانيّة فقط، وإذا سئلنا: أيكون هذا الولي الصالح وهو بكل ما يملك من زهد وتقوى وعلم وعمل صالح من أهل الجنّة قطعاً أم لا؟ وأحياناً نتساءل عن أولاد الأئمة أيّهم أفضل وأعز عند الله؟ ومن الواضح أنّ هذه التساؤلات غير صحيحة والجواب عليها ليس جزءاً من وظيفة الفقيه وغيره، لأنّ تعيين مقامات عباد الله ليس في عهدتنا وإنّما يجب ارجاع ذلك الى الله تعالى، فالعلم الحقيقي منحصر به، وورد أنّ بعض المسلمين أبدوا آراء من هذا القبيل في غير محلها فمنعهم النبي الأعظم ﷺ من الخوض في هذه الأمور، فعندما توفي عثمان بن مظعون جاءت امرأة من الأنصار تسمى (أم علاء) وبمحضر من الرسول الأعظم ﷺ خاطبت الجنازة قائلة: هنيئاً لك الجنّة ومع أنّ ابن مظعون رجل جليل وقد أبكى موته رسول الله ﷺ بكاءً مرّاً وقذف بنفسه على الجثمان يُقبله، لكنه أستاذ من هذا القول الصادر من تلك المرأة، ثمّ قال: من أين تعلمين؟ ولماذا بدون علم تحكمين أوحي إليك؟ فأجابت المرأة: يا رسول الله إنّهُ رفيقك وجليسك وشريكك في الجهاد، فأجاب الرسول بجملة كبيرة تستدعي التأمل: (إنّي رسول الله وما أدري ما يُفعل بي) وتحكي هذه الجملة الآية الكريمة: (قُلْ مَا

كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ^(١)، وهكذا حصل في موت سعد بن معاذ عندما تكلمت أم سعد مخاطبة نعشه بما يشبه تلك الجملة السابقة ردَّ عليها النبي ﷺ: (اسكتي لا تحتمي على الله)، وتتضمن هذه الجملة نهيها عن التدخل في الحكم بشيء متعلق بالله سبحانه.

٢- لا يُقبل دين سوى الإسلام: البحث في أعمال الخير من غير المسلمين على نوعين:

أما الأول: أيكون الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وحده أم هناك أديان أخرى؟

أما الآخر: بعد التسليم يكون الدين الحق في كل زمانٍ واحداً ليس أكثر، أم شروط الظفر بالثواب على العمل الصالح كون العامل له مؤمناً بالدين الحق أم لا؟

أما الجواب على الأول: فإنَّ الدين الحق لكل زمان هو دين واحد ليس أكثر وواجب الجميع أن يتبعوه هو لا غيره، ولكن هناك فكرة رائجة بين مدعي الثقافة، والقاتلة بأنَّ الأديان كلها متساوية لأنها كلها من الله سبحانه وهدفها واحد ومن المؤمنين بهذا الخط الفكري جورج جرداق وجبران خليل جبران وكلاهما أديبان مسيحيان ومشهوران ولهما كلمات كبيرة بحق النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام منها ما قاله جبران خليل:

(١) سورة الأحقاف الآية ٩.

"لقد ولد علي في غير زمانه ولست أدري ما هو السر في أن الدنيا أحياناً تأتي بأفراد في زمان غير زمان"، ويتساءل البعض كيف يكون هؤلاء مؤمنين بالنبي ﷺ والعتره ﷺ ومع ذلك هم مسيحيون؟ لو صدقوا القول لأصبحوا مسلمين وبقائهم على المسيحية يثبت وشعرهم خداع ومكر، والجواب لهم إنَّ الحب والعقيدة التي يبيدها هؤلاء بالنبي والإمام ليست كذباً ولكنهم يتبعون منهجاً فكرياً خاصاً لا يرى مانعاً مع الجمع بين الأديان ولذلك نرى جورج جرداق يقول: "يأبى علي بن أبي طالب أن يلزم أحداً من الناس بقبول دين خاص"^(١)، صحيح أن لا إكراه في الدين، لكن هذا لا يعني أن دين الله متعدد في الزمان الواحد ولكل أحد الحق في اختيار الدين الذي يحلو له، ولذا قال سبحانه في سورة آل عمران آية ١٩: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وفي نفس السورة آية ٨٥ يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ثم على مستوى المذهب فقد تعددت المدارس الإسلامية واختلفت في عقيدتها وفقهها والمقياس في ذلك هو اتباع قول النبي ﷺ الذي أرشد الأمة الى إتباع خلفائه بالحق ممن تتوفر فيهم صفات العصمة والعلم وكمال الإخلاص وهو القائل: (من مات ولم يعرف إمام

(١) الإمام علي تحت عنوان لا تعصب ولا اطلاق.

زمانه مات ميتة جاهلية^(١)، وقد اتفق أبناء الإسلام على هذا الحديث النبوي الشريف ونظيره ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: (كل من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير والله شائن لأعماله.... الى أن قال: وإن مات على هذا الحال مات ميتة كفر ونفاق)^(٢).

٣- الالتفات الى القاصر والمقصر: لا بُدَّ أن نلتفت الى بحث القاصر والمقصر سواء الكافر أو المسلم الذي لم يوالِ إماماً، ولنفترض - على سبيل المثال لإيضاح الصورة - إنَّ شخصاً موجوداً في مكانٍ وحده ولا يزيد طوله على المتر الواحد وكان دواؤه أو طعامه على ارتفاع مترين ولا يملك الوسيلة لتحصيله أو الوصول إليه فإنَّ مثل هذا الشخص يعتبر قاصراً على تحصيل الدواء أو الطعام لشفائه فإذا فقد حياته وهو في حالة العجز فلا يُعد مقصراً بل قاصراً فلا يعاقب ولا يحاسب على فقدان حياته، وبعبارة الإنسان الذي يبلغ طوله مترين وهو يستطيع النهوض لتناول طعامه أو دوائه فإذا بقي جالساً وأهمل انقاذ نفسه ومات بسبب اهماله فإنَّه سيحاسب ويعاقب وبناءً على الفرق سيكون الحساب والجزاء والعقاب^(٣)، ولذا ينقل العلامة

(١) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٦.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٧٥.

(٣) أجوبة الشبهات للشهيد السيد عبدالحسين دستغيب رحمته الله ص ٢٧ - ١١٥، ذكر تفاصيل حول هذا الموضوع.

الطباطبائي رحمته الله ^(١) عن ضريس الكناس أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن حساب القبر وحال من هو من الموحدين المؤمنين بنبوّة محمد عليه السلام لكنه مذنب وليس له إمام ولا يعرف ولايتك فأجاب: (هؤلاء يبقون في قبورهم فإن كانت لديهم أعمال صالحة ولم يناصروا أهل البيت العداء فتحت على قبورهم باب من الجنة فيهب عليهم منها نسيم عطر يدخل السرور في قلوبهم حتى يلاقوا ربهم يوم القيامة فيحاسبهم ويجازيهم على حسناتهم ويؤاخذهم في سيئاتهم وهؤلاء أمرهم مرهون بالباري عز وجل.

وكذا الحال مع المستضعفين والبلهاء والأطفال، والمجنون والأصم والأبكم.

يقول النبي الأعظم عليه السلام بحق عبدالله بن جدعان أحد كفار الجاهلية: (إنّ أهون أهل النار عذاباً ابن جدعان، فقيل: يا رسول الله؛ وما بال ابن جدعان أهون من أهل النار عذاباً؟ قال عليه السلام: إنّه كان يطعم الطعام) ^(٢)، وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: (كان في بني إسرائيل رجل مؤمن وكان له جار كافر فكان يرفق بالمؤمن، ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، فكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له:

(١) حياة ما بعد الموت ص ٣١.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٢٥٦.

هذا لما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق،
وتولييه من المعروف في الدنيا^(١)، ويذكرنا هذا الحديث بما روي
عن إمامنا الصادق عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَارَ أَعْدَاءَهُ أَخْلَاقاً
مِنْ أَخْلَاقِ أَوْلِيَائِهِ لِيَعِيشَ أَوْلِيَائُهُ مَعَ أَعْدَاءِهِ فِي دَوْلَاتِهِمْ) وفي
رواية أخرى: (وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا تَرَكُوا وَلِيّاً لِلَّهِ إِلَّا قَتَلُوهُ)^(٢).



(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٠٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٠١.



فلسفة الخلود في النار:

قال الحق جل مجده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١).

عندما نقرأ في القرآن المجيد الكثير من الآيات التي تتحدث عن عقاب بعض الكفار والأتمين المتمثل بالخلود في العذاب والنار، وفي القبال يعد الله الرجال والنساء من المؤمنين بالجنة خالدين كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٢)، وهنا لا يستغرب لأن بحر رحمة الله واسع وكلما زاد الثواب كان ذلك أدل على رحمته وفضله، لكن بالنسبة للأعمال السيئة كيف يمكن أن يعاقب المرء على سيئات محدودة بعذاب خالد؟ كيف ينسجم هذا المعنى مع العدالة الإلهية؟ ألا يجب أن يكون هناك نوع من التوازن بين الجريمة والعقاب؟

(١) سورة التوبة الآية ٦٨.

(٢) سورة التوبة الآية ٧٢.

•
للوصول الى جواب شافٍ ونهائي لهذا السؤال ينبغي أن نلاحظ
الأمور التالية:

١ - إنَّ العقوبات يوم القيامة لا تشبه كثيراً العقوبات في هذه الدنيا،
كأن يرتكب أحدهم في هذه الدنيا جريمة السرقة مثلاً فيعاقب
بالسجن مدة معيّنة كما في القوانين الوضعيّة، بل إنَّ العقوبات
يوم القيامة أكثر ما تكون بهيئة آثار أعمال الإنسان وخصائصها
يعني إنَّ العذاب الذي يعاني منه المذنبون في عالم الآخرة هو
نتيجة أعمالهم التي اقترفوها، يقول البيان القرآني مصرحاً:
﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)
ولنضرب مثلاً على ذلك: لو اعتاد شخص على تعاطي
المخدرات وكلما نصحوه بترك هذه المواد السامة التي تضر
معدته وتضعف قلبه وتحطم أعصابه لم يجدوا عنده اذنأ صاغية
بل يستمر بذنبه، حتى تظهر عليه آثار قرحة المعدة وأمراض
القلب وانهيار الأعصاب ويبقى ذلك طوال عمره يعاني الآلام
من تلك الأمراض ويئن منها ليلاً ونهاراً فهل يمكن أنْ نعترض
هنا فنقول إنَّ هذا الشخص الذي لم يذنب سوى بضعة أسابيع أو
أشهر كيف يظل يعاني بقية عمره ولسنوات عديدة من تلك
الآلام ليتحمل كل ذلك العذاب؟ لا شك إنَّ الجواب سيكون فوراً:

(١) سورة يس الآية ٥٤.

تلك هي نتائج أعماله أو حتى لو أُعطي عمر نوح أو أكثر وعاش آلاف السنين فإنَّك كلما رأيته يتألم من تلك الأمراض قلت: هذا العذاب هو الذي أنزله بنفسه بمحض إرادته وكامل وعيه، إذن أكثر عقوبات يوم القيامة من هذا القبيل.

٢- من الخطأ أن يظن بعضهم أنَّ مدة العقاب يجب أن تتناسب مع مدة الذنب لأنَّ العلاقة بين الذنب وعقابه ليست علاقة زمنيّة بل تتعلق بكيفيّة الذنب ونتائجه فقد يقتل شخصاً رجلاً بريئاً في لحظة واحدة فيحكم عليه بالسجن المؤبد حسب قوانين بعض البلدان فهنا نلاحظ أنَّ زمن الذنب لم يتجاوز بعض لحظات بينما العقاب يمتد عشرات السنين ومع ذلك لا يعترض أحد على ذلك بأنَّه ظلم وذلك لأنَّ القضية هنا ليست قضية دقائق وساعات بل هي قضية كيفية الجرم ونتائجه، ولذلك يقول بورس فريدريك - من ألمع علماء النفس المولود عام ١٩٠٤م -: "فقد دلت نتائج التجارب التي أُجريت على أنَّ العقاب عادة ما يكون أقل تأثيراً من المكافاة لأنَّه يؤدي إلى كبت مؤقت للاستجابة غير المرغوبة ولا يؤدي إلى اضعافها بل إنَّه بمجرد أن يتوقف العقاب سرعان ما تعود الاجابة المعاقبة للظهور بكل قوتها"^(١).

٣- الخلود في النار والعقاب الأبدي إنَّما يحيق بالذين يغلقون أمام أنفسهم جميع منافذ النجاة ويغرقون عن عمد ووعي في الفساد

(١) سيكولوجيا الشخصية ص ٢٤١ للدكتور ثائر غباري والدكتور خالد محمد.

والكفر والنفاق بحيث إنَّ ظلام الإثم يغطي جميع أرجاء وجودهم حتى يصبحوا كتلة من الكفر والعصيان ولذا نجد في التعبير القرآني الرائع: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

وهؤلاء هم الذين قطعوا كل صلة لهم بالله، وهم أشبه بالطائر الذي يقوم عمداً بكسر أجنحته واحراقها فيمسي مجبراً على المكوث على الأرض دائماً محروماً من التحليق في أجواء السماء العالية^(٢).

إذن الخلود في النار جاء بعد ابلاغ الرسل والأنبياء فهو نتيجة الأعمال المشؤمة أمّا الذين يرتكبون الذنوب من باب الجهل فعقابهم لا يكون بتلك الشدة وكذلك لا بُدَّ من القول بأنّه يستفاد من الآيات والروايات أنّ بحر رحمة الله من السعة والانفتاح بحيث أنّه يغسل بأمواله ذنوب الكثير من الآثمين:

فبعض بالشفاعة، وبعض بالعفو والغفران، وبعض لما قاموا به من أعمال صالحة صغيرة ولكن الله بعظمته يثيبهم عليها ثواباً عظيماً، وبعض آخر يبقون فترة في العقاب ليتطهروا في بوتقة

(١) سورة البقرة الآية ٨١.

(٢) دروس في العقائد الإسلامية للشيخ الشيرازي ص ١٢٤.

.....بقلم السيد حسن الياسري

التصفية الإلهية ثمَّ يعودون الى كنف الرحمة، ولا يبقى إلا أولئك
المعاندون الذين أصرّوا على الظلم والفساد.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقريظ سماحة المرجع الغريفي دام ظلّه.....	٥
تقريظ المجمع العلمي للاستنباط والدراسات.....	٨
مقدمة الكتاب.....	١٠
مدخل.....	١٢
حقيقة الروح.....	٢٣
القرآن الكريم والاكتشافات العلميّة.....	٢٧
علم الكيمياء بإشارات قرآنية.....	٣٢
علم الفيزياء بإشارات قرآنية.....	٣٦
علم الفلك بإشارات الآيات والروايات.....	٤١
علمي الحساب والرياضيات في الآيات والروايات.....	٤٨
علم الطب ضمن الوصايا العلوية.....	٥٥
الأصالة التكوينية للانسان وتحديد جنسه.....	٥٩
علاج التوحد عند الاطفال.....	٦٥
النظام الاقتصادي في المنظور الديني.....	٧٢
الحق الانساني بين نظرية الاسلام والقانون الوضعي.....	٧٦
تنظيم العلاقات الاجتماعية.....	٨١
حكمة الحركات في بعض الادعية.....	٨٥

٩٠ نظرية الهرمنيوطيقا والاسلام
٩٤ نظرية الفوضى وآثار مخالفة النظام الالهي
٩٩ نظريات الحكماء والمفكرين في العشق
١٠٤ النظريات المختلفة حول دوافع العمل ونتائجه
١١٠ بالمعرفة تدرك الحقيقة
١١٣ أطروحة طلب العلم بالصين
١٢٠ تقييم الافكار والنظريات
١٢٤ مفهوم الثقافة والمثقف
١٣٠ ثقافة التربية والأخلاق
١٤٦ اسس التربية في الاسلام وعند علماء التربية
١٤٩ معالم التنمية البشرية
١٥٥ التطور في الاسلام
١٦١ تطابق بعض المعارف الدينية مع العلم الحديث
١٦٣ الفقر والابداع
١٦٦ حامل الانسانية
١٦٨ الحضارة بين الاسلام والغرب
١٧٨ فطرية الدين وفرضية مفكري الغرب
١٨٥ العلمانية وتفكيك معالم الدين
١٩٣ قاعدة التدرج المرحلية

١٩٦	الرياضة وبعدها الايجابي في الاسلام
٢٠٦	فوائد السفر
٢١٠	النوم هروب أم استعداد؟
٢١٣	الطرائف وبعدها المعنوي
٢١٧	العقل الجمعي وتعطيل العقل الحر
٢٢٣	معالجة غرور النفس والغضب النفسي
٢٢٦	الحسد في علمي النفس والطاقة
٢٣٠	ماهية حرمان ابن الزنا من المناصب الدينية
٢٣٧	التفاؤل والتشاؤم في الطب الديني والنفسي
٢٤١	انهيارات آخر الزمان
٢٥١	مصير أصحاب الاعمال الصالحة دون التوحيد والولاية
٢٥٩	فلسفة الخلود في النار
٢٦٤	الفهرس

